دراسات فى التربية المقارنة والإدارة التعليمية

التّربيَة والتعدُّديّة الثّقافيّة

فى الألفيّة الثّالثة

تحرير
دكتور عبد الغنى عبّود

تقديم
الدكتور حامد عمّار

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
٩٤ شارع عباس العقاد- مدينة نصر- القاهرة
ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

٣٧٠,٧٨	عبد الغنى عبود.
ع ب ت ر	التربية والتعددية الثقافية فى الألفية الثالثة/ تحرير عبد الغنى عبود؛ تقديم حامد عمار . -ط١-. -القاهرة: دارالفكر العربى،١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
	٢٥٦ص ؛ ٢٤سم . (دراسات فى التربية المقارنة والإدارة التعليمية).
	تدمك : ٧- ١٦٤٠-١٠-٩٧٧.
	١-التربية- أبحاث . أ- العنوان.

تصميم وإخراج فنى

أيمن محمد أبو بكر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

[الحجرات]

صدق الله العظيم



محتويات الكتاب

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة
- تقديم الكتاب الخامس من كتب السلسلة، للأستاذ الدكتور حامد عمار	١٣
- استهلال الكتاب الخامس، للمحرر	٢٣
الفصل الأول	
نحن والعولمة والصليبية الجديدة	
١-١- الجمعيات العلمية التربوية فخر لنا جميعا (د. محمد أمين المفتى)	٣٥
١-٢- النظام العالمى الجديد وطمس الهويات الثقافية للشعوب (د.أحمد إسماعيل حجى)	٣٦
١-٣- الجمعيات العلمية التربوية تتعاون وتتآزر (د. محمود كامل الناقة)	٣٧
١-٤- المعانى المختلفة للعولمة (د. حسن أحمد غلاب)	٣٨
١-٥- الصليبية الجديدة تكشّر لنا عن أنيابها (د. عبد الغنى عبود)	٣٩
الفصل الثانى	
مفهوم الإنسان فى الألفية الثالثة	
٢-١- تقديم المحاضرة: أهمية معرفة الإنسان عند التربويين	٥١
٢-٢- محاضرة الأستاذ الدكتور مراد وهبه: مفهوم الإنسان في الألفية الثالثة	٥٢
٢-٣- تعقيبات الحضور:	٥٩
٢-٣-١- الربط بين الحقيقة المطلقة ومركزية الكون وهمى	٥٩
٢-٣-٢- لا تناقض بين الكوكبية والأصول الدينية والهوية الثقافية	٦٢
٢-٣-٣- الإنسان مجموعة قدرات، منها قدرته على الإبداع	٦٣
٢-٣-٤- أى إبداع ظهر فى تاريخ البشرية ، بدا عند ظهوره غير سوىّ	٦٣
٢-٣-٥- الإسلام أطلق للعقل حريته ابتداء	٦٤
٢-٣-٦- رؤية الدكتور مراد تفتقر إلى الإبداع	٦٥
٢-٣-٧- تعليمنا يقتل الإبداع	٦٥
٢-٣-٨- الدولة اليوم مع الإبداع	٦٦

الموضوع	الصفحة

٢-٣-٩- المحاضرة مستفزة وممتعة ٦٦

٢-٣-١٠- الإنسان مبدع، ولكنه ليس حيوانا ٦٦

٢-٣-١١- الإبداع حقا أن نحافظ على ثوابتنا ومعتقداتنا ٦٧

٢-٣-١٢- البدائيون أبدعوا كذلك ٦٨

٢-٣-١٣- بدون الدين يكون الإنسان بربريا ٦٨

٢-٤- تعقيب الدكتور مراد على التعقيبات ٦٨

الفصل الثالث

التعددية الثقافية من منظور سيكولوجى

٣-١- محاضرة الأستاذ الدكتور فؤاد أبو حطب ٧٥

٣-٢- تعقيب المؤتمر : لنا ثقافتنا العميقة الجذور، الأكثر عمقا من ثقافة سيدة النظام العالمى الجديد ٨٨

٣-٣- تعقيبات الحضور ٩٠

٣-٣-١- من الخطأ تطبيق اختبار نفسى معين، على بلدين مختلفين ثقافيا ٩٠

٣-٣-٢- لماذا تتخذ المنصة موقفا معاديا للغرب؟ ٩٠

٣-٣-٣- أوربا أبادت الهنود الحمر فى أمريكا، ولكن وضع مصر مختلف ٩٣

٣-٣-٤- طلاب الأزهر القدامى حلوا لنا مشكلة التعامل مع النموذج الأجنبى ٩٤

٣-٣-٥- نحن الذين نستقدم الثقافة- والحضارة - الغربية ٩٤

٣-٣-٦- يجب تشكيل جبهة علمية أكاديمية تدافع عن هويتنا ٩٥

٣-٣-٧- أين هويتنا المصرية؟ ٩٦

٣-٣-٨- الثقافة الغربية تقوم من قديم على نفى الآخر وإبادته ٩٧

٣-٣-٩- ما دوز مدارسنا ومدرسيها فيما يجرى حولها وحولهم من تغيرات عالمية؟ ٩٧

٣-٣-١٠- التنوع الثقافى بين الشعوب هو الأساس ٩٨

الموضوع	الصفحة
٣-٤- وتعقيب الدكتور فؤاد على التعقيبات	٩٩
الفصل الرابع	
التعددية الثقافية وأبعادها التربوية: رؤية تحليلية	
٤-١- تقديم المحاضرة : عودة إلى التراث اليهودى الصهيونى الذى يحرك الحياة من حولنا	١٠٥
٤-٢- محاضرة الأستاذ الدكتور محمد وجيه الصاوى	١٠٧
٤-٢-١- تقديم المحاضرة: العولمة والخصوصية الثقافية	١٠٧
٤-٢-٢- الإسلام والتعددية الثقافية	١٠٨
٤-٢-٣- العولمة قبل نصف قرن	١٠٩
٤-٢-٤- العولمة والكوكبية والتعولم	١١٠
٤-٢-٥- ثقافة العولمة .. أم عولمة الثقافة؟	١١٣
٤-٢-٦- تجلّيات وملامح العولمة	١١٤
٤-٢-٧- الآثار السلبية للعولمة	١١٩
٤-٢-٨- مميزات العولمة	١٢٢
٤-٢-٩- تصارُع أم تصالُح؟	١٢٣
٤-٢-١٠- التعددية الثقافية والانتماء	١٢٤
٤-٢-١١- رأى بعض المفكرين فى التعددية الثقافية وقضية الانتماء	١٢٥
٤-٢-١٢- انعكاسات العولمة على التربية	١٣٢
٤-٢-١٣- ماذا نفعل؟	١٣٣
٤-٢-١٤- المراجع	١٣٧
٤-٣- تعقيبات الحضور	١٤٠
٤-٣-١- لا خوف علينا من التغريب، الذى هو غير العولمة	١٤٠
٤-٣-٢- لابد أن نتعامل مع العولمة بموضوعية	١٤٢
٤-٣-٣- ليس فى التاريخ حتمية إلا عند الماركسيين	١٤٣
٤-٣-٤- لابد أن نحافظ على ثوابتنا الثقافية مع الاستفادة من خبرات غيرنا	١٤٣

الموضوع	الصفحة
٤-٣-٥- أين مدارسنا من العولمة؟	١٤٤
٤-٣-٦- التعليم عندنا مُسَيَّس	١٤٤
٤-٣-٧- المطلوب هو أن يتغير مجتمعنا ، كما تغير اليابانيون	١٤٥
٤-٣-٨- أين النموذج العربى فى التربية؟	١٤٥
٤-٣-٩- الإسلام استطاع احتواء شتى الثقافات	١٤٦
٤-٣-١٠- لنبدأ عمل قاعدة البيانات العربية	١٤٦
٤-٣-١١- نحن نتعامل مع العولمة بمنطق الاستعلاء أو موقف الاستسلام أو موقف الاستلهام	١٤٧
٤-٣-١٢- لا خوف على مصر بالذات من العولمة	١٤٨
٤-٤- وتعقيب المؤتمر: لابد من تحقيق مفهوم التمرد والمقاومة فى تربيتنا لأبنائنا	١٤٨
الفصل الخامس	
سياسة التعليم والتعددية الثقافية فى الألفية الثالثة	
٥-١- تقديم المحاضرة: فرق بين تربية الإنسان وتربية الحيوان	١٥٣
٥-٢- محاضرة الأستاذة الدكتورة منى أبو سنة	١٥٤
٥-٢-١- عنوان المحاضرة مشتق من عنوان المؤتمر ذاته	١٥٤
٥-٢-٢- نبدأ بمفهوم الثقافة، وما يتصل به من مفاهيم	١٥٤
٥-٢-٣- الهوية في مجتمع المعرفة	١٥٦
٥-٢-٤- القرن القادم قرن حضارة الوعى التكنولوجى	١٥٦
٥-٢-٥- التعليم المنشود للهوية الكوكبية هو التعليم الذى ينتج عمال المعرفة	١٥٨
٥-٣- تعقيبات الحضور	١٥٩
٥-٣-١- ما التعريف الحقيقى للثقافة؟	١٥٩
٥-٣-٢- هناك تهرب من مواجهة التعددية الثقافية فى مصر	١٥٩
٥-٣-٣- التباين الثقافى بين الأمم إثراء للوجود الإنسانى	١٦٠
٥-٣-٤- الثقافة العالمية تثريها التعددية الثقافية	١٦٠

الموضوع	الصفحة

٥-٣-٥- الإنسان لا يمكن أن يكون حيوانا أبدا ١٦١

٥-٣-٦- الإبداع لا يعمل إلا ضمن منظومة رباعية ١٦٢

٥-٣-٧- كيث واطسون رفض جوانب من العولمة فى المجتمع الإنجليزى ١٦٢

٥-٤- تعقيب المؤتمر: لن تزول الفوارق بين الشعوب، وهناك صراع ثقافى لا مهرب منه ١٦٢

الفصل السادس

التعليم وإدارته فى مواجهة الهيمنة الثقافية

٦-١- ملخصات الدراسات: ١٦٧

٦-١-١- د. مريم إبراهيم الشرقاوى : أساليب تعزيز الهوية فى مواجهة الهيمنة الثقافية - رؤية معاصرة لإدارة التعليم ١٦٧

٦-١-٢- د. السيد عبد العزيز البهواشى: التعليم وإشكالية الهوية الثقافية فى ظل العولمة ١٦٨

٦-١-٣- د. جمال محمد أبو الوفا: تأثير التعددية الثقافية على النظم التعليمية فى كل بلدان المغرب العربى وأمريكا اللاتينية (دراسة مقارنة) ١٧١

٦-١-٤- د. فؤاد العاجز، وعطية محمد العمرى: الإدارة المدرسية والتعددية الثقافية ١٧٣

٦-٢- تعقيب المؤتمر على الدراسات الأربع: ١٧٦

٦-٢-١- تعقيب المؤتمر على البحثين الأول والثانى ١٧٦

٦-٢-٢- وتعقيب المؤتمر على البحثين الثالث والرابع ١٧٧

٦-٣- تعقيبات الحضور: ١٧٩

٦-٣-١- الخلط بين الأساليب والعمليات فى الإدارة ١٧٩

٦-٣-٢- رفقا بالباحثين أيتها المنصة ١٧٩

٦-٣-٣- المدرسة ليست معزولة عما يجرى فى المجتمع من تغيرات ١٨٠

الموضوع	الصفحة
٦-٣-٤- الإدارة التعليمية لها مداخلها البحثية، المختلفة عن إدارة الزراعة والصناعة	١٨٠
٦-٣-٥- أين بحوث التربية من أجل السلام والتفاهم الدولى فى المؤتمر؟	١٨٠
٦-٣-٦- أغلبية الأبحاث عن العولمة، التى هى إفراز لثقافة الغرب	١٨١
٦-٣-٧- كان لابد من تقديم نموذج للإدارة المدرسية القادرة على مواجهة التعددية الثقافية	١٨١
٦-٣-٨- العوامل السياسية والاقتصادية جزء من القوى الثقافية، وليست كل هذه القوى	١٨١
٦-٣-٩- لابد من تمصير - وتعريب- لغة الخطاب التربوى	١٨٢
٦-٣-١٠- بدلا من التباكى على الغزو الثقافى، دعونا نبنى شبابنا	١٨٢
٦-٣-١١- السعودة مصطلح سعودى، وسيظل سعوديا	١٨٢
٦-٣-١٢- لابد أن نعتز بلغتنا كتربويين	١٨٣
الفصل السابع	
لغة الحوار	
٧-١- تقديم الجلسة : نحن نودع ألفية دامية	١٨٧
٧-٢- التربية وحوار الثقافات	١٨٧
٧-٣- لغة الرياضة فى عالم متعدد الثقافات	١٩٥
٧-٤- دراسة مقارنة لتدريس المواد العلمية باللغة العربية	٢٠٣
٧-٥- تعقيب المؤتمر : عدوى تعليم العلوم باللغة الإنجليزية انتقلت إلى الأزهر	٢٠٨
٧-٦- وتعقيبات الحضور:	٢١٠
٧-٦-١- لا خوف على العقل العربى من تحديثه، والرياضة أخلاق	٢١٠
٧-٦-٢- الإسلام يدعو إلى التغيير، والتربية تعنى التغيير	٢١٠

الموضوع	الصفحة
٧-٦-٣- نحن متميزون كأفراد، ولكننا لا نستطيع آن نعمل كفريق، ولا وقت للرياضة فى تعليمنا	٢١١
٧-٦-٤- لو درسنا المواد العلمية باللغة العربية، فهل سيكون عندنا أحمد زويل وفاروق الباز؟	٢١١
٧-٦-٥- إن كل مجتمع يجب أن يخلق نموذجه الخاص به لتحقيق تقدمه	٢١٢
٧-٦-٦- تهميش التربية الرياضية فى مدارسنا مدمر لأجيالنا القادمة	٢١٣
٧-٦-٧- ثقافتنا ثرية، فلماذا لم تفرز الرواد والعلماء والمبتكرين؟	٢١٣
٧-٦-٨- من حقنا أن تكون لنا مقدساتنا ورموزنا وكلياتنا التى نفتقدها	٢١٤
٧-٦-٩- الناس لم يعودوا يقرءون	٢١٤
٧-٦-١٠- نحن قادرون فعلا على تقديم نموذج رائع	٢١٥
٧-٧- ختام الجلسة : الدراسات الثلاث يكمل بعضها بعضا	٢١٦
الفصل الثامن	
تربية الأطفال لعالم الغد (التجربة الألمانية)	
٨-١- تقديم المحاضرة: من هو محاضرنا ، الدكتور هارم باشن؟	٢٢٣
٨-٢- محاضرة الأستاذ الدكتور هارم باشن ملخص المحاضرة باللغة العربية	٢٢٣
٨-٣- تعقيب أول للمؤتمر: الأطفال فى حاجة إلى الاتجاهات الثلاثة فى التربية	٢٢٥
٨-٤- وتعقيب ثان للمؤتمر: الألمان أنتجوا حضارات تخص فعلا كل مجال	٢٢٧
٨-٥- تعقيبات الحضور:	٢٢٩
٨-٥-١- ماذا فعلت ألمانيا للتوحيد الثقافى بين شطريها السابقين؟	٢٢٩
٨-٥-٢- وماذا عن إهمال الجانب القيمى فى تربية الأطفال الألمان؟	٢٢٩

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
٨-٥-٣- وما الصعوبات التى تواجه الألمان -المعتزين بلغتهم- بعد الانفتاح على العالم الخارجى مؤخرا؟	٢٣٠
٨-٥-٤- نظام التعليم الألمانى كما عشته منذ نصف قرن	٢٣١
٨-٥-٥- المسار الثالث مفتوح بدرجة كبيرة يمكن أن تؤدى إلى صدمة حضارية	٢٣٢
٨-٥-٦- لم أفهم كل ما يتصل بألمانيا والتربية فيها إلا من المحاضرة	٢٣٢
٨-٦- وتعقيب الأستاذ الدكتور هارم پاشن على التعقيبات	٢٣٣
٨-٧- ختام الجلسة	٢٣٥

الفصل التاسع
توصيات المؤتمر

١- محاضرة الدكتور هارم باشن باللغة الإنجليزية	٢٤٣
٢- للمحرر ، الدكتور عبد الغنى عبود	٢٥٥

تقديم الكتاب الخامس من كتب السلسلة

بقلم أ. د. حامد عمار

الأستاذ بكلية التربية - جامعة عين شمس

طلب إلىّ الصديقُ الجليل، والمُريدُ المخلص، أ. د. عبد الغنى عبود، أن أحرّر تقديما لأبحاث المؤتمر السنوى الثامن، الذى انعقد فى الفترة من ٢٧-٢٩ يناير ٢٠٠٠م، وموضوعه (التربية والتعددية الثقافية مع مطلع الألفية الثالثة). وقد اضطرتنى ظروف صحيّة طارئة وقاهرة إلى عدم القُدرة على الوَفاء بما وعدتُ به من تقديم . . . واستطالت مُدَّة الوفاء تأجيلا بسبَب مزيج من استمرار الدواعى الصحية، ومشاغل -علمية وحياتية - مبعثرة هنا وهناك.

ومع مضىّ ما يقرب من عام منذ أن دعانى أ.د. عبد الغنى عبود إلى تلك المهمّة، كان خلالها مدركا لتصاريف الأيام، وصابرا على تأخير إصدار الكتاب، ومصرا - بكل آيات التلطُّف فى الإصرار -على أن أقوم بكتابة التقديم. . وأحسب أن ذلك يمثل لديه رمزا من رموز الوفاء والتقدير لأستاذه، وأحسب أننى أكتب ما سوف أكتب على (سبيل البركة)، ومن قبيل ما أبادله به تقديرا بتقدير. وفى جميع الأحوال، فإنى مدين له ببطاقة تجمَع سطورُها بين عبارات الاعتذار وآيات الشكر والعِرفان.

الكتاب الدسِم الرصين:

بداية لابدّ من أن أقرّر -بكل أمانة- أننا إزاء كتاب حافل ، لمؤتمر ضخم، يعالج موضوعا أضخم.

أما عن الكتاب، فهو حافل بمختلف الرؤى والأبحاث التى عُرضت فى المؤتمر، والتى تناولت الموضوع من مختلف أبعاده وخِبراته، ويكفى أن يتضمّن هذا الكتاب ثلاث عشرة محاضرة، أُعدَّت خصّيصا لبرنامج المؤتمر، فضلا عن مجموعة من الأبحاث العِلمية المتعمقة والمُحكَمة فى معالجة موضوعاتها. وزيادة جرعة المحاضرات فى هذا المؤتمر، تجعل لهذا الكتاب فائدة أوسع انتشارا، وأمتع قراءة، لجمهور أكبر من القُرّاء، سواء من المتخصِّصين فى التربية بمختلف فروعها، أو من جمهور مهتمّ من عُشّاق القِراءة، من المثقّفين المعنيّين بقضايا الثقافة وتحدّياتها وتجلّياتها، مع مطلع هذا القرن.

والقـول بأننا مع مؤتمر ضـخم، فإن جـدارته بتلك الصـفة لا تقـتصـر - فى معيـارها- على المجموع العددَىّ للمشـاركين فيه، بل تعنى -فى المقـام الأول- تأكيدا على نوعيـة المشاركين من أقطاب الأسـاتذة من الراسخين فى الـعلم، ومن تلامذتهم وأحفادهم، وقـد التقوا جميـعا ليستمـعوا ويشاركوا فى التعليـق والمناقشة، على كل مُفرَدة من المُفرَدات العِلمية التى تضمَّنها برنامج المؤتمر، والتى حرص هذا الكتاب على تسجيلهـا.

وهو مؤتمر ضخم فى تقديرى ؛ لأنه يستمدّ تلك القامة والقيمة من كونه يعتمد على التمويل الذاتىّ، والجهد المؤسَّسى ، فى تنظيمه وانعقاد جلساته، فى موعد محدَّد كل عام، وبعبارة أكثر وضوحا، فإن مؤتمرات **الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية** تعتمد -فى مواردها- على إسهامات أعـضائها، وموارد ما يمكن أن يتعاون معها من المؤسَّسات الجامعية أو الهـيئات المصرية، أو من مشاركة الأساتذة من أصدقاء الجمعـية، دون سعى مُلِحّ وصفيق أحـيانا فى طلب العون من المؤسَّسـات الأجنبية أو الدولية.

أما موضوع المؤتمر الأضخم، فهو (**التربية والتـعددية الثقافيـة مع مطلع الألفية الثالثة**)، ويمثّل -بحقّ- قضية من أضخم وأخطر أبعاد مسيرة التنمية بعامة، فى أقطار الوطن العربى، وفى غـيرها من مجتمـعات العالَم النامى، وهو يُعتَـبر -كذلك- من أضخم وأخطر إشكاليات التربية والثقافة والقيم الاجـتماعية بخاصّة. وقد تمتدّ تحدّياته ومواجهاته فى مُجمَل جبهات الأمن القومى للوطن وللمواطن، حاضرا ومستقبلا.

حول أبعاد الثقافة:

تلك هى أهم خصائص هذا الكتـاب الهامّ الذى نقدّم له، والذى يعنينى -بادئ ذى بدء- هو أن أشـيـر إلى بعض خـواطرى حـول الموضـوع الذى يتناول (**التـربيـة والتعددية الثقافيـة مع مطلع الألفية الثالثة**)، ونبدأ بالقضية المحور فى الموضوع، وهو (التعـددية الثقافيـة). وبكل البساطة، فإن الثـقافة إنما تعنى الجانب المعـرفى والرمزى والقيمى والميتافيزيقى (الغيبى)، من رصـيد الوجود الإنسانى، وبذلك تُعَدّ الثقافة ذلك الجانب من النشاط الإنسـانى الذى أنتجته وارتضتـه جماعة مـعيَّنة ليحركهـا (دافعا)، ولتعيش به ومن أجله (حـياة)، ولتنظم التواصُل بين أفرادها ومع غيـرهم (علاقات)، ولترَبط بين أعضـائها فى لُحمة مـجتمعيـة (قيما ورموزا)، وفى عـروة إيمانية وُثقى،

تتجاوز عالمَ الجماعـة ووجودها المادى، إلى عالم علوى ممتدّ إلى خالق الكون (الدين وعباداته ومعاملاته).

وهذا الرصيـد من الثروة الثقـافية، إنما هو حـصيلة لحَصـاد سنين، تراكم ونما وتطوّر عبَـر قرون متـعاقبـة فى تاريخ الجماعـة / الدولة / الأمة. . وقـد تعامل هذا الرصـيد مع أجـيال وأجيال، وتفـاعَل مع أحداث وأحـداث، وتعرّض للعـديد من المتغـيّرات الداخلية والخارجـية، ولفتـرات إنتاج وازدهار وحيـوية فكرية واجتماعـية، مقتـرنة بفترات توتُّرات، وجمود وزَعـزَعات فكرية واجتماعـية . . وإن نتاج كل هذا الذى حدث فى الماضى القـريب والبعيد، وصل إلى الجيل الراهن لـيكوّن الرصيد من الموروثات والمعتقدات والتوجُّهات، ومن حَـصاد حركة الواقع القائم، امتدادا إلى رؤاه المستقبلية.

والخلاصة أن الثقافة هى كل ما يعبِّر عنه هذا الرصيد المعرفى والرمزى أساسا، وهو -كما رأينا- نتاج تاريخىّ، وليس وليدَ لحظة زمانية معينة، ولا جماعة بذاتها، أو أفراد بعينهم، وقـد تكون آثار جَماعة معـينة أو أفراد متميزين، ذات بصـمة أقوى من غيرها فى تشكيل سمات معَّينة. . لكن يظلّ الرصيد الثقافى هو جِماع وتراكُم وتطوير عـبر الزمـان والمكان، فى تواصل حـركـة ديناميـة وتداعـياتهـا، فى سـاحة الفـعل والانفعـال. . ومن ثم فإنى أفضّل اسـتعمال (الموروثات الثـقافيـة بالجمع)، بدلاً من (التراث الثقافى بالمُفرَد)، تعبيرا أشمل للظواهر الثقافية.

وفى هذا السـياق، يمكن تمـييز عـددَ من المكوّنات المتـشابكة والمتـقاطعـة فى مضامين هذه الموروثات الثقافية، التى نعبر عنهـا أحيانا باسم ثقافات نوعية أو فرعية، ومنها الثقافة الدينية أو العلمية أو الأدبَية أو الفنيـة أو التكنولوچية أو النفسية أو القيمية وغيرها، مما يندرج عادة تحت مفهوم الثقافـة والتراث الثقافى، أو الموروثات الثقافية. . وهى -فى جمـيع الحالات- رصـيدُ الحاضـر بكل مكوّناته وتوجُّهـاته، رغم أن كلمة تراث أو موروثات، قد توحى باقتـصارها على الماضى، ولكننا هنا نريد أن نؤكد على أن الماضى هو بُعد أساسى من أبعاد الحاضر. وهذه الأبعـاد جميعا هى الصورة الكلية لمفهوم الثقافة، فى أى فترة زمنية.

كذلك يدخُل فـى تصنيفات الثـقافـة تمايُزات نوعية، على مـسـتوى الأفراد أو الجماعـات، كان يُشار إلى ثقافة النخـبة، وثقافة الحِرفـيين، وثقافة العُمّـال، أو ثقافة

الطبقة الوُسطَى أو العُليا. كذلك يُشار أيضا إلى أنه من حيث المستوى أو التقييم لنوعية الثقافة، حين يقال الثقافة الرفيعة أو الثقافة الجماهيرية، فإنه تقسيم لا يحمل بين طيّاته أحكاما قيمية، وإنما يغلب على التمايُز فى شيوعه المكانى والبشَرى، جذوره التاريخية، بين المحلية فى الجماهيرى، وعالمية الانتشار فى الرفيع، كما هو الحال مثلا فى التمييز بين قصة (أبو زيد الهلالى) وبين قصة (دافيد كوبرفيلد)، وبين موسيقى (عبده الحامولى ورياض السنباطى)، وبين سيمفونيات (بيتهوفن وباخ).

البناء المادّىّ للثقافة .. الحضارة:

الثقافة - كما أشرنا إلى حدودها فى إطار جماع القيم والرموز والمعارف والدوافع- تمثّل جانبا من رصيد الوجود الإنسانى، متراكما وناميا عبر الزمان والمكان. وفى التشبيه المألوف، يُنظر إلى الثقافة على أنها البناء الفوقى للوجود الإنسانى، بينما تُعتبر الحضار البناء التحتى، والجانب المادى المتجسد فيما يصنعه الإنسان فى بيئته، وما يرتبط بهذه الصناعة من أدوات ومعدّات، وتشكيل للطبيعة من أجل تكييفها والتكيُّف معها. وهذا الجانب المادّىّ العِيَانِىّ، هو الذى يمكن أن نطلق عليه تسمية (الحضارة)، تمييزا له عن الجانب الثقافى.

ونبادر هنا إلى التأكيد على أن الفصل بين الثقافة والحضارة، أى بين البناء الفوقى والبناء التحتى ، إنما هو تصنيف من قبيل التحليل ، إذ المستقر فى العلم الاجتماعى أن ثمَّة تَفاعُلا وتقاطُعا وتَوالُدا متصلا، لا ينقطع بين الجانبين، وأنهما معا يمثلان معطَيات الوجود الإنسانى فى الزمكَان. . ثم إن أنشطة التعليم والبحث العلمى والفنون والآداب والعلوم الطبيعية والاجتماعية والقانونية والإعلامية والدينية وغيرها من التعبيرات الثقافية، فى تكامُلها، هى شَطر من وحدة الوجود، التى تكتمل بالجانب الآخر، المتمثل فى أنشطة الاقتصاد (إنتاجا واستهلاكا وتجارة واستثمارا ونقلا ومواصلات. . إلخ)، وعالم المال، والإنتاج والتوظيف التكنولوجى، وكل ما يمكن أن نسمّية بالجانب الحضارى.

ونؤكد مرة أخرى أنه ليس هناك إنجاز لأىّ من الجانبين دون أن تتداخل فيه مكوّنات من الجانب الآخر، فليس ثمة نشاط لُمجمل الدينامية الثقافية دون تدخُّل لُمجمَل الدينامية الحَضارية، والعكس صحيح، وهذا التشابُك والتقاطُع والتداخُل يتمثل أيضا فى حركة تأثير وتأثُّر كلّ منهما بالآخَر. . وعلى سبيل المثال، لكل نشاط ثقافى

مُستلزمات مادية حضارية، والعكس صحيح. . أى أن لكل نشاط اقتصادى موجّهات ثقافية تبرِّر قيامه، وتدفع إلى القيام به. كذلك يمكننا القول بأن لكل نشاط ثقافى عائدا اقتصاديا (كالتعلُّم مثلا وعوائده فى المعارف والمَهارات الإنتاجية)، وأن لكل نشاط اقتصادى عائدا ثقافيا (فُرَص التجانُس الثقافىّ، وتوفير موارد الخدمات، وتوسيع اختيارات البشَر).

ثم إن الحديث عن الثقافة والثقافى يتطلب الالتفات إلى قانون التغيُّر والتبدُّل والتحوُّل والتطوُّر، كجُزء من الفعل وردّ الفعل، لما بينها وبين الحضارة المادية التى يحكمها هذا القانون أيضا، فى التفاعل بين مكوّناتها، وفى التفاعُل بين مختلف المكوّنات الثقافية. وبعبارة أخرى : نحن مع فِكر يؤثر، ويتأثر بفكر، وفكر يرتبط بأشياء، وأشياء ترتبط بأشياء، وأشياء تؤثر فى فكر، وسواء كانت تفاعُلات التأثير والتأثُّر، وما تُنتجه من ديناميات واتجاهات فى التغيير، ذات وتيرة متسارعة أو متباطئة، حاسمة أو متلكّئة ، فإن قانون التغيُّر لا فكاك منه، حيث تَظهَر نتائجه على المدى القصير أو المتوسط أو البعيد ، وهى آماد نسبية يُمكن الاصطلاح على آفاقها الزمَنية (٣ سنوات، ٥ سنوات، ٢٠ سنة)، ومن ثَم فإن الواقع المُعاش -بمكوناته الثقافية الحضارية - يتغير دوما، وتصحّ مقولة (كل شىء فى الوجود يتغيَّر، وقابل للتغيُّر، إلا وجه ربك ذى الجَلال والإكرام).

وأعتذر عن الإطالة فى محاولة لتحديد مقومات الثقافة وأبعادها ونوعياتها وعلاقات مكوّنات بعضها ببعض ، ونجد أنفسنا بذلك فى شبكة معقدة من التداخُلات والتقاطُعات والتفاعُلات، على محورى الزمان والمكان الداخلى والمكان الخارجى، من عوامل تأثير المجتمعات والقوى خارج نطاق المجتمع المعين ذاته. وفهم هذا التعقُّد وتفكيكُه، وتحليلُه وتركيبُه، من الضرورات المنهجية فى الحديث عن التنميط الثقافى، أو التعددية الثقافية، فى إطار تعقد ثقافة الألفية الثالثة، ومكوّناتها الحضَارية المادية، والتكنولوچية على وجه الخصوص، وتمتدّ هذه الحاجة إلى التفكيك والتركيب أيضا، فيما ترتبط بالمنظومة التربوية ومكوّناتها وتيّاراتها واتجاهاتها.

العَولمَة والألفية الثالثة :

والمفاهيم الأربعة المتضمّنة فى عنوان هذا الكتاب الحافل تتمحور -أولا- حول مطلع الألفية الثالثة، الذى يرمز تاريخا إلى بروز ظاهرة العولمة، التى تقوم على

اقتصاديات السوق الطليق، وما يترتب عليها من تَداعِيات السعى إلى إخضاع العالم إلى الاندماج فى ثقافته ومصالحه، من خلال هيمنة الدول الكبرى والشركات المتعددة - أو المتعدّية- الجنسيات، وذلك بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، قُطب النظام العالمى الجديد، بعد تفكُّك الكتلة الشرقية بقيادة الاتحاد السوفيتى سابقا. ولم يكن من قبيل المبالغة أن يَسِمَ جدنز، عميد كلية العلوم السياسية فى جامعة لندن، هذه العولمة، بسِمة (الأمركة). إنها -بآلياتها الاقتصادية الدولية وبالطاقات الهائلة للثورات التكنولوجية والاتصالية - تسعَى إلى تنميط الثقافات الأخرى فى قوالبها وتوجُّهاتها، مع امتداد نفوذها وشيوع سلعها. وقد مكّنها من ذلك استخدامُ أجهزة إعلام رهيبة، من إذاعات فضائية، وأفلام، ووكالات أنباء ، وسياحة ، ومَعُونات فنية ومالية للدول النامية. وإذا كانت (الكوَكْلة) شرابا و(الكَنْتكَة) طعاما ، من رموز العولمة والتنميط الغذائى، فإن (الأسْنَنة) -نسبة إلى محطة سى. ن. ن. التلفزيونية- تمثل أداة طاغية للتأثير من خلال برامجها عبرَ الأجواء الفضائية المفتوحة، التى تستقبلها معظم أقطار العالم.

تحدِّيات الخصوصية الثقافية:

ومن هذه التوجيهات نحو النمطية المتأمركة (حتى بين بعض الدول الأوربية التى تقاوم هذه الهجمة على ثقافتها وهويتها)، تنَامَى الاتجاه نحو إحياء الخصوصيات القومية، كما يتضح من حركات الاستقلال التى شهدَها العالمُ- ولا يزال- منذ انهيار الاتحاد السوفيتى. ولعل الحاجة إلى مقاومة التوجُّه نحو إحلال منطق الثقافة المُؤمركَة الموحَّدة، قد انعكس بوضوح فى تقرير خافيير دى كويلار (التنوع البشرى الخلاق - ترجمهُ المجلسُ الأعلى للثقافة عام ١٩٩٧م)، والذى يؤكد على أهمية احترام تنمية الخصوصيات الثقافية ، التى بدونها ينعدم التعاوُن الدولى. وما أجدر ثقافتنا أن تنفتح على ثقافات العالَم، أخذا وعطاء، متسلِّحة باكتساب المعرِفة العِلمية، وممارسة النقد المُنتِج والبنَّاء للعِلم وللثقافات الأخرى، بلوغا إلى إنتاج محاصيل عِلمية بعقول عُلمَائنا، بحيث تصبح المعرفة رأسمالها الأساسى. وتتولى إنجاز تلك المهمات إرادة وطنية، محورها دور الدولة، تساندها فى ذلك مختلف هيئات المجتمع المدنى، مع ترسيخ مفهوم الحرية، بكل أبعادها، باعتبارها الباب الذهبى للتنوُّع الخلاق، وللتعدُّدية السياسية.

وقد اتخذت هذه المعركة نحوَ تأكيد وتعزيز الهوية الثقافية، **العربية والإسلامية**، صورا مختلفة، فيما يدور فى الساحات الدولية والعربية والإسلامية، **من محاولة** التبرير لكل قضية من قضايا الإشكالية فى صدام الحضارات، **أو حوار الحضارات**. ومن بين الأدَبيات الأمريكية المشهورة فى هذا الصدد، كتابات **فرنسيس فوكوياما**، وكتابهُ **(نهاية التاريخ وخاتم البشر) (ترجمة حسين أحمد أمين** -مركز الأهرام للترجمة- ١٩٩٣م)، وكتاب **صموئيل هنتجتون (صراع الحضارات)** (باللغة الإنجليزية).

ولا يتسع المقام لما ظهر فى هذا الصدد من تحيُّز وتعصُّب ضد الحضارة العربية والإسلامية، فى مختلف المناسبات، وبخاصة ما انعكس فى مقاومة الإرهاب، نتيجة لأحداث ١١ سبتمبر، التى أدت إلى تدمير بناية مركز التجارة العالمى فى نيويورك، وجزء من بناية البنتاجون (وزارة الدفاع) فى واشنطون. وقد عقدت عدة مؤتمرات لتصحيح صورة العرَب والمسلمين، وما طرأ عليها من تشوُّه، أسهمت الصهيونية فى نشره، وكان آخرها مؤتمر المثقفين، الذى نظمته جامعة الدول العربية، وتعيين **د.أحمد كمال أبو المجد** مفوضا لشئون حِوار الحضارات بالجامعة.

وكم كنتُ أتمنّى أن يُتاح لهذا المؤتمر التربوى دراسة حول وثيقة (الخطة الشاملة للثقافة العربية)، التى أشرفت على صياغتها المنظمةُ العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٨٨م، والتى حددت الأهداف الكبرى للأمة العربية، وهى:

- الاستقلال والتحرُّر، فى مواجهة الهيمنة الأجنبية والاستلاب.
- الوحدة القومية، فى مواجهة التجزئة والإقليمية الضيقة.
- الديمقراطية، فى مواجهة الاستبداد.
- العدالة الاجتماعية، فى مواجهة الاستغلال.
- التنمية الذاتية، فى مواجهة التخلُّف أو النموّ المُشَوَّه.
- الأصالة، فى مواجهة التغريب والتبعية الثقافية.
- الحضور القومى بين الأمم بالإبداع والإنتاج، فى مواجهة حضارة الاستهلاك والتقليد.

وفى هذه الأهداف الكبرى، يتجلى التشابُك العضوى بين البنية الرمزية والمادية فى مفهوم الثقافة، وبين الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بل تؤكد الوثيقة على أن «الثقافة بكل رموزها التعبيرية، وقُدراتها التعبوية، وشُحناتها الوجدانية، هى جزء لا يتجزأ من كل محور من محاور تلك الأهداف»، الإنمائية الشاملة.

والخلاصة :

فى قناعتى من استقراء حركة التاريخ المعاصر، أنه لن تستطيع أية ثقافة طاغية ومتسيّدة، أن تمحو ثقافات أخرى مغايرة لتوجُّهاتها. وفى هذا السياق مِن مَدّ وجَزر بين الثقافة الغالبة والضعيفة، قد تتولّد قُوى للمقاومة والتحدِّى فى الطرف الضعيف، إزاء صنوف القهر وطمس معالمه الثقافية الأصيلة، مما قد ينجُم عنه نهضة حقيقية، وصحوة لقوى التقدم والحيوية فى الكيان المجتمعى. وهكذا يمكننا أن نتصور- بل أن نواجه فعلا -معارك تحرير ثقافى، تقودها نُخبة من المثقفين الأحرار، كما شهد التاريخ معارك تحرير وطنى للاستقلال من سيطرة الاستعمار السياسى والعسكرى. وباختصار قد توجَد ثقافة ذات خصوصيات حيَّة نشطة فاعلة، وقد تستمر ثقافات هزيلة أنيمية، لكنها لن تُمحَى أو تتلاشى.

ولا شك أن الهوية الثقافية فى تجدُّدها وديمقراطيتها وأصالتها المعاصرة، أو معاصرتها الأصيلة، هى الضمان والمرشد - فى الوقت ذاته- لتحقيق تنمية ذاتية مطّردة ومتجدّدة، تحتل التنميةُ البشريةُ موقع الصدارة فيها، باعتبارها ثروة الأمم الحقيقية التى لا تنضب. ولقد شخَّص المهاتما غاندى خصائص هوية كفاحه الوطنى فى مقولته المشهورة: (إنى لا أريد أن ترتفع الجدران من كل جانب حول بيتى، ولا أن يُحكم إغلاق نوافذى. إننى أريد أن تهبّ ثقافة كل أرض حول بيتى بأقصَى قدر ممكن من الحرية. ولكننى أرفض أن تقتلعنى ريحُ أى منها من جذورى). وأضيف هنا على هذه المقولة (أو تحُول دون تقوية تلك الجذور بالتفكير العلمى ومُنجزاته، نظرا وفعلا، لكى تُنتج أغصانا جديدة وارفة الظلال ، ولنأكل منها ثمارا طازجة على الدوام).

والواقع أن قضايا التعدُّد الثقافى فى إطار العولمة متعدّدة ومعقّدة، كالشأن فى تحليل القضايا الثقافية: هناك مثلا تعدُّد ثقافى على المستوى العالمى، وتعدد ثقافى على المستوى الوطنى والإقليمى، وهناك تساؤلات حول توجُّهات أية ثقافة عامة نحو التعدُّد والتنوُّع فى داخلها، وهل يتم تشجيع ذلك التنوّع، بحيث يكون من الروافد المغذية لحيَوية الثقافة الأم؟

وإشكالية أخرى حول مفهوم الهُوية، حين يتمّ اللجوء إلى خصوصية المفاهيم والحلول الماضوية، بيد أنه لا خصوصية فى عالم اليوم والغد، دون سعى حثيث لاكتساب المعرفة، كجزء لا يتجزأ من تنمية الخصوصية. أضِفْ إلى هذا أنه لا يجب التهوين من قيمة الثقافة العلمية فى بناء القاعدة الثقافية العامة، الدافعة إلى التقدم والإنجاز.

وفى هذا الصدد تتحمل المنظومة التعليمية، إلى جانب الأنساق الاجتماعية الأخرى، مسئولية كبرى فى ترسيخ مقومات ثقافة مشتركة متطورة، تفتح الآفاق للتنوع الفردى والجماعى فى فرض الإبداع والابتكار، واحترام الاختلاف فى الرؤى، واصطناع الحوار أداة للوفاق الوطنى والاجتماعى، والقضاء على مظاهر العنف أو الإرهاب فى فرض أفكار بعينها، دون اللجوء إلى الحوار العقلانى الديمقراطى. وقد تعرّضت كثير من مقالات الكتاب إلى دور التربية ومؤسّساتها ومنهاجها وطرائقها فى تحقيق التنوع المُبدع الخلاق فى خصوصيتنا الثقافية، وفى علاقاتها بالثقافة الإنسانية الأخرى.

وقد استهدفتُ من تناوُل المؤتمر لوثيقة (الخطة الشاملة للثقافة العربية) أن نقيّم الأشواط التى قطعناها نحو إنجاز تلك الأهداف المنشودة، ومدى الاقتراب منها.. لكن يبدو لى أننا إذا كنا قد تقدّمنا خطوة، فقد تراجعنا خطوتين، وفى بعض المواقع لم نتحرّك، بل ظللنا رواسى على ظهر الأرض. وأرجو ألا أكون قاسيا على نفسى وعلى القيّمين على أمورنا الإنمائية والثقافية، حين أختم هذا التقديم بقول الشاعر:

أرَى خلَلَ الرماد وميض نارٍ	ويوشك أن يكون له ضرامُ
فإن لم يُطفِها عقلاء قومٍ	يكون وقودَها جثث وهامُ
فقلت من التعجّب ليت شعرى	أأيقاظٌ أمية أم نيامُ

وبعد الانتهاء من كتابة تلك الأبيات، أبدأ فى قراءة الصحف، فتشدّ انتباهى وتوتّر مشاعرى مقتطفات من خطاب سمو ولى العهد السعودى، **الأمير عبد الله بن عبدالعزيز**، فى اجتماع القمة الخليجية (عمان/ مسقط/ ديسمبر ٢٠٠١) يقول الأمير: «لقد أخطأنا فى حق أمتنا العربية والإسلامية، ولا أستثنى أحداً.. لقد أخطأنا فى حقّ أمتنا حين سمحنا لعلاقتنا العربية والإسلامية أن تكون قائمة على الشك وسوء الظنّ،

بدلا من المفاتحة والمصارحة... وحين نشدنا العون من الغريب، ونسينا القريب، وحين فتحنا بيوتنا وأسواقنا لمنتجات الآخرين، وسددناها أمام المنتجات العربية والإسلامية».

ذلكم تشخيص عميق ودقيق للمشكلات التى تُنذر بتفسُّخ هويّتنا، وبهتان خصوصيتنا، وإشاعة أحوال القلق والإحباط فى مسيرتنا الثقافية / الحضارية. وفى تلك العبارات إشارات إلى سبُل الإنقاذ والخلاص والاقتدار، من أجل خصوصية مغايرة متمايزة منتجة، تتحقق -من خلالها- كرامة الوطن والمواطن، والإسهام الفاعل، أخذا وعطاءً ، فى مسيرة التقدم والرخاء الإنسانى، لنا وللبشر جميعا.

القاهرة : يناير ٢٠٠٢م

أ.د. حامد عمار

استهلال الكتاب الخامس

للمحرر

إذا كان موضوع (الإدارة الجامعية) - موضوع الكتاب السابق من كتب السلسلة- وموضوع المؤتمر السابع من مؤتمرات الجمعية المصرية للتربية المقارنة - موضوعا مهما، لأهمية الجامعة - وإدارتها- فى عالمنا المعاصر، وخاصة بعد اتضاح معالم النظام العالمى الجديد، واتضاح أهدافه ومراميه، وخاصة بالنسبة لنا فى العالم الثالث ، وبالنسبة للبلاد العربية والإسلامية بشكل أكثر خصوصية.. فإن موضوع (التعددية الثقافية) - موضوع هذا الكتاب الحالى من كتب السلسلة، وموضوع المؤتمر الثامن من مؤتمرات الجمعية - موضوع أكثر أهمية .

ذلك أن الجامعة وإدارتها أمر يتصل بالارتقاء بالحياة، وتحسين نوعيتها. بينما التعددية الثقافية اليوم - فى عصر الهيمنة الأمريكية، الصهيونية النزعة - أمر يتصل بوجودنا ذاته.. نكون فى هذه الحياة أو لا نكون.

صحيح أننا لن نكون فى هذه الحياة، إلا إذا نحن ارتقينا بحياتنا، وحسنّا نوعيتها، حتى نكون قادرين على حماية وجودنا ذاته، فى عالم صار الحق فيه مرتبطا بالقوة وحدها، وبقدرة هذه القوة على البطش، وعلى النهب والفتك بلا رحمة .. ولكن هذه القوة ذاتها لا يمكن أن تُوجَد، إلا إذا نحن أحسسنا بأننا موجودون على الأرض، بهوية محددة، واضحة فى الضمائر والعقول، وبأهداف محددة فى الحياة نسعى لتحقيقها، تحركنا نحو هذه الأهداف آلام وآمال، فجرها فى ذواتنا تاريخ، صنعناه بأيدينا، وتحركنا فى إطاره نحو واقعنا الذى نحياه، بآمال حققناها، وآمال أخرى فشلنا فى تحقيقها، ونسعى لهذا التحقيق.

وعلى أية حال، فلقد كُتب علينا أن نودع القرن العشرين غير آسفين عليه، فلقد كان هذا القرن غير المأسوف عليه قرنا دمويا، وكانت أكثر الدماء التى سالت على دربه هى دماؤنا نحن، بوصفنا مصنَّفين بين البشر من شعوب العالم الثالث ، وبوصفنا - وهذا هو الأهم- عربا ومسلمين.

وعلى الرغم من أن القرن العشرين كان قرن الغرب وحضارته، فقد كان - أيضا - قرن الإسلام وقرن غيره من أديان الشرق، السماوية منها والوضعية جميعا، إن لم يكن قرنها هى بالفعل أكثر مما كان قرن الغرب وحضارته.

ذلك أن حضارة الغرب مادية خالصة، وقد علمتنا تجربة التاريخ أن النظم التى تبنى نفسها ووجودها على المادة وحدها، إنما تحكم على نفسها بالزوال السريع، بنفس آليات هذه المادة وأدواتها. واقرأ معى - عزيزى القارئ - تاريخ كل حضارة من الحضارات العشرين، التى سبقت حضارة الغرب المعاصرة، التى لوثت القرن العشرين، فى كل مكان على أرض الله.

وحتى نكون منصفين، فإننا نقول: إن حضارة الغرب المعاصرة - المسيحية الأصل- قد اكتسبت كثيرا من آلياتها المادية الخانقة والقاتلة، من دين من أديان الشرق تلك، نزل من السماء، ولكن القوم حرَّفوا فيه تحريفا، ونسبوا إلى الله سبحانه ما لم يقل به، من مثل قوله لهم فى سفر الخروج [1]:

- « احفظ ما أنا موصيك اليوم. ها أنا طارد من قُدَّامك الآموريين والكنعانيين والحيثيين والعزريين والحويين واليبوسيين. احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض التى أنت آت إليها، لئلا يصيروا فخا فى وسطك، بل تهدمون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتقطعون سواريهم، فإنك لا تسجد لإله آخر، لأن الرب اسمه غيور. إله غيور هو » [الإصحاح الرابع والثلاثون : ١١-١٤].

ونتيجة لهذا التحريف وقفوا من المسيح موقف عداوة منذ البداية، وتصيد لأفعاله وأقواله جميعا، للإيقاع بينه وبين السلطة، على نحو ما نقرأ فى إنجيل متى[2] مثلا:

« حنيئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكى يصطادوه بكلمة، فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيرودسيين قائلين: يا معلّم، نعلم أنك صادق، وتعلّم طريق الله بالحق، ولا تبالى بأحد، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس، فقل لنا ماذا تظن ؟ أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟ فعلم يسوع خبثهم وقال: لماذا تجربوننى يا مراؤون ؟»- «أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله» [الإصحاح الثانى والعشرون : ١٥-٢٢].

لقد جاء المسيح -عليه السلام- لهدايتهم دون سواهم، على نحو ما نقرأ فى الإصحاح العاشر من إنجيل متى على سبيل المثال:

(١) السفر الثانى من أسفار العهد القديم.
(٢) هو الإنجيل الأول من أناجيل العهد الجديد.

- « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» [٥, ٦].

لقد حاولوا الفتك به - عليه السلام - كما حاولوا من قبل مع كل رسول أرسل إليهم لهدايتهم، على نحو ما نقرأ فى الإصحاح الثانى عشر من إنجيل متى أيضا :

- « فلما خرج الفريسيون ، تشاوروا عليه لكى يُهلكوه » [١٤].

وكانت النتيجة أنه صبّ جام غضبه على زعمائهم الدينيين، المعوّقين لمسيرته اساسا، حيث يقول موجّها حديثه إليهم، فى الإصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى كذلك :

- « لكن ، ويل لكم أيها الكتَبَة والفريسيون المراؤون . . ويل لكم أيها القادة العميان. . أيها الجهّال والعميان. . أيها الحيّات أولاد الأفاعى ، كيف تهربون من دينونة جهنم؟» [١٣-٣٣].

ثم هاهو ذا يوجه حديثه -بعد ذلك- إلى كل الشعب الذى يسير وراءهم، فى نفس الإصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى :

- «يا أورشليم. يا أورشليم. يا قاتلة الأنبياء، وراجمة المرسلين إليها. كم مرة أردتُ أن أجمع أولادك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها، ولم تريدوا. هو ذا بيتكم يُترك لكم خرابا» [٣٧، ٣٨].

لقد عاش اليهود مضطهَدين فى أوربا الكاثوليكية اضطهادا طوال العصور الوسطى، حيث أصدرت الكنيسة الكاثوليكية - بعد مجمع لاترين الرابع سنة ١٢١٥- قيودا ضخمة على حركة اليهود، وحيث كانت أوربا الغربية بأسرها منذ عام ١٥٠٠ وحتى عام ١٦٥٠ قد تخلصت من اليهود، باستثناء بعض المناطق فى إيطاليا وألمانيا، حتى كانت حركة التمرد على الكنيسة وعلى سلطانها، بالإصلاح الدينى، الذى بدأ بمارتن لوثر سنة ١٥١٦ ، فكان اتجاههم نحو مناصرة البروتستانت، المتمردين على الكنيسة الكاثوليكية، وخاصة فى ألمانيا وإنجلترا، ثم فى الولايات المتحدة الأمريكية، منذ بداياتها الأولى ، حتى تمكنوا - فى النهاية - من الإمساك بخناقها كله، على نحو

ما تبدّى بوضوح فى عام ٢٠٠٠م - العام المفصلى المختلَف عليه : أينتمى إلى القرن العشرين فيكون نهايته، أم أنه ينتمى إلى القرن الحادى والعشرين ، فيكون بدايته؟

ولم تكتف جماعة الضغط - أو جماعاته- الصهيونية (اللوبى) بأن تُمسك بخناق الولايات المتحدة حتى تكتم أنفاسها، بل إنها راحت- من خلال الولايات المتحدة- بعد أن صارت سيدة العالم كله بلا منازع- أن تخضع العالم كله، بما فى ذلك بلاد الغرب، والكاثوليكية منها بشكل خاص، التى عاشت تضطهدهم عبر التاريخ ، معتبرة إياهم قتَلة المسيح -عليه السلام- فانتزعت من المقرّ البابوى فى الفاتيكان التبرئة لهم من دمه.

ونذكّر هنا بأن الإسلام لم يقرّ بقتلهم المسيح -عليه السلام- ابتداء، حيث قال -سبحانه وتعالى- فى تلك الواقعة، وهو يتحدث عن اليهود وطباعهم وأخلاقهم وأساليب حياتهم ، حتى مع أنبيائهم: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء].

لقد كان الذى شُبّه لهم فقتلوه وصلبوه، هو يهوذا الإسخريوطى ، أحد حوارييه (تلاميذه)، الاثنى عشر، والذى باعه لهم، على حد ما نقرأ فى الإصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى [1] مثلا:

---

(١) وهذه القصة نفسها مذكورة - بعبارات مختلفة قليلا- فى إنجيل مرقس - الإصحاح الرابع عشر : ١٠، ١١، وفى إنجيل لوقا - الإصحاح الثانى والعشرين : ٣-٦، أما فى إنجيل يوحنا ، فإن القصة كلها مروية على نحو آخر، أطول كثيرا، فى الإصحاحات الأربعة من الإصحاح الحادى عشر إلى الإصحاح الرابع عشر.

- « حينئذ ذهب واحـد من الاثنى عشر، الذى يُدعى يهوذا الإسـخريوطى ، إلى رؤساء الكهنة وقال: ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه إليكم، فجعلوا له ثلاثين من الفضة، ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلّمه» [١٤-١٦].

وجاء وقت تنفيذ الصفقة، ونتمّم المسيرة مع نفس الإصحاح السادس والعشرين من نفس الإنجيل - إنجيل متى ، لنراه يقول عن سـاعة الصفر، وقد كـان المسيح بين تلاميذه يكلمـهم، «وفيما هو يتكلم ، إذا يهـوذا ، أحد الاثنى عشر، قد جـاء ومعه جمع كثـير، بسيوف وعـصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشـعب. والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا: الذى أقبّله هو هو أمسكوه . فللوقت، تقدم إلى يسوع، وقال: السلام يا سيدى وقـبّله ، فقال له يسوع: يا صاحب لماذا جئت؟ حينئـذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه » [٤٧-٥٠].

ولأن كتاب الإسلام يـقول منذ البداية: إنهم ما قتلوه وما صلبـوه، ولكن شُبّه لهم، فـقد كـان الإسلام هدفـا من أهداف الكنيـسة الكاثوليكـية منذ البـداية، بدليل الحروب الصليبية التى طالت، وكان هدفها القدس الشريف . . ولأن الإسلام ظل هو الذى استعـصى على اليهود -رغم الإسرائيليات- أن يقـتحموه ، ليخـرّبوه، فقد ظل هدف اليهود، الذين لعنهم الله، حتى على لسان أنبيائهم ، على حد ما نقرأ فى قول الله سبحانه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١)﴾ [المائدة].

وقد خطّط هؤلاء اليهود، الفاسقـون الذين لعنهم الله فى كل كتاب، للتضييق على الإسلام بشـتّى السبل، فكان تخطيطهم لتكون مـقدسات المسلمـين بين أيديهم، فلما تحـقق لهم ذلك فى فلسطين سنة ١٩٦٧ ، وتحقق لهم جزئيـا من خلال الولايات المتحـدة بعد غزو العراق للكويت سنة ١٩٩١ ، وانتـشار جيوشـها فى أرض الخليج ، باسم حماية الخليج وأهله، راحـوا يتمّون المخطط، وحددوا له بداية الألفيـة الثالثة . . لولا انتـفاضـة الأقصـى، التى عطلت كل المخططات، والتى ربما قـادت إلى أن تأتى الرياح لهم بما لا تشتهى السفُن.

ونعود إلى سورة الإسراء[1] من بدايتها لنقرأ قول الله سبحانه: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً ۝٢ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝٨ ﴾ [الإسراء].

المخطط اليهودى واضح إذن، وإشارات القرآن إلى مثله أوضح، ومن ثم كان تفكيرنا فى القضية مع هذا العام المفصلى (عام ٢٠٠٠م) منطقيا، وكأن النظام العالمى الجديد تحديدا يكشف عن هويته شيئا فشيئا، ليتضح أنه نظام أمريكى - يهودى - صهيونى صرف، حيث صار ينظر إلى من يخضع للنفوذ الصهيونى فى العالم، على أنه مواطن عالمى صالح، مثلما صار يُنظر إلى من يرفض هذا الخضوع على أنه إرهابى، مُعاد للسامية - خاصة وأن القضية وصلت إلى التربية، بمؤسساتها المختلفة، النظامية وغير النظامية جميعا.

لقد صرنا جميعا فى مصر مثلا نشكو من تهميش اللغة العربية فى مدارسنا ، ومن تهميش كل شىء يتصل بمصر، سواء جغرافيتها وتاريخها، وكل عناصر الحياة على أرضها، فى الوقت الذى صار هناك اهتمام واضح لا يمكن تبريره ، بكل ما هو غربى، وأمريكى خاصة، باسم (العالمية) أو (العولمة) أو اللحاق بركب التقدم.. كما لو كان الطريق إلى العالمية ، هو القفز فوق المحلية، وعبر تغافلها وتجاوزها، ناسين أن أديبنا الكبير نجيب محفوظ، الذى نفخر به جميعا، قد وصل إلى هذه العالمية، من خلال (أولاد حارتنا)، و(زقاق المدق).. البالغة المحلية ، على سبيل المثال.

إن المحلية ، هى هى ، لا سواها، الطريق إلى هذه العالمية المرادة بلا شك ، فهذا هو منطق التاريخ، ومنطق الحياة، كما يراه التربويون، وكما يراه أى مواطن

(١) السورة رقم (١٧) من المصحف الشريف.

وطنى، حريص على هذا البلد.. حاضره ومستقبله جميعا، رغم اتهامه بالإرهاب، وبالتخلف، والتحجر، وبقصور النظر جميعا.

كان ذلك كله حاضرا أمامنا، ونحن نعدّ لاستقبال هذا العام المفصلى (عام ٢٠٠٠م)، ومن ثم كان وضوحه فى برنامج عمل المؤتمر، الذى نقلنا وقائعه فى كتاب المؤتمر، والذى صدر فى ٤٦٤ صفحة، والذى قمت بتحريره مرة ثانية، ليكون هذا العمل الذى بين يديك عزيزى القارئ.

كانت الجلسة الأولى فى المؤتمر، التى عُقدت صباح السبت ٢٢ يناير عام ٢٠٠٠م، جلسة افتتاحية، ولكن محور الكلمات التى قيلت فى هذه الجلسة، اتجهت وجهة المؤتمر تلك، ومن ثم كان منطقيا - عندما تحولت أعمال المؤتمر إلى هذا الكتاب - أن يكون عنوان الفصل الأول منه- الذى يدور حول ما تم فى هذه الجلسة الأولى - هو: **نحن والعولمة والصليبية الجديدة**.

وقد خُصصت الجلسة الثانية من جلسات المؤتمر لمحاضرة **الأستاذ الدكتور مراد وهبه**، التى كان عنوانها **مفهوم الإنسان فى الألفية الثالثة**، وكان ما طرحه **الدكتور مراد** فى المحاضرة مثيرا كعادته، ومستفزّا كعادته أيضا، ومثيرا لكثير من التعقيبات الأكثر إثارة واستفزازا.

وقد كانت الجلسة وعنوانها هى موضوع الفصل الثانى من فصول الكتاب، بنفس عنوان هذه الجلسة الثانية.

أما الفصل الثالث من فصول الكتاب، فإنه يحمل عنوان **التعدّدية الثقافية من منظور سيكولوجى**، وهو نفس عنوان الجلسة الثالثة من جلسات المؤتمر، التى كان بطلها **الأستاذ الدكتور فؤاد أبو حطب**- يرحمه الله- والتى شاء الله سبحانه أن تكون متممة للجلسة السابقة عليها، وحاسمة لكثير من الجدل -المفيد والممتع- الذى دار فيها، ليخرج القارئ من الفصلين -والجلستين- برؤية واضحة، عما يمكن أن يكون عليه الإنسان الفرد، والمجتمع، فى هذا القرن القادم الغامض، بعد القرن المائج المضطرب، الذى كان يلفظ أواخر أنفاسه أيام انعقاد المؤتمر.

وأما الفصل الرابع من فصول الكتاب، فإنه يحمل عنوان **التعددية الثقافية وأبعادها التربوية: رؤية تحليلية**، وهو هو العنوان الذى اختاره **الدكتور محمد وجيه الصاوى**، ليكون عنوانا للمحاضرة التى ألقاها فى الجلسة الرابعة من جلسات المؤتمر، لتكون -المحاضرة والفصل- أول انتقالة فى المؤتمر من خارج التربية إلى إطارها.. أو

لنقل: لتكون أول (توظيف) لما هو خارج التربية، لخدمة أهداف التربية وقضاياها، ولتركز على القضايا الشاغلة لنا فى المؤتمر منذ البداية، وهى قضايا العولمة والتغريب وغيرها، فى مجال التربية وآليّاتها هنا.

وأما الفصل الخامس من فصول الكتاب، فإنه يحمل عنوان **سياسة التعليم والتعددية الثقافية فى الألفية الثالثة** ، وهو هو العنوان الذى اختارته الدكتورة منى أبوسنه ليكون عنوانا للمحاضرة التى ألقتها فى الجلسة الخامسة من جلسات المؤتمر، وهى محاضرة مركزة قصيرة نسبيا، كما كانت محاضرة **الدكتور مراد وهبه** ، التى استعرضناها واستعرضنا ما دار حولها فى الفصل الثانى ، وإن كانت تحمل رؤى أقرب إلى رؤى المؤتمر، ورؤى المشاركين فيه، ومن ثم كانت التعقيبات حولها أكثر تأييدا لها وتعميقا لمفاهيمها، أكثر مما كانت التعقيبات التى دارت حول الجلسة الثانية، كما رأيناها فى الفصل الثانى .

وأما الفصل السادس من فصول الكتاب، فإنه يحمل عنوان **التعليم وإدارته فى مواجهة الهيمنة الثقافية**، وهو عنوان بديل لعنوان الجلسة السادسة من جلسات المؤتمر، حيث كانت الجلسة (جلسة الدراسات)، فرأينا أن الدراسات وما دار حولها من تعقيبات، إنما تعكس هذا المعنى الذى اخترناه عنوانا للفصل.

والدراسات المقدمة فى هذا الفصل، والتى دار حولها عمل الجلسة، أربع دراسات، تدور أولاها حول تعزيز الهوية فى مواجهة الهيمنة الثقافية، وتدور الثانية حول الهوية الثقافية فى ظل الهيمنة، وتدور الثالثة حول تأثير التعددية الثقافية على النظم التعليمية ، وتدور الرابعة - والأخيرة - حول الإدارة المدرسية والتعدّدية الثقافية.

ويصل عدد صفحات هذه الدراسات وحدها إلى ١٥٠ صفحة فى كتاب المؤتمر (من ص١٩٧ إلى ص ٣٤٧)، ومن ثم رأينا الاكتفاء بتقديم ملخص لكل منها، ما بين صفحتين وأربع صفحات ، ورأينا الالتزام بتقديم التعقيبات عليها، تحقيقا للفائدة المرجوة من الكتاب، متدخلين فقط - فيما نراه كلاما مكررا، بالحذف أو إعادة الصياغة.

وأما الفصل السابع من فصول الكتاب، فهو يدور حول **لغة الحوار** ، الذى اتخذ عنوانا للجلسة السابعة من جلسات المؤتمر، وعنوانا للفصل السابع من هذا الكتاب أيضا.

ويدور الفصل حول ثلاث محاضرات، دارت حولها تعقيبات ومناقشات، ورأينا العنوان الأكثر مناسبة للمحاضرة الأولى هو **(التربية وحوار الثقافات)**، وقد قدم المحاضرة **الدكتور حسن عبد العال**، كما رأينا أن العنوان الأكثر مناسبة للمحاضرة الثانية هو **(لغة الرياضة فى عالم متعدد الثقافات)**، وقد قدم المحاضرة **الدكتور أمين أنور الخولى** ، كما قدم المحاضرة الثالثة **الدكتور محمد يونس الحملاوى** ، وكان عنوان محاضرته هو **(دراسة مقارنة لتدريس المواد العلمية باللغة العربية)**.

وهكذا تتكامل المحاضرات الثلاث وتتناغم، لتتنقل بين عالم التربية على اتساعه، وعالم الرياضة على اتساعه أيضا، وعالم التدريس، أو لغة التدريس خاصة، لتحقيق هدف بالغ الأهمية من أهداف موضوعنا الكبير.

وأخيرا نصل إلى الفصل الثامن من فصول الكتاب ، الذى يحمل عنوان **تربية الأطفال لعالم الغد - التجربة الألمانية** ، وهو يدور حول المحاضرة الرائعة، التى قدمها **الدكتور هارم باشن** Harm Paschen عن التجربة الألمانية فى تربية الأطفال الألمان لمواجهة عالم الغد ، وقد قدم **الدكتور باشن** المحاضرة كاملة باللغة الألمانية، ووضعناها باللغة الإنجليزية فى نهاية الكتاب بمراجعها، مكتفين بتقديم ملخص لها، يضم أهم محاورها، وهو الملخص الذى وزعناه مطبوعا على المشاركين فى المؤتمر، ليستطيعوا متابعتها، ومناقشة المحاضِر فيما أثاره من قضايا فيها.

وقد كانت المحاضرة رائعة رائعة، استفدتُ منها أنا شخصيا إفادة كبيرة ، كما قلتُ فى تعقيبى عليها ، فى الجلسة.

ثم نختم الكتاب بالفصل التاسع، وهو فصل صغير، ولكنه مهم ، لأنه يدور حول **توصيات المؤتمر**، التى تلخص - فى واقع الأمر - ما دار طوال المؤتمر من أطروحات ومناقشات ، ومن ثم خصّصنا لها - رغم صغر حجمها - فصلا بأكمله.

* * *

وبعد هذا العرض السريع والمقتضب لفصول الكتاب التسعة .. أعتقد أنك تتفق معي - عـزيزى القارئ - على أن مـسار العـمل منذ بدايته وحـتى منتهـاه ، يعكس توجساتنا التى كانت منذ البداية ، وعلى أن العمل الذى بين يديك الآن، والذى قمتُ بتحريره لك، يستطيع أن يسـاعد فـى فهـم الحاضـر الذى نعيشه، ورسم صورة دقيقة -إلى حد بعيد- للمستقبل الذى ينتظرنا فى الألفية الثالثة، التى بدأنا نضع أقدامنا على أبوابها فعلا.

وآخرِ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين .

صفر : ١٤٢٣هـ

أبريل : ٢٠٠٢ م

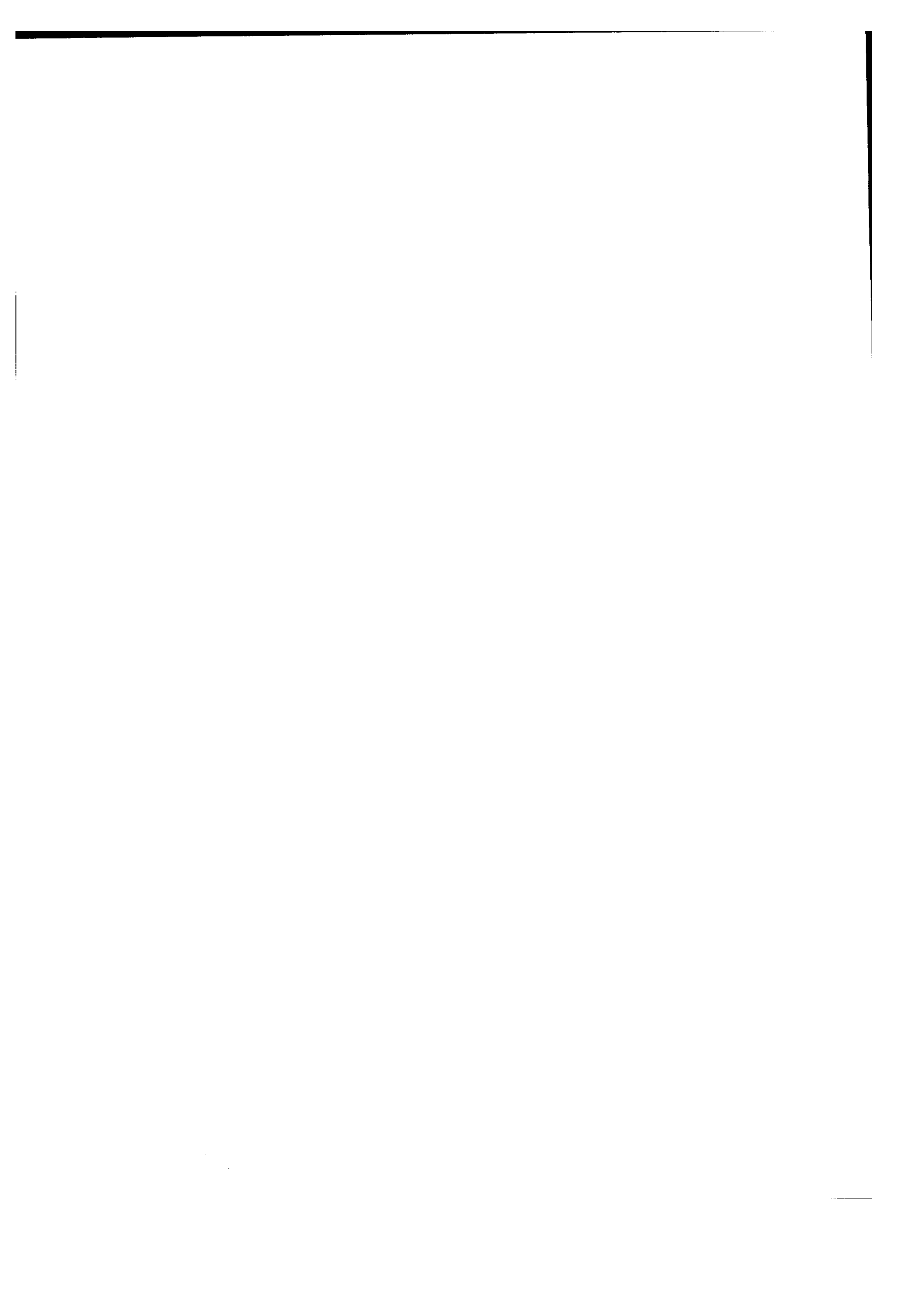
دكتور عبد الغنى عبود

١

الفصل الأول

نحن والعَولَمة والصليبية الجديدة





الفصل الأول
نحن والعولمة والصليبية الجديدة[1]

١-١- الجمعيات العلمية التربوية فخر لنا جميعا[2]:

١-١-١- يبدأ الدكتور محمد أمين المفتى - عميد كلية التربية - جامعة عين شمس- ومُضيف المؤتمر- كلمته بالترحيب بالجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية، ومركز تطوير التعليم الجامعى بجامعة عين شمس، وبتحية تعاوُنهما على طريق مؤتمر (التربية والتعددية الثقافية مع مطلع الألفية الثالثة)، وتحية توجههما نحو عدة مفاهيم وقضايا جديدة، صارت شاغلة لنا جميعا مع نهايات القرن العشرين، كالعولمة، والتعددية الثقافية، والجودة، والمعلوماتية، والموازنة بين العالمية والمحلية، وغيرها، حيث تقوم المراكز والجمعيات العلمية -التى تشرف عليها الكلية أو تستضيفها- بجهود علمية فى دراسة هذه المفاهيم والقضايا وتحليلها، ومناقشة انعكاساتها على نظم التربية ومؤسسات التعليم، واقتراح الأدوار المتوقعة للتربية ولعلم النفس فى مواجهة ما ينتج عن هذه القضايا من إشكاليات أو تحدِّيات.

١-١-٢- كما يرى أن هذه الجهود تمت ترجمتها إلى مؤتمرات وندوات علمية، نذكر منها - على سبيل المثال لا الحصر- المؤتمر الحادى عشر للجمعية المصرية للمناهج وطُرق التدريس، الذى عُقد فى يوليو عام ١٩٩٩م، وتناول -بالبحث والدراسة- التحدِّيات التى تواجه مناهج التعليم فى عصر العَولَمة ، كما عقد كل من مركز الإرشاد النفسى ومركز تطوير التعليم الجامعى مؤتمرين، فى نوفمبر عام ١٩٩٩، تناول فيه الأول منهما فيه جودة الحياة كتوجه قومى للقرن الحادى والعشرين، أما الآخر فتناول التنمية المِهنية لأستاذ الجامعة فى عصر المعلوماتية.

١-١-٣- ويُنهى الدكتور محمد المفتى كلمته بقوله: إن الجهد العلمى الذى أشرتُ -بإيجاز- إلى جانب منه، يعكس مدى التكامل العلمى والفكرى بين المراكز والجمعيات العلمية بالكلية، وبدعوته لهذه المراكز والجمعيات العلمية إلى أن تكامل بين جهودها العلمية ومجالات تخصُّصاتها، لعقد مؤتمر علمىّ عامٍ، تتناول فيه قضية بِناء الإنسان المصرى لمواجهة تحديات الألفية الثالثة.

---

(١) هذا الفصل تسجيل -بتصرُّف- لوقائع الجلسة الافتتاحية لمؤتمر (التربية والتعددية الثقافية مع مطلع الألفية الثالثة) التى عُقدت صباح يوم السبت ٢٧ يناير سنة ٢٠٠٠م.

(٢) من كلمة الأستاذ الدكتور محمد أمين المفتى، عميد كلية التربية - جامعة عين شمس، ومُضيف المؤتمر، فى بداية الجلسة الافتتاحية للمؤتمر.

١-٢- النظام العالمى الجديد وطمس الهويات الثقافية للشعوب[١]:

١-٢-١- ثم ننتقل إلى كلمة **الأستاذ الدكتور أحمد إسماعيل حجى**، مقرّر المؤتمر، الذى يبدأ كلمته بقوله إنه يرى - فى تجمّعنا هذا - اهتماما كبيرا بقضية التربية، وقضية الوحدة الثقافية، حيث يعكس هذا الجمع -فى تنوّعه- العديدَ من الأمور، منها تمثيل الجامعات المصرية، كجامعة الأزهر، وجامعة عين شمس، وجامعة الزقازيق، وجامعة حلوان، وغيرها من الجامعات المصرية، مثلما يعكس الحضور العربى فى هذا المؤتمر، وكذلك قضية الهوية الثقافية، وأهمية التأكيد عليها، من مدخل عربى إسلامى.

١-٢-٢- ثم ينتقل **الدكتور أحمد** إلى موضوع المؤتمر، الذى رآه موضوعا حيويا وهاما عن التربية والتعددية الثقافية، إذ إن ثمة علاقة جدلية بين التربية والثقافة، فالتربية عملية اجتماعية تقدم الفرد إلى المجتمع، وتقدم المجتمع إلى الفرد، وهى -من هذه الزاوية- تنهل من ثقافة المجتمع.. ماضيها وحاضرها ومستقبلها : تدرُسها، وتنقّيها من شوائبها، وتصوغها خبرات يكتسبها الفرد. والثقافة ترقى بمجتمع أُحسِنت تربيتُه وتعليمه ..مجتمع متعلم، يفهم الثقافة ويرقّيها.

١-٢-٣- كما رأى أنه مما يؤكد أهمية موضوع المؤتمر، أننا نعيش فى فترة تشهد متغيرات عالمية وإقليمية ومحلية جذرية ..فترة ظهر فيها توجّه نحو العولمة بتجلّياتها السياسية والاقتصادية والثقافية والاتصالية. ويكفى - فى المجال الثقافى- أن نرى أن ثمة ثقافة كونية، تتأكد من تعرض الإنسان -أينما وُجد- لرسائل إعلامية وثقافية، تصدُر عن الغرب بعامة، والولايات المتحدة بخاصة، بشكل يجعل هناك تخوّفا من محو الخصوصيات الثقافية، وبالذات الخصوصية الثقافية العربية والمصرية.

١-٢-٤- وبعبارة أكثر وضوحا، يرى **الدكتور أحمد** أن السعى حثيث متواصل، وبقوة، من هذا القطب المسيطِر الآن على النظام العالمى الجديد، لطمس الثقافات الوطنية، وبخاصة فى البلاد ذات الأصالة الحضارية، ونحن منها، تسييدا لثقافته الوليدة.. ثقافة الاستهلاك والجنس والعنف، فى بلاد هى بحاجة إلى التماسُك الاجتماعى، وإلى العمل الجادّ، والإنتاج المتميز.

---

(١) من كلمة الأستاذ الدكتور أحمد حجى ، عميد كلية التربية جامعة حلوان، ومقرر المؤتمر، فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر.

١-٢-٥- ومن هنا كانت هناك حاجة ماسة - فى نظر **الدكتور أحمد**- إلى ترقية الوضع الثقافى العربى، وهو وضع يحتاج إلى التغيير العميق، بسبب ما يشهده من انتشار للأمية، وافتقار إلى أساسيات التفكير العلمى، وتسيُّد تقاليد بالية تعوق التقدم، ومناخ سياسى لا يدعم التميز.

١-٢-٦- ثم يختتم **الدكتور أحمد** بقوله: إن ثمة دعوة ملحّة إلى التأكيد على التنوير والتنوُّر الثقافى ، وإلى أن تتبنى النخَب السياسية والتربوية، الحركة التنويرية والعربية، بحيث يكون هدفها بناء الإنسان بناء سليما، حتى يستطيع أن يؤدّى دوره المنوط به على الوجه المطلوب، للنهوض بمجتمعه ، ذى الخصوصية الثقافية العربية الإسلامية، غير غافل عن المتغيرات الخارجية،والتقدم العلمى والتكنولوجىّ الذى يعيشه العالم، لنكون فاعلين مُنتجين للمعرفة، لا مجرد مستهلِكين لها. . نحافظ على هويّتنا، دون عُزلة عن الآخرين، بالمنهج الواسع للعزلة الذى يشمل كافة الوسائط، وهنا يظهر دور التربية الأسرية والمدرسية والإعلامية وغيرها، فى تبنّى هذه الحركة التنويرية، التى ندعو إليها.

١-٣- الجمعيات العلمية التربوية تتعاون وتتآزر[١]:

١-٣-١- ثم ننتقل إلى كلمة **الأستاذ الدكتور محمود كامل الناقة**، مدير مركز تطوير التعليم الجامعى بجامعة عين شمس، التى يبدؤها بالتهنئة بعيد الفطر المبارك والعام الجديد جميعا، ثم ينتقل إلى الإشادة بالتعاون بين الجمعية المصرية للتربية المقارنة وبين مركز تطوير التعليم الجامعى ، وبين التعاون بين المركز والجمعية المصرية للمناهج وطُرق التدريس كذلك، ومع الجمعية العامة لرعاية النابغين، ومع الجمعية المصرية لعلم النفس، ومع الجمعية المصرية للرياضيات، ومع الجمعية المصرية للعلوم، حتى صرنا نشكل الآن هيئة للعمل كجماعة واحدة، وفى تشكيل واحد.

١-٣-٢- ثم ينتقل **الدكتور محمود** إلى الموضوعات التى يتم تناوُلها فى مؤتمرات هذه الجمعيات، ليراها جميعا تدور فى فلك واحد، وتصدُر عن فكر واحد، يتصدّى -فى النهاية- لمفهوم العولمة، بهدف الحفاظ على ولائنا وانتمائنا لوطننا، ولثقافتنا ولِلُغتنا ، ولوحدتنا الوطنية.

---

(١) من كلمة الأستاذ الدكتور محمود كامل الناقة، مدير مركز تطوير التعليم الجامعى بجامعة عين شمس، ونائب رئيس المؤتمر، فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر.

١-٣-٣- وأخيرا يختم الدكتور محمود بالترحيب بالحضور، متمنيا لهذا المؤتمر أن يصل إلى قرارات وتوصيات، يمكن أن تكون إسهامة فعالة فى ميدان بناء الإنسان المصرى وتفرّده، وإن شاء الله يظل متفردا بثقافته، وغير خاضع لعوامل العولمة التى نتصدّى لها جميعا.

١-٤- المعانى المختلفة للعولمة [١]:

١-٤-١- ثم ننتقل إلى كلمة **الأستاذ الدكتور حسن أحمد غلاب**، رئيس جامعة عين شمس، وراعى المؤتمر، التى يبدؤها بالتهنئة بعيدى الفطر المبارك، والميلاد المجيد، اللذين رآهما يأتيان ملتحمين هذا العام، لحكمة أرادها الله سبحانه.

١-٤-٢- ثم ينتقل **الدكتور حسن** إلى الحديث عن سعادته لما يراه من نشاط متميز لمركز تطوير التعليم الجامعى، وللدور الذى يقوم به فى خدمة جامعة عين شمس، وغيرها من الجامعات المصرية، ولأنه يضع يده فى يد الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية للمرة الثانية، لعقد هذا المؤتمر، الذى يجىء وسط مجموعة من الأحداث العالمية، التى تُلقى بظلالها على سائر دول العالم، ومنها مصرُنا الحبيبة. وقد بدأت خيوط هذه الأحداث تظهر مع بدايات العقد الأخير من القرن الذى احتفلنا بتوديعه فى مصر منذ أيام، ثم أخذت هذه الخيوط تتجمّع وتتشكل، لتتبدّى ملامحُها فى هذه الأيام، حيث صارت كلمة «العولمة» من الكلمات التى يعرفُها الناس جميعا، ويرددونها من كثرة ما سمعوها، ورأوا ممارساتها تجرى على أرض الواقع فى كل مصر من أمصار العالم، وإن كانت أكثر ظهورا فى أمصار المنطقة التى نعيش فيها، لأسباب يعرفها الجميع.

١-٤-٣- ويرى **الدكتور حسن** أن للعولمة معانى عدة، منها ما أشار إليه القرآن الكريم فى [سورة الحجرات] موجّها خطابه للناس جميعا: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾**﴾، ومنها ما نراه يُمارس على أرض الواقع الآن، من هيمنة غاشمة، يمارسها القوى ضد الضعيف، والغنىّ ضد الفقير، وصاحبُ الباطل ضد صاحب الحق، حتى ظهر ضررُها واضحا للجميع، وحتى بدأت الشعوب التى كانت

(١) من كلمة الأستاذ الدكتور حسن أحمد غلاب، رئيس جامعة عين شمس، وراعى المؤتمر، فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر.

متحمِّسة لها فى البداية، تتخذ منها موقفا، كذلك الموقف الذى رأيناه فى مدينة «سياتل» الأمريكية منذ أيام أيضا، مع أنها مدينة تقع فى القلب من سيدة النظام العالمى الجديد، رائدة العولمة، ورائدة الهيمنة جميعا.

١-٤-٤- كما يرى أنه إذا كانت العولمة قد تحولت فى هذه الأيام إلى هيمنة أمريكية.. هيمنة سياسية، وهيمنة اقتصادية، وهيمنة ثقافية.. فإن نُظُم التعليم لن تستطيع أن تعيش بمنأى عن هذه الهيمنة، وأن الثقافة إنما هى إفراز بيئة بعينها، ومن ثم كان تنوعها باختلاف البيئات التى أفرزتها، هو تنوع واختلاف يُثرى الثقافة الإنسانية، ومجرد توحيد هذه الثقافة إنما يحكُم على هذه الثقافة الإنسانية بالفَنَاء، ومن ثم يحكم على الإنسانية بالتخلُّف والانتحار، فمن حكمة الله أنه خلق الناس مختلفين، ليكمّل بعضهم بعضا، ويُثرِى أحدُهم الآخر.

١-٤-٥- ثم يختم **الدكتور حسن** بقوله: إنه من هنا تأتى أهمية هذا المؤتمر، فى هذا الوقت بالذات، حيث يفتح برنامج عمل المؤتمر ليرى هذه القضايا الشاغلة واردة فيه، بدءا من الجلسة الأولى، التى تلى هذه الجلسة الافتتاحية، والتى يتحدث فيها **الأستاذ الدكتور مُراد وهبه**، عن مفهوم الإنسان والألفية الثالثة، وانتقالا منها إلى محاضرة **الأستاذ الدكتور فؤاد أبو حطب**، عن التعددية الثقافية من منظور سيكولوجى، ثم انتقالا إلى محاضرة **الأستاذ الدكتور وجيه الصاوى**، عن التعددية الثقافية وأبعادها التربوية، ثم محاضرة **الأستاذة الدكتورة منى أبو سنه**، عن سياسة التعليم والتعددية الثقافية فى الألفية الثالثة... وهكذا.

إنه يرى برنامج عمل المؤتمر برنامجا خصبا، أُعدَّ إعدادا جيدا، ويرى المشاركين فيه أناسا لهم اقتدارُهم العلمى والأكاديمى، ويعرف عن المشاركين فى مؤتمرات الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية أنهم ذوو قُدرات خاصة، وأنهم سيزيدون الموضوعات المطروحة ثَراء.

١-٥- *الصليبية الجديدة تكشر لنا عن أنيابها*[1]:

١-٥-١- ثم ننتقل إلى كلمة **الأستاذ الدكتور عبد الغنى عبود**، رئيس المؤتمر، الذى يبدأ بالحمد لله رب العالمين، والصلاةُ والسلام على المبعوث رحمة للعالَمين،

(١) من كلمة **الأستاذ الدكتور عبد الغنى عبود**، رئيس الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية، ورئيس المؤتمر، فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر.

سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. . ثم ينتقل إلى التساؤل: هل هو مؤتمر الجمعية الأخير فى القرن العشرين، كما أعتقد أنا شخصيا، أم أنه مؤتمر الجمعية الأول فى القرن الحادى والعشرين، كما يُفهَم من احتفالات وزارة الثقافة المُشينة فى منطقة الهرم، قبل عيد الفطر المبارك؟

إن يومنا هذا هو يوم السبت الرابع من يناير، وهو يوافق -بالتاريخ الميلادى- ٢٢ يناير سنة ٢٠٠٠م، ويوافق -بالتاريخ الهجرى- ١٦ شوال سنة ١٤٢٠هـ، كما يوافق ١٤ طوبة سنة ١٧١٦ بتقويمنا المصرى -القبطى- القديم. . وإذا كنا نحتفل بتوديع ألفية، واستقبال ألفية جديدة، فأية ألفية نستقبل: هل هى الألفية الميلادية، أم الألفية العربية - الهجرية، أم الألفية المصرية القديمة ؟!

١-٥-٢- ومن هذا التساؤل، ينتقل **الدكتور عبد الغنى** إلى سؤال آخر لابد أن يفرض نفسه، هو : هل هذا هو المؤتمر الأول بالنسبة لقرن جديد، أم الأخير بالنسبة لقرن نستعد -هذا العام- لتوديعه؟

وهكذا نجد أنفسنا -مع **الدكتور عبد الغنى**- أمام مؤتمر له خصوصيته، فهو يقع فى عام مفصَلىّ، بالغ التأثير فى مستقبل أهل الأرض، وخاصة أولئك الذين يعيشون فى النصف الجنوبى من الكرة الأرضية.

١-٥-٣- ويرى **الدكتور عبد الغنى** أننا ننتقل من قرن دمَوى قاس عنيف، فمازلنا - حتى الآن- نسمع عما يجرِى فى الشيشان، وفى كل مكان من الأماكن التى تقع على أرض الله. . إلى قرن نأمل أن تستفيد الإنسانية فيه من أخطائها فى القرن السابق، وأن تنحُو نحوَ شىء من السلام مع النفس، ومن السلام مع الغير، وإن كان ذلك يبدو أمرا بعيد المنال.

١-٥-٤- ذلك أن البشرية - فى نظر **الدكتور عبد الغنى** - قد وقعت -منذ عشر سنوات- ومع بداية النظام العالمى الجديد -أسيرة للِّيبرالية الأنجلو-سكسونية، متمثلة فى الولايات المتحدة الأمريكية، التى هى نفسها أسيرة للفكر اليهودى الصهيونى، الذى يستعجل نهاية القرن، استعجالا منه لنهاية العالم، وللمعركة الحاسمة بين الخير والشر. . بين الخير الذى يرون أنفسهم يمثّلونه، وبين الشرّ الذى يرون غيرهم يمثله، وخاصة نحن العرب والمسلمين.

١-٥-٥- **ويرى الدكتور عبد الغنى أن فكرة نهاية العالم تلك، والتى هى فكرة توراتية بالدرجة الأولى، تفكيرا، وتخطيطا، وتنظيما، وتحريكا، قد دفعته إلى أن يعيد** قراءة التوراة (العهد القديم) مرة ثانية، واستسمح أعضاء المؤتمر أسفارُها -فى نهاية الكلمة- فى أن يشنّف آذانهم - على حد تعبيره- ببعض ما استوقفته أسفارُها من كلمات، بوصفها ستكون محرّك الحياة من حولنا، سواء كانت هذه الحياة تسير نحو نهاية العالَم، كما يرى أهل الأصولية البروتستانتية (**البيوريتان Puritans**)، الذين هم أكثر صهيونية من اليهود أنفسهم.. أو أنها تسير فى نحو مضادّ لما يقولونه، مذكرا هنا بأن أشهر المجامع المقدّسة على الإطلاق، بعدَ المجمع الأول، وهو مجمع نيقية، الذى عُقد فى ٢٠ مايو سنة ٣٢٥م، هو المجمع الذى قسم الكنيسة الموحّدة، إلى كنيستين، هما الكنيسة الشرقية، والكنيسة الغربية.. بأن أشهر هذه المجامع، كان المجمع التاسع عشر، الذى استمرّ انعقادُه من سنة ٥٤٢م إلى سنة ٥٦٣م، وفيه تمّ الرد على البروتستانتية، التى تحكُم العالم الآن، كما نعرف، ونرى، ونعيش.

١-٥-٦- لقد كان هؤلاء البيوريتان -**فى نظر الدكتور عبد الغنى**- متمردين على مجتمعاتهم الغربية، فقد كانوا من المُغالين البروتستانت، حيث أفرزت الحركة البروتستانتية - بعد الإصلاح الدينى فى الغرب - جماعة متمرّدة على الكاثوليك والبروتستانت جميعا، هى جماعة البيوريتان، التى رفض أفرادُها إلقاء السلاح فى الحرب المقدّسة الدائرة بين الفريقين، منذ تفجّر الإصلاح الدينى سنة ١٥١٥.. مما جعلهم منبوذين، من الكاثوليك ومن البروتستانت جميعا، ومما جعلهم يرمون بأنفسهم فى أحضان اليهود، بعد أن لفظهم العالمُ المسيحى كله.. فى أحضان اليهود المضطّهدين مثلهم من الكنيسة الكاثوليكية، ومن ثم كان البيوريتان- فى التاريخ المسيحى الغربى - أشبه بالخوارج فى التاريخ الإسلامى.

١-٥-٧- ويرى **الدكتور عبد الغنى** أن **البيوريتان** الذين يهيمنون على الولايات المتحدة الأمريكية اليوم، ويوجّهون سياستها، يؤمنون بالعهد القديم، كتاب اليهود، وهم أكثر صهيونية من اليهود أنفسهم، وهذا هو ما يفسّر الانحياز غير المحدود من النظام الأمريكى لأفكار اليهود، مثلما يفسر الاحتضان الأمريكى غير المحدود، للأفكار الصهيونية، منذ القرن التاسع عشر خاصة.

١-٥-٨- وتقوم فكرة نهاية العالَم -كما نراها فى العهد القديم عند **الدكتور عبد الغنى** - على أساس أن الله خلق الكون فى سبعة أيام، وأن اليوم عند الله يقابل ألف سنة مما نعدّ، وأن عملية الخلق تمّت سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد، وهذا أمر مُضحك من الناحية التاريخية بطبيعة الحال، مما يعنى أن الخليقة موجودة -عندهم- منذ ستة آلاف سنة فقط.. وهو أمر مضحك، لأن الكتابات التاريخية تقول غير ذلك.

والاعتقاد القوى لدى جماعات الألفية، وهم يمثلون ٧٠٪ من الشعب الأمريكى، هو أن النهاية المأساوية للتاريخ تتمٌ فى العام الأول من الألفية الثالثة، ومن ثم كان سؤاله فى البداية: هل نحن فى بدايات العام الأخير من القرن العشرين، أم أننا فى بدايات العام الأول من الألفية الجديدة؟

إننا إذا كنا فى بدايات العام الأول من الألفية الجديدة، فإنهم يقولون: إن الكوارث المنتظرة سوف تتمّ فيه.. ومعنى ذلك أننا فى بداية عام الكوارث، والكوارث تمهّد لقيام الساعة، ومنها معركة **هرمجيدو** -وهار تعنى سهل، مما يشير إلى سهل مجيدو، الذى يقع بين القُدس ويافا، حيث العودة الثانية - عندهم - للسيد المسيح، الذى يحكم العالم بالعدل والقسطاس لمدة ١٠٠٠عام.. وهذا المسيح ينتظره اليهود، وينتظره المسيحيون، وينتظره المسلمون أيضا (فكرة المهدى المنتظر).

١-٥-٩- ويقول **الدكتور عبد الغنى**: إن جماعات الألفية تعتقد أن من واجبها المساهمة فى تحقيق المشيئة الإلهية.. أى أن تضع -بيدها- نهاية هذا العالَم، بالتعجيل بوقوع هذه الأحداث، التى تؤدِّى إلى تحقيق الكارثة، وإن هذه الثورة قد ظهرت -من قبل- فى مذكرات **خريستوفر كولمبس**، الذى رأى أن العالم سينتهى سنة ١٦٥٠، لتبدأ جنّة جديدة، وكانت الجنة الجديدة -عنده- هى اكتشاف أرض جديدة، هى أرض الهنود الحمر، وقامت الجنة الجديدة- كما نعرف - على إبادة الشعب صاحب الأرض.. أى إبادة الهنود الحمر، وأقام الجنَّة سنة ١٦٥٠ (فى الأرض الأمريكية الحالية) التى اقتلع المهاجرون البيض إليها أصحابَها من جذورهم، تحقيقا لنبوءة كولمبس.

ثم ظهرت النبوءة الثانية على يد الراهب **جواشيم فيورى**، عندما أشعل الحماس الدينى، وأشعل نار الحروب الصليبية، بين سنتى ١١٩٧م- فى نهاية القرن الماضى (فالعملية مرتبطة- إذن- بنهايات قرون)، وسنة ١٢٧٠م، لتحرير نفس المواقع التى يسعون لتحريرها الآن، من نفس المسلمين، مما يلفت نَظَر مَن كان عنده نَظَر.

وفى القرن التاسع عشـر، رفع لواءَ - هذه النبوءة -فى بريطانيا- **چون نيلسون داربى**، الذى هيـمنت نظريتـه على بعض الكنائس الإنجـيليـة فى الولايات المتحـدة، ومـازالت تهـيـمن عليـهـا، وتدور أفكار النظرية حـول الشـرق الأوسط، وتحـديدا هرمجيدو، نسبة إلى سهل مجيدو، الذى يقع بين القدس ويافا كما سبق.

ويجب ألا ننسى هنا مجموعة مآسى مبكرة لهذه النهاية الكارثية للعالم، حيث شَهِـدنا الانتحار الجـماعى لجمـاعة من الجمـاعات فى ولاية تكساس الأمـريكية سنة ١٩٩٣م، وحيث قتلت الشـرطة أربعة وسبعين فـردا من أفرادها، بعد حصار اسـتمرَّ واحدا وخمسين يوما.

١-٥-١٠- وعلى ذكر تاريخ الحروب الصليبية ، يقول **الدكتور عبد الغنى**: إن الصليبيين استولوا على القدس فـى نهايات الألفية الثانية (سنة ١٠٩٩م)، وأن **صلاح الدين الأيوبى** حررًّها منهم سنة ١١٨٧م، فى مـوقعة حطين.. وأن التتـار أيضا غزوا المنطقة، ولكن **قُطُز** كسَر شوكتهم فى موقعة عين جالوت، وهى مكان يقع بين نابلس وبيسان فى فلسطين، سنة ١٢٦٠م (٦٥٨هـ).

١-٥-١١- كما يرى **الدكتور عبد الغنى** أن مسألة التعددية الثقافية مسألة واردة جدا بالنسبة لنا، حـيث نجد الخطاب القرآنى واضحا تماما، فى مثل قـول الله سبحانه وتعالى فى [سـورة الحجُرات] : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴿١٣﴾ ﴾ إلا أن هذه التعددية الثقافية لا تعنِى - عند جماعات الألفية المهيمِنة- إلا شيئا واحدا، هو أن نعيش - كـما خُطط لنا منذ بداية التسعـينات -أذلاء، بلا هوية، مثل الهنود الحـمر تماما، حيث نبيدُ مثلما بادوا.. ولتسمحوا لى أن أنتقل إلى ما وعدتُكم به من تشنيف آذانكم ببعض ما ورد فى (العهد القديم) -كتاب اليهود- من نصوص تتعلق ببعض ما نحن بصدده، حيث نشـتمّ من بدايات (العهد القديم) مثلا، مـا يعكس العداء القوى بين الشخصية اليهودية ، وبين من يقف قويا فى مواجهة هذه الشخصية، ومن ثم كان العداء بين الشخصيـة اليهودية ومصر -مثلا- منذ القديم، حيث تسـمّيها التوراة -فى أماكن كـثيرة- (بـأرض العبودية)، وبدايات هذه العـداوة نراها فى الإصحـاح الحادى والثلاثين من **سفر التكوين**، على سبيل المثال:

- «ورأت سارة ابنَ هاجر المصرية الذى ولدته لإبراهيم، يمزح فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها؛ لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحاق. فقبُح الكلام جدا فى عينى إبراهيم لسبب ابنه. فقال الله لإبراهيم : لا يقبُح فى عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك. فى كل ما تقول لك سارّة، اسمع لقولها، لأنه بإسحق يُدعَى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمّة لك، لأنه نسلك» [الآيات ٩-١٢].

إننا نحن المصريين والعرب والمسلمين أبناء الجارية، هاجر المصرية.

١-٥-١٢- ثم دعونا ننتقل -مع الدكتور عبد الغنى- من سفر التكوين إلى آيات أخرى من الإصحاح الخامس والثلاثين فيه:

- «وظهر الله ليعقوب أيضا، حين جاء من فدان أرام وباركَه، وقال له الله: اسمُك يعقوب. لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل يكون اسمُك إسرائيل. فدعا اسمَه إسرائيل. وقال له الله : أنا الله القدير، أثمر وأكثر، أمة وجماعة أُمَم تكون منك. وملوك سيخرُجون من صُلبك، والأرض التى أعطيت إبراهيم وإسحق، لك أعطيها، ولنسلك من بعدُك أعطى الأرض» [الآيات ٩ :١٣].

أى أن مسألة سيادة بنى إسرائيل على العالَم، كما نراها يخطَّط لها اليوم، مسألة دينية يهودية صِرف.

١-٥-١٣- ثم دعونا نترك معه (سفر التكوين) إلى (سفر التثنية)، وهو يتحدث عن الوعد الإلهى لليهود (الذى نراه يحرك الحياة فى عالمنا المعاصر الآن)، حيث نقرأ فى الإصحاح الأول منه:

- « ففى السنة الأربعين فى الشهر الحادى عشر، فى الأول من الشهر، كلَّم موسى بنى إسرائيل حسب كل ما أوصاه الرب إليهم» [الآية ٣].

« الرب إلهُنا كلَّمنا فى حوريب قائلا: كفاكم قعود فى هذا الجبَل. تحوَّلوا وارتحلوا، وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعانى ولبنان، إلى النهر الكبير -نهر الفرات. انظر، قد جعلتُ أمامكم الأرض، ادخلوا وتملَّكوا الأرض، التى أقسمَ الربُّ لآبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب، أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم. وكلمتكم فى ذلك الوقت قائلا: لا أقدر وحدى أن أحملكم، الرب إلهكم قد كَثَّركم. وهوذا أنتم اليوم كنجوم

السماء فى الكثرة، الرب إله آبائكم يزيد عليكم مثلكم ألف مرة، ويباركم كما كلّمكم. كيف أحمِل وحدى ثِقلكم وحملكم وخصومتكم. هاتوا من أسباطكم رجالا حكماء وعقلاء ومعروفين، فأجعلهم رؤوسكم» [الآيات ٦-١٤].

ثم لنقرأ فى الإصحاح السادس من نفس السفر (التثنية):

- « ومتى أتى بك الرب إلهُك إلى الأرض، التى حلف لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيك. إلى مُدُن عظيمة جيدة لم تبنِها. وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها، وآبار محفورة لم تحفرها، وكروم وزيتون لم تغرسها، وأكلتَ وشبعت. فاحترِز لئلا تنسى الرب الذى أخرجك من أرض مصر.. من بيت العبودية» [الآيات -١٠-١٢].

ثم لنقرأ فى الإصحاح السابع منه:

- « ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها، يحفظ لك الربُّ إلهك العهد والإحسان اللذين أقسم لآبائك. ويحبك ويباركك ويكثرك ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك، قمحك وخمرك وزيتك ونتاج بقرك وإناث غنمك على الأرض التى أقسم لآبائك أنه يعطيك إياها. مباركا تكون فوق جميع الشعوب. لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا فى بهائمك. ويرد الرب عنك كل مرض، وكل أدواء مصر الرديئة التى عرفتَها، لا يضعها عليك، بل يجعلها على كل مُبغضيك. وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك. لا تُشفِق عيناك عليهم، ولا تَعبد آلهتهم، لأن ذلك شرَك لك. إن قلتَ فى قلبك هؤلاء الشعوب أكثر منى، كيف أقدر أن أطردهم. فلا تخف منهم. اذكر ما فعله الرب إلهُك بفرعون وبجميع المصريين. التجارب العظيمة التى أبصرتْها عيناك، والآيات والعجائب واليد الشديدة والذراع الرفيعة، التى بها أخرجك الرب إلهُك. هكذا يفعل الرب إلهك بجميع الشعوب التى أنت خائف من وجهها».

- «والزنانير أيضا يُرسلها الرب إلهُك عليهم، حتى يَفنَى الباقون والمختفون من أمامك. لا تَرهَب وجوهَهم، لأن الرب فى وسطك إله عظيم ومخوّف. ولكن الرب إلهَك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلا قليلا. لا تستطيع أن تُفنيهم سريعا، لئلا تكثر عليك وحوش البرية. ويدفعهم الرب إلهُك أمامك، ويوقع بهم اضطرابا عظيما حتى يفنوا. ويدفع ملوكهم إلى يدك، فتمحو اسمهم من تحت السماء» [الآيات ١٢-٢٤].

١-٥-١٤- ولنستمرّ مع سفر التثنية، ومع الإصحاح السابع منه، حيث نقرأ - مع **الدكتور عبد الغني** :

- « متى أتى بك الرب إلهُك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك، الحيثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين. . سبع شعوب أكثر وأعظم منك. ودفعهم الرب إلهُك أمامك وضربهم، فإنك تحرمهم. لا تقطع لهم عهدا ، ولا تشفق عليهم، ولا تصاهرهم. بنتَك لا تعط لابنه، وبنتَه لا تأخذ لابنك. لأنه يرد ابنك من ورائى، فيعبد آلهة أخرى، فَيحمىَ غَضَبُ الرب عليكم، ويُهلككم سريعا. ولكن هكذا تفعلون بهم: تهدمون مَذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتقطعون سواريهم، وتحرقون تماثيلهم بالنار. لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار الربُّ إلهُك لتكون له شعبا أخصّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصقَ الربُّ بكم واختاركم، لأنكم أقل من سائر الشعوب. بل من محبة الرب إياكم، وحِفظه القَسَم الذى أقسم لآبائكم، أخرجكم الرب بيد شديدة، وفداكم من بيت العبودية -من يد فرعون ملك مصر. فاعلم أن الرب إلهك هو الله، الإله الأمين، الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه، إلى ألف جيل، والمُجازى الذين يبغَضونه بوجوههم ليُهلكهم. لا يُمهل من يبغضه. بوجهه يجازيه. فاحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التى أوصيك اليوم لتعملها» [الآيات ١-١١].

ولنستمر -معه ومع سفر التثنية، ومع الإصحاح السابع- حيث نقرأ:

- « مباركا تكون فوق جميع الشعوب. لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا فى بهائمك . ويردّ الرب عنك كل مرض، وكل أدواء مصر الرديئة التى عرفتها، لا يضعها عليك، بل يجعلها على كل مُبغضيك. وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك. لا تُشفِق عيناك عليهم، ولا تعبُد آلهتهم، لأن ذلك شرَك لك. إن قلت فى قلبك هؤلاء الشعوب أكثر منى، كيف أقدر أن أطردهم. فلا تخف منهم. اذكر ما فعله الرب إلهك بفرعون وبجميع المصريين. التجارب العظيمة التى أبصرتها عيناك، والآيات والعجائب واليد الشديدة والذراع الرفيعة التى بها أخرجك الرب إلهُك. هكذا يفعل الرب إلهُك بجميع الشعوب التى أنت خائف من وجهها» [الآيات ١٤-١٩].

ثم لنقرأ فى الإصحاح العشرين من نفس السفر (التثنية):

- « حين تقترب من مدينة لكى تحاربهـا، استدعها إلى الصلـح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكـل الشعب الموجود فيها يكون لـك للتسخير، ويُستعبد لك. وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربا فحاصِرْها. وإذا دفعها الرب إلهُك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة- كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك» [الآيات ١٠-١٤].

١-٥-١٥- ثم ننتقل -معه- من سفر التثنية إلى سفر إشعياء، حيث نجد مصر- أرض العبودية -تعود- أخيرا إلى احتلال مكان الصدارة فى التفكير الإسرائيلى:

- «وحْى من جهة مصر. هو ذا الربّ راكب على سحابة سريعة، وقادم إلى مصر، وترتجف أوثان مصر من وجهه، ويذوب قلب مصر داخلها. وأهيّج مصريين على مصريين، فيحاربون كل واحد أخاه، وكل واحد صاحبه، مدينة مدينة، ومملكة مملكة، وتهراق روح مصر داخلها، وأُفنى مشورتها، فيسألون الأوثان والعازفين وأصحاب التوابع والعرافين. وأغلق على المصريين فى يد مولى قاس، فيتسلط عليهم ملك عزيز، يقول السيد رب الجنود».

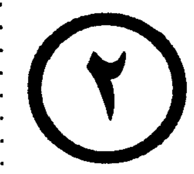
« وتنشف المياه من البحر، ويجف النهر وييبس. وتنتن الأنهار، وتضعف وتجفّ سواقى مصر، ويتلَف القصب والأسل. والرياض على النيلِ على حافة النيل، وكل مزرعة على النيل، تيبس وتتبدد ولا تكون. والصيادون يئنُّون ، وكل الذين يلقون شصا فى النيل ينوحون، والذين يبسطون شبكة على وجه المياه يحزنون. ويخزى الذين يعملون الكتان الممشط، والذين يحيكون الأنسجة البيضاء. وتكون عُمُدها مسحوقة، وكل العاملين بالأجرة مكتئبى النفس» [الآيات ١-١٠].

١-٥-١٦- ومن (سفر إشعياء)، ننتقل -معه- إلى (سفر العدد)، الذى يبين الإصحاح الحادى عشر مثلا منه، المزاج المتقلب والنتن للشخصية اليهودية:

«واللفيف الذى فى وسطهم اشتهى شهوة. فعاد بنو إسرائيل أيضا وبكوا، وقالوا: من يُطعمنا لحما. وقد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجانا، والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم. والآن قد يبست أنفسنا. ليس شىء غير أن أعيننا

إلى هذا المنّ. وأمـا المنّ فكان كـبـزر الكُزبرة، ومنظره كـمنظر المُقل. كـان الشـعب يطوفون ليلتقطوه، ثم يطحنونه بالرحى، أو يدقونه فى الهاون، ويطبخونه فى القدور، ويعملونه ملات. وكان طعمه كطعم قطائف بزيت. ومتى نزل الندى على المحلة ليلا، كان ينزل المن معه» [الآيات ٤-٩].

١-٥-١٧- ويختم **الدكتور عبد الغنى** كلمته بقوله: إن (التفرقة العنصرية)لدى هؤلاء القوم، الذين هم أقرب إلى البداوة، والذين يحكمون العالَم اليوم، ويتحكمون فـيه، هى الأوضح على الإطلاق، وهذه المسـائل يجب أن تكون واردة فى تفكيـرنا، عندمـا نفكر فى هذا المؤتمر، وعندمـا نناقش قـضـاياه.. حتى لا نكون غـائبـين عن الساحة، وما يجرى فيها.



الفصل الثانى

مفهوم الإنسان فى الألفية الثالثة





الفصل الثانى
مفهوم الإنسان فى الألفية الثالثة(١)

٢-١- تقديم المحاضرة: اهمية معرفة الإنسان عند التربويين(٢):

٢-١-١- بدأ الأستاذ الدكتور صلاح الدين جوهر تقديمه للأستاذ الدكتور مراد وهبه ومحاضرته بإظهار سعادته بأنه سيستمع إلى الأستاذ الدكتور مراد وهبه، ولو أنه -طوال عمره- لم يكن صديقا محبا للفلسفة، فقد هرب منها منذ أيام التوجيهية (الثانوية العامة)، لأنها كانت صعبة، وسأل الدكتور مراد عما إذا كانت لا تزال صعبة.

٢-١-٢- ثم يجيب عن سؤاله بقوله: إنه بحضور محاضرات الدكتور مراد وهبه فى الأعوام القليلة الماضية، وخلال مؤتمرات الجمعية، بدأ يغير نظرته نحو الفلسفة، فبعد أن كان ينظر إلى الفلاسفة باعتبارهم أشخاصا يعشقون وصف الأمور بطريقة تختلف عن سائر خلق الله، ويفاخرون بهذه السمة، صار ينظر إلى الفلسفة من منظور مختلف، فوجد الفلاسفة يختلفون فعلا عن غيرهم فى رؤية الأمور، لا لأنهم يتّبعون مبدأ (خالِف تُعَرف)، وإنما لأن باستطاعتهم رؤية أشياء دقيقة جدا فى مُجريات الأمور، وفى شئون الحياة، لا يستطيعها غيرُهم.

٢-١-٣- ويختتم الدكتور صلاح تقديمه للدكتور مراد بقوله: إنه عندما رأى عنوان المحاضرة، قرر على الفور الرجوع أولا إلى ما جاء فى كتاب الله، الذى خلق الإنسان، كى يتعرف على وصف هذا الإنسان، فاتصل بصديق كريم وزميل عزيز، عبر التليفون، وطلب منه العون، فأخبره أن لفظ الإنسان ورد فى ٤٣ سورة من سور القرآن الكريم، التى عددُها ١١٤ سورة، وأن لفظ إنسان ورد أكثر من ٧٠ مرة فى هذه السور، وعند فحص هذه الآيات ـ هذا على التليفون، وعلى حسابه ـ وجد أن الخالق -سبحانه وتعالى- عندما يخاطب الإنسان، أو عندما يتحدث عنه، فإن الحديث ينصب على واحدة أو أكثر من النواحى الآتية:

---

(١) محاضرة الأستاذ الدكتور مراد وهبه، الأستاذ بكلية التربية - جامعة عين شمس ، فى منتصف اليوم الأول من أيام المؤتمر ـ السبت ٢٢ يناير سنة ٢٠٠٠م.

(٢) من تقديم الأستاذ الدكتور صلاح الدين جوهر، أستاذ الإدارة والتخطيط التربوى بجامعة الأزهر، للأستاذ الدكتور مراد وهبه ومحاضرته.

أن يخبر الإنسان كيف خُلق؟ ومِمّ خُلق؟ ولكى يُخبر الإنسان عن تكوينه الإنسانى وتطوره وخصائصه، ولكى يحدد للإنسان ما ينبغى عمله، وما يُتوقع منه فى مواقف الحياة المختلفة، وما ينبغى البُعد عنه، وجزاء هذا وذلك، ولكى يعلّم الإنسان آدابَ التعامل مع الغير، ولكى يحفز الإنسان على العمَل والسعى وراء الرزق، ولكى يحفِز الإنسان على كسب المعرِفة وطلب العِلم، ولكى يحفز الإنسان على استخدام العقل والحواسّ فيما يعود بالخير عليه وعلى الغير. . وهذه الآيات القرآنية -فى رأيه- تؤكد لنا منزلة الإنسان عند الخالق سبحانه وتعالى، لأنه ـ أولا وأخيرا ـ خليفة الله فى أرضه، وقد تمنى أن يحصر بنفسه ما جاء عن الإنسان فى الكتاب المقدّس، ولكنه وجد أن مكتبته خالية ـ للأسف ـ منه.

٢-١-٤- ثم يؤكد **الدكتور صلاح** على أهمية معرفة الإنسان عند التربويين، فيرى أنه يكفى أن نقرّ أن نقطة الانطلاق التى تنطلق منها كافة الجهود والممارسات التربوية، هى محاولة معرفة طبيعة الإنسان وخصائصه، وماذا يحركه فى حياته؟ وماذا يحفزه؟ وماذا يثبّطه؟ وماذا يدور فى عقله وفى داخل نفسه؟، وماذا يمكن أن يُسعده؟ وماذا يمكن أن يُحزنه؟. وكلما زادت معرفتنا بالإنسان، اقتربنا من الصواب فى التعامل معه كتربويين، آخذين فى الاعتبار مجموعة أخرى من المنطلقات، التى تتدخل فى تشكيل الإنسان ويتفاعل معها باستمرار، ولهذا فإن التربويين يرحبون دائما بكل مَن يُسهم فى فكّ طلاسم الإنسان.

٢-٢- محاضرة الأستاذ الدكتور مراد وهبه: مفهوم الإنسان فى الألفية الثالثة:

٢-٢-١- مدخل المحاضرة: مفهوم جديد للإنسان فى الألفية الثالثة:

عنوان هذا البحث هو الإنسان فى الألفية الثالثة، وهو عنوان يلزم منه أن للإنسان مفهوما جديدا فى الألفية الثالثة، فما هو هذا المفهوم؟ وما علاقته بالألفية الثالثة؟

إنهما سؤالان، وجواب السؤال الأول: **ما هو المفهوم الجديد للإنسان؟** مرهون بالجواب عن السؤال الثانى، وهو: **ما علاقة هذا المفهوم بالألفية الثالثة؟** لأن تحديد المفهوم الجديد للإنسان، هو من تحديد خصائص الألفية الثالثة، وتحديد خصائص الألفية الثالثة مرهون بما حدث فى الألفية الأولى والألفية الثانية وما قبلهما، لأن الألفيات متصلة ـ بحكم طبيعة التقدُّم الإنسانى ـ فى الاتجاه من الفكر الأسطورى،

إلى الفكر العقلانى.. أو **من الأسطورة إلى العقلانية**، والسؤال إذا: **ماذا حدث فى الألفيات السابقة على الألفية الثالثة؟**

٢-٢-٢- فى البداية كان الفكر الأسطورى:

فى بداية الحضارة الإنسانية، كان الفكر الأسطورى هو الفكر السائد، بحُكم بزوغ الأساطير الكونية لدى الإنسان البدائى - أو الإنسان القديم، فقد كان تناوُله لمسألة الكون خاضعا للخيال دون البرهان، فالكون - عند الإنسان البدائى أو القديم - مملوء بالآلهة والإلهات، وهذه تفعل فعلها فى سلوك الطبيعة والإنسان من غير قانون، واستمر الحال على هذا المنوال حتى القرن السادس قبل الميلاد، إذ نشأ فلاسفة طبيعيون، فى **ملطية وأفسس**، بسبَب أن هاتين المدينتين كانتا فى مقدمة المُدن الأيونية عُمرانا وثقافة، وقد سُمّوا - لذلك - **(الطبيعيون الأوائل)**، لأنهم اكتفوا بالطبيعة، ولم يتجاوزوها إلى ما بعدَها، فتصوروا الأشياء مصنوعة من مادة أولى، هى محلّ التغيرات، فراحُوا يبَحثون عن ماهية هذه المادة، فقال **طاليس** (وهو أول الفلاسفة الطبيعيين): إن المادة الأولى - أو أصل الأشياء - هى الماء، وقال **أنكسمندريس**: هى اللامتناهى أو اللامحدود، وقال **أنكسمانس**: إنها الهواء، وقال **هيراقليطس**: إنها النار.

وعلى الرغم من تبايُن هؤلاء الطبيعيين الأوائل فى تحديد المادة الأولى، إلا أنهم كانوا جميعا يتّسمون بالاستناد إلى البرهان العقلى، فى التدليل على ما رأوه، ومع ذلك فإن نظرياتهم لم ترق إلى الوعى بالكون، لأن هذا الوعى يستلزم - لتحقيقه - تجاوز الوعى لذاته، وهو تجاوُز لا يتم إلا فى إطار التقدم، لأن التقدم حركة إلى الأمام.. مُجاوزة وضع قائم إلى وضع قادم (وباللاتينية: من وضع قائم status quo إلى وضع قادم pro quo، ومعنى pro هو: إلى الأمام).

٢-٢-٣- هيمنة السلطة الدينية على العقل فى العصور الوسطى:

بيد أن هذه المجاوزة لم تتمّ بدون عائق، وكان هذا العائق فى العصر الوسيط، حيث هيمنت السلطة الدينية على العقل، فخضع العقل لسلطان غير سلطان ذاته، ولم يتحرر العقل مرة أخرى إلا فى القرن السادس عشر، وذلك بفضل نظرية **كوبرنيكوس** عن دوران الأفلاك، إذ لم تعد الأرض مركزا للكون، وبالتالى لم يعد لأى إنسان على الأرض الحق فى أن يزعم أنه يمتلك الحقيقة المطلقة.

وأعتقد أنه - بسبب ذلك - ثارت السلطة الدينية، لأن السلطة الدينية تزعم أنها تمتلك الحقيقة المطلقة، وأنا عندما قرأت كتاب كوبرنيكوس عن دوران الأفلاك، وجدته - في الخاتمة - يتحدث عن الفيلسوف اليوناني فيثاغورس في القرن الخامس قبل الميلاد، وقال كوبرنيكوس: إنه أول فيلسوف يتحدث عن عدم مركزية الأرض، وكان ذلك في القرن الخامس قبل الميلاد.

وقد نصح فيثاغورس تلاميذه بألا يُفصحوا عن هذه النظرية، خوفا من الجماهير، ومع ذلك تسربت النظرية إلى الجماهير، وأحرقت الدار التي كان يجتمع فيها فيثاغورس مع تلاميذه، وأنا بدوري اندهشت: لماذا هذا الصمت الذي استمر ما يقرب من ألفي سنة؟ ولماذا حُورِب كوبرنيكوس عندما أعلن ذلك، ولماذا تردد كوبرنيكوس في نشر كتابه، إذ إنه - بعد إلحاح طويل - أمر بطبعه، واستلم أول نسخة وهو على فراش الموت.

وجاء - بعد كوبرنيكوس - جاليليو، وأيّد النظرية، فحُوكِم .. حُوكِم دينيا، وبعَده جاء جور دافو برونو، وأيد النظرية، فأُحرق جثمانه.. وكل هذه الأحداث جعلتني أفكر طويلا: لماذا؟

أعتقد وأظن أن سبب الاضطهاد الذي وُجّه إلى هؤلاء جميعا، مردود إلى أن مركزية الأرض تعني الإنسان، ومركزية الإنسان تعني أنه قادر على امتلاك الحقيقة المُطلَقة، أما إذا نظرنا إلى الأرض على أنها أحد الكواكب السيارة، وليست مركزا، ففي هذه الحالة يُصبح من المنطقيّ أن يشعر الإنسان بأن تفكيره لا يتجاوز ما هو نسبي، لأن الأرض هي من ضمن كواكب أخرى، وبالتالي هو أيضا من ضمنها، وبالتالي يصبح كل اجتهاد بشري، اجتهادا في إطار النسبية.

٢-٢-٤- مارتن لوثر يتمرد على امتلاك الحقيقة المطلقة:

هذا في مجال العلم، أما في مجال الدين، فقد حدث ما أحدثه كوبرنيكوس، إذ أعلن لوثر (مشروعية الفحص الحُرّ للإنجيل) - أي مشروعية تأويل النص الديني، فتعددت المدارس اللاهوتية (ما دام قد أصبح من حقّ كل إنسان أن يؤول النصّ الديني، فيصبح من المشروع - بالتالي - تعدُّد المدارس اللاهوتية، أي أننا لا نُصبح أمام علم لاهوت واحد، وإنما أمام علوم لاهوت متعددة)، وتوارى الزعم بامتلاك الحقيقة المطلقة، فلم يعد من حق أحد - بالتالي - أن يتهم الآخر بالكفر أو الهرطقة. بيد أن

مشروعية تأويل النصّ الدينى، هى ترديد لما رآه ابن رشد فى القرن الثانى عشر، فى تعريفه للتأويل بأنه إخراج اللفظ من دلالته الحقيقية (أى من دلالته الحسية)، إلى دلالته المجازية، وبالتالى انتهى ابن رشد إلى القول بأنه (لا تفكير مع التأويل)..
وأعتقد أن هذه العبارة هى السبب فى تكفير ابن رشد، تماما كما كُفِّر لوثر، وأظن أن عبارة لوثر فى مشروعية تأويل النص الدينى.. أعتقد أنه متأثر فى ذلك بابن رشد، فإننا عندما نقرأ كتابات لوثر، نجد عبارات مماثلة، حتى إننا عندما نقرأ جاليليو، نجد عبارات منقولة بالنص من ابن رشد، لأن ابن رشد كان محورا لصراعات فلسفية ودينية فى أوربا فى العصر الوسيط، وكان من يؤيد ابن رشد يُحرم من السلطة الدينية، ويُتهم بالزندقة، فى الوقت الذى كان يرتفع فيه من يعارض ابن رشد فيه إلى مصاف القديسين، فهذه هى المعركة الحقيقية.

ومع ذلك لم يتوقف الفكر العقلانى عن التقدم، فقد تميز القرن الثامن عشر بأنه عصر التنوير، أو عصر العقل، وقد أوجز الفيلسوف الألمانى كانط معنى التنوير فى عبارته المأثورة: (كن جريئا فى إعمال عقلك)، وهذه العبارة تعنى - فى رأيى - أن لا سلطان على العقل ، إلا العقل نفسه.

٢-٢-٥- عصر التنوير يبدأ فى القرن الثامن عشر، ليؤتى ثماره فى القرن العشرين:

إذن لدينا - فى القرن السادس قبل الميلاد - بداية التنوير، وفى القرن الثامن عشر أصبح هذا القرن هو قرن التنوير، أو عصر التنوير. ومن ثمار عصر التنوير بزوغ الثورة العلمية والتكنولوجية فى القرن العشرين، ولذلك قلت - فى بداية الحديث: إن هناك اتجاها واحدا فى تقدم البشرية، من الفكر الأسطورى إلى الفكر العقلانى، ومن ثمار الثورة العلمية والتكنولوجية، بزوغ ما أسمّيه رباعية المستقبل - أى رباعية الألفية الثالثة، وهذه الرباعية هى الكونية Universalism، والكوكبية Globalization ، والاعتماد المتبادل Interdependence، والإبداع Creativity.

وترجمتى للكونية هى Universalism - من Uiverse، أى الكون.. والكوكبية ترجمتُها عندى هى Globalization، وتترجم - خطأ - ترجمة سيئة إلى العولمة ، وسأقول: لماذا هى ترجمة سيئة، وترجمة خطأ، وتُحدث بلبلة؟

إن Globalization من لفظ Globe، بمعنى الكوكب الأرضى، وهذا هو معناه وباللاتينى Globos، وهو كوكب الأرض. إذن Globalization ترجمتها الكوكبية،

لأننا عندما نقول (العولمة)، فهى من العالم، والعالم متجاوز لكوكب الأرض، وهى مسألة أخرى، ليس لها علاقة بالـ Globalization.

٢-٢-٦- مع الألفية الثالثة، تبدأ منظومة الكوكبية والكونية والاعتماد المتبادل،

وقد كان الإنسان يبحث فى الكون وهو مُقيم فى الأرض، ولكن فى الألفية الثالثة، صار يبحث فى الكون من خلال الكون ذاته، لأننا نصل الآن إلى كواكب أخرى خارج الأرض، ونسبح فى الفضاء، ونبنى مُدنًا للسكن، وسيذهب علماء ويبحثون فى الفضاء وفى الكون.

والكوكبية لازمة من لوازم الكونية، وتعنى رؤية الأرض من خلال الكون، فتبدو فى وحدة، بلا تقسيمات.

ويلزم من ذلك الاعتماد المتبادَل بين الأمم والشعوب، وهذه أيضا من مستلزمات الكوكبية: انفتاح الدول على بعضها البعض، وانفتاح الشعوب على بعضها البعض، وقد وصلنا الآن ـ من خلال الإنترنت ـ إلى هذا اللون من الانفتاح .

وهذه الثلاثية ـ الكونية والكوكبية والاعتماد المتبادَل ـ تنطوى على تناقُضات، والتناقُض فى الكونية يكمُن فى أن الإنسان ـ وهو جزء من كل ـ قادر على رؤية الكل وهو الكون، وهنا يوجد التناقُض، فكيف يدرك الجزء الكل؟

إن الإنسان ـ وهو جزء ـ يدرك الكون ـ وهو كلّ، ومن ثم نجد هناك تناقُضا كامنا فى الكونية Universalism، وهذا لابد أن نحلّه.

والتناقُض فى الكوكبية يكمُن فى أنها مضادّة للأصوليات الدينية والهويات الثقافية، فالأصوليات الدينية تزعم أنها تمتلك الحقيقة الطلقة، وتقف بالمرصاد ضدّ تطوّر العلم، وترفُض التأويل، وهى مسألة غير مسألة الدين. وأنا أطرح الآن ظاهرة كوكبية، هى ظاهرة الأصوليات الدينية، وأطرح معها أيضا الهويّات الثقافية، بمعنى أنها هويّات تصل بذاتها إلى مصداقية . . أى تعتقد أنها هى الهوية الوحيدة الصالحة للحياة، وعلى الهويات الأخرى أن تخضع لها، وإلا حدث صراع، وما يحدث الآن من صراع ما يسمى بصراع الثقافات، أو صراع الحضارات، هو ـ فى حقيقته ـ بسبب الأصوليات الدينية والهويات الثقافية.

والتناقُض فى الاعتماد المتبادَل يكمُن فى نفيه للمـفهوم التقليدى عن الاستقلال التام لـلدولة والشعب، فلم يعـد للاستـقلال التـام معنى اليـوم، وهذا يضع مفـهوم الاسـتقـلال التام فى تناقُض مع الاعـتمـاد المتـبادل، فـالدول متـداخلة، والشعـوب مـتـداخلة، وليـس من حق أحـد أن يقـول: إنّ التـداخل ممنوع، فـى إطار الكونيـة والكوكبية والاعتماد المتبادَل.

٢-٢-٧- الإبداع يفرض نفسه على منظومة الألفية الثالثة لتكون رباعية:

وإذا كـان الإبداع لا يمارَس إلا فى إطار التناقـض الكامن فى الثلاثيـة ـ وهى الكونية والكوكبية والاعتماد المتبادل ـ فإن الثلاثية تصبح رباعية، بإدخال الإبداع.

ومعنى ذلك أن الإبداع يدخل فـى صميم التطوّر الإنسـانى فى الألفية الثـالثة، وبالطبع ـ بهـذه المناسـبـة ـ أقول إن تعـريف الإبداع هو : قـدرة العـقل على تكوين علاقـات جديدة، **من أجل تغـييـر الواقع**، ومن هذا التـعريف أستطيـع القول: إن تعريفات الإبداع السائدة خالية من عنصر الـتغيير هذا، إذ تكتفى بأن تُلِحّ على الجِدّة، ولكنى أنا ألِحّ على **الجِدّة مع تغيير الواقع**، لأن الجِدّة ـ بتكوين علاقات جديدة، دون تغيـيـر للواقع - تجعَل الإبداع يدخل فى مجال الأمراض العـقلية، لأنه يعنى أن المبدع عاجز عن التـغيير، وأنا انتهيت إلى هذه الفـكرة، لأننى كنتُ ـ قبل أن أتخصّص فى الفلسفة ـ راغبا فى التخصّص فى علم النفس، فى فرع علم النفس المَرضِى، وبالذات الأمراض العقليـة، وكنت أتردّد على مستشفى الأمـراض العقلية بالعباسـية، وكوّنتُ علاقـات مع المرضى، وكـان هناك مرضَى لديهم إبداع، ولكنهم كـانوا عاجـزين عن إحداث تغـيير. وأذكـر أننى كنتُ ألتقى ـ بانتظام ـ مع مـريض يعتـقد أنه إله الكون، وكان قارئا متـعمقا فى العِلم والفلسفة، وكـانت له نظرية تفسّر: لماذا هو إله؟ وطلب منى أن أعلن فى صحيفة (الأهرام) عن وجود إله فى مستشفى الأمراض العقلية، يريد أن يخرج، وقال لى: إذا عجزتَ عن هذا الإعلان فى صـحيفة (الأهرام)، فلن ألتقى بك، فقلتُ له: طالما أنك إله، فإنك تستطيع ـ بمعجـزة ـ أن تخرج خارج المستشفى، فقـال لى: أنا إله نظام ولستُ إلهَ فـوضَى، وهذا معناه أنه مُـبدع فعـلا، ولكنه إبداع مَرضِىّ، فلزوم إحداث التغيير من مُستلزمات الإبداع السوِىّ فى نَظَرى.

ويترتب على لزوم الإبداع تَراجُع أجهزة الدولة عن التحكّم، حتى تضعف قُوَى الضبط والربط التى تتـميّز بهـا مؤسسات الدولة، بحيـث تُصبح الصدارة للمـبادرات

الفردية . . أى تُصبح الصدارة للمُبدِعين، وبالـتالى تُصبح السيادة للإنسان، من حيث هو حيوان مُبدِع، وليس للإنسان من حيث هو حيوان اجتماعى.

إن التعـريف الشائع للإنسان أنه حـيوان اجتـماعى، وأنه لا يستطيع أن يتـقدم ويتطوّر إلا فى مجتمع، ولكن مع بزوغ الكونية والكوكبـية والاعتماد المتبادَل وضرورة الإبداع، صار الأمر مختلفا، لأن الإبداع إشكاليته أنه يدخل فى تناقض مع مؤسسات المجتمع، لأنه ضدّ القيود. . أمـا المجتمع فمقيّد بما أسمّيه المحـرّمات الثقافية، ولذلك فالمُبدِع يعانى، كما عانَى كوبرنيكوس وجاليليو وابن رشد، وكما عانى - فى العصر اليونانـى القديم - سقـراط، الذى أُعـدِم، وكما عـانى جورياز، الذى حُكِم عليه بالإعدام فهرب، وكذلك هرب أفلاطون بعد الحكم على سقراط، واستمر أحد عشر عاما خارج أثينا . . وعندما عـاد إلى أثينا، لم يفعل ما فعله سقراط، من النزول إلى الأسواق، والتعـامل مع البشر علانية، بل بنى أكـاديمية، ودخل فيهـا هو وتلاميذه. وأرسطو كان لديه نوعـان من التعليم: تعليم صريح علَـنى، وتعليم سِرّىّ، ممنوع أن يحضره إلا تلاميذه.

٢-٢-٨- فى الألفية الثالثة، سيتحول الإنسان من حيوان اجتماعى إلى حيوان مُبدع:

إذن هناك توتر بين الإنسان من حيث هو حيـوان مبدع، والإنسان من حيث هو حيوان اجتماعى، ولكن مع التطور والألفية الثالثة، سيكون التطور فى صالح الإنسان من حيث هو حيوان مُبدِع، وسيضعف النظر إلى الإنسان على أنه حيوان اجتماعى.

ومن حيث الخَصخَصة Privitization . . إن الخصخصـة مؤدّاها إضعاف دور الدولة، وإضعاف المبادرات الفردية، ولقـد قرأت اليوم فى الصحف قبل أن آتى، أنهم يعيدون النظَر فى كل المؤسـسات الاقتصادية التى تتبع الدولة، فهناك خـسارة فادحة، والإعلام سوف يدخُل فى إطار الخصخصة، لتكون كلها مبادرات فردية.

ومن ثم تُصبح السيادة لثقافة الإبداع وليس لثقافة الذاكرة. . الأمر الذى يستلزم إحداث تغـييـر جذرى فى نظام التعلـيم، بما يتفق وثقافـة الإبداع، لأنه إذا ظل نظام التعليم كـما هو الآن، يعتمـد على ثقافة الذاكرة، وعلى كـتاب مقرّر، وامـتحان فى أسئلة مـحدّدة، ونماذج للأجوبة، بحـيث يؤثر الخروج على المقرّر سلبـا على الدرجة المُعطاة... فإن هذا الوضع لا يستقيم مع ثقافة الإبداع.

وهذا التغيير الجذرى لنظام التعليم لازم، من أجل التمهيد لبزوغ الإنسان الكونى، بفضل غزو الفضاء، فمستقبلا سيحيا الإنسان فى الفضاء .. سيحيا فى الكون، وسيكون الوطن هو الكون برمّته.

وغزو الفضاء يتم على مرحلتين: المرحلة الأولى بدايتُها غزو الفضاء خارج جوّ الأرض، وهذا ما تقوم به التكنولوجيا المعاصرة، وما ينتج عنها من بقاء الإنسان فى الفضاء أسابيع أو أشهرا أو سنوات، وأذكر أننى كتبت هذا القول فى أواخر السبعينات، وقلت: إن هذا هو المستقبل، وهُوجِمتُ واتّهِمتُ بأننى لا أستخدم العقل استخداما جيدا فى تصوّرى لهذه المسألة.. أما المرحلة الثانية، فهى مرحلة الفضاء الكونى، الذى يستلزم تعوّد الإنسان على الحياة فى الفضاء، وهذا من شأنه أن يُحدث تغييرا جذريا فى الإنسان، مما يُنبئ ببزوغ نوع جديد من الإنسان، يكون فى مقدوره تمثل الكون ذى الأبعاد الأربعة.. أى الزمكان Space time، الذى تنبأ به **أينشتين**.

ومعروف أن **أينشتين** اعتبر الزمان بُعدا رابعا للأبعاد الثلاثة للمكان، ومن شأن هذا التمثّل أن يسمح للإنسان برؤية الأحداث قبل وقوعها، لأن الإنسان إذا تحرك بسرعة الضوء - فى نظر **أينشتين** - فإنه تحدث له تغييرات جذرية، ونحن لم نصل بعد إلى سرعة الضوء، التى تصل إلى ٣٠٠,٠٠٠ كم/ث، ولكننا إذا وصلنا إليها، فإنه يمكن التنبّؤ بالأحداث قبل وقوعها، فتزول غُربة الإنسان عن الكون، لأنه يصبح - عندئذ- إنسانا كونيا.

خلاصة القول - إذن - أن الألفية الثالثة تمهّد لبزوغ الإنسان الكونى، الذى هو ثمرة الإنسان المبدع.

وشكرا لحسن إنصاتكم، والآن أنا مُهيَّأ للحوار مع حضراتكم.

٢-٣- تعقيبات الحضور:

٢-٣-١- الربط بين الحقيقة المطلقة ومركزية الكون وهمى[(١)]:

وتبدأ التعقيبات بتعقيب **الدكتور سامى السهم**، الذى يبدأ تعقيبه بالقول إن الاستماع **للأستاذ الدكتور مراد وهبه** متعة عقلية شديدة جدا، ولكن ثمة أمران هامان جدا، عندما نستمع إلى **مراد وهبه**، يصعب التعامل مع أفكاره بمنأى عنهما، **أولهما**:

(١) من تعقيب الدكتور سامى السهم، الباحث بالإدارة العامة للبحوث بوزارة التربية والتعليم فى مصر.

أنه فيلسوف متـجدد، كثير التنقلات الفكرية، فـهو قبل أن يذهب إلى تل أبيب، عن طريق كوبنـهاجن ـ على سبـيل المثال ـ كـان يسكن فى موسكو، وله كـتاب مشـهور بعنوان: **محاورات فلسفية فى موسكو**، وهو ـ قبل أن تُعاد الأيديولوجيات فى المرحلة الحالية ـ كان أيديولوجيا، وكان يتبنَّى أيديولوجـية معروفة لنا جميعا.. ثم إنه لم يكن يربط من قبل بين الأصـوليات والهويات الثقافـية، ولكن كلامه كله كـان منصبا على الأصوليات فقط، وجمعه للهويات الـثقافية مع الأصوليات لم يحدث إلا الآن، وهذه هى المسألة الهامة جدا، التى يجب أن نراعـيها مع أفكار أستاذنا العظيم **الدكتور مراد وهبه**: إنه فيلسوف كثير التنقل، وكـثير التطور فى فكره، وبالتالى لا يجب أن نتعامل مع هذه الأفكار التى يقولها الآن، على أنها نهاية المَطاف، أو أنها قُدس الأقداس، أو على أنها الحقيقة المطلقة التى يتعامل معها.

النقطة الثانية فى التعامل مع أفكـار أستاذنا العظيم **الدكتور مـراد وهبه**، نقطة سيكولوجيـة هامة جدا، **فالدكتـور مراد وهبه** سَمته سَمت فـلاسفة، ويتكلم بطريقة جادة جـدا، وبطريقة مَهـيبة جـدا، وهو عندما يتكلم، يتكـلم دائما، ويذكر أسـماء فلاسفة: **أرسطو، وأينشتاين**.. وهذه الطريقة تُوقع عقل المستمع فى حبائل الاقتناع، مع أنه لو دقّقنا النظر فى كثير من الأفكار التى وردت الآن، على لسان أستاذنا العظيم **الأستاذ الدكتور مراد وهبه**، فسنجد أن أشياء كثيرة جدا منها غير مناسبة، فعلى سبيل المثال، إنه عندما يتكلم عن أن العقل البشرى مـرّ بمرحلتين، هما مرحلة سيطرة الخيال والأسطورة، والمرحلة العقـلانية، التى قال سيـادته: إنها بدأت مع **طاليس** فى القرن السادس قبل الميلاد، فإنه يكون علينا أن نسأل: وقبَل **طاليس** بثلاثة آلاف سنة .. ألم توجَد حـضارة فى مصـر، كانت تسـتخدم مناهج علمـية، وعلى رأسـها الاسـتقراء العِلمى، فلماذا أهمل هذه الحِقبة، وبدأ مباشرة منذ **طاليس**؟

الشىء الآخر الغريب جدا، هو أنه يعتقد أن القول بمركزية الأرض يعنى مركزية الإنسان فى الكون، ويعنى إحســاس الإنسان بأنه يمتلك الحقيـقة المطلقة، وهذه ثلاث دوائر، أنا أرى أنها دوائر منفصلة جدا، ولكن **الدكتور مراد وهبه** ـ بطريقته المهيبة فى الكلام ـ يربطها ببعـضها البعض، ويوحِى إليك بأن هذا الكلام جـادّ، وكلام صادق، ولا يأتيه البـاطل من هنا أو هناك. إلا أن القول بمركـزية الأرض يؤدّى إلى القول بأن الإنسان مركز الكون، ويؤدى إلى توهّم الإنسان بامتلاك الحقيقة المطلقة.. هذا الكلام كلام عـجيب، بدليل أنه مع شيـوع الإحساس ـ الآن ـ بأن الأرض كـوكب بسيط فى

العالم، أو بسيط فى الكون، إلا أن هناك من يعتقد أيضا بأنه يمتلك الحقيقة المطلقة.

إذن فالربط بين امتلاك الحقيقة المطلقة، ومركزية الكون.. هذا الربط، أعتقد أنه ربط وهمى.

ويقول الدكتور مراد وهبه: إن السلطة الدينية تظنّ - أو تدّعى - امتلاكها للحقيقة المطلقة، وهذه العبارة عبارة غريبة جدا، لأن فيها كلمتين غير محدّدتين، ويجب تحديدهما، أولاهما طبيعة الحقيقة المطلقة: هل هى الحقيقة البشرية والإنسانية، أو الحقيقة الدينية، فأية سلطة دينية يقصد؟ إن هناك أديانا مختلفة، فهناك سلطة دينية مسيحية، وهناك سلطة دينية يهودية، وهناك سلطة دينية إسلامية، فأية سلطة دينية يقصدها الدكتور مراد وهبه؟

إن الدكتور مراد وهبه - فى كتابه (جرثومة التخلّف) كان يتكلم عن الأصوليات، ويسأل ويجيب، فيقول: ما الأصوليات؟ فيجيب: إن الأصوليات هى الفكر الدينى، ويعطى مثالا على هذا الفكر الدينى، ويقول: إنه الفكر اليهودى والمسيحى والإسلامى والبوذى والكونفوشيوسى، فكيف يجمع بين ما هو سماوى وما هو وضعى أو بشَرى؟ إننى أعتقد أن هذا جمع غير علمى، إضافة إلى اختلاف سمات كل أصولية عن الأخرى، لأنه بعد ذلك يتهم الأصوليات جميعا باتهامات معيّنة، ويصفها بأوصاف معيّنة، ويجعل ضمنَ هذه الأصوليات الإسلام.

النقطة الخامسة أنه عندما يتكلم الدكتور مراد وهبه عن الإبداع، فإنه يقدم تعريفا للإنسان على أنه حيوان مُبدع، وهو تعريف جديد، من حيث إن الإبداع هو تغيير للواقع، وتغيير ما هو قائم، قربانا لما هو قادم، ولكن الحقيقة أن هذا التعريف هو تعريف إسلامى وقديم جدا، والرسول عليه الصلاة والسلام، له حديث ودُعاء، (اللهم ارزقنى علما نافعا)، كما أن الله سبحانه وتعالى يقول: (إن الله لا يغير ما بقوم، حتى يغيّروا ما بأنفسهم).. وبالتالى فإن التغيير من صميم الهوية الإنسانية فى الدين الإسلامى، ولا يمكن اعتبار تعريف الإنسان بأنه حيوان مبدع تعريفا جديدا.

وآخر نقطة فى مسألة أن الإبداع فى فكر الأستاذ الدكتور مراد وهبه أنه يجعل الإبداع ضد القيود، وهذا الكلام كلام غريب جدا، فهل يعنى هذا أن كل إبداع بشرى تَمّ عبر التاريخ، كان ضدّ القيود، أم أنه تمَّ من خلال هذه القيود، ومن خلال النظم

الاجتماعية؟ إننا لم نسمع أن الإبداع فى أمريكا أو فى بلاد الغرب - مثلا - كان فيه تحطيم للقيود الاجتماعية، وتحطيم للنظُم الاجتماعية، ولكنه إبداع يتم من خلال النظم الاجتماعية، إلا إذا كان الدكتور مراد وهبه يقصد المحرّمات الثقافية، وليس النظم الاجتماعية.

٢-٣-٢- لا تناقض بين الكوكبية والأصول الدينية والهوية الثقافية(١):

ثم يأتى دور الدكتور وجيه الصاوى فى التعقيب، فيرى أن هناك تناقُضات كثيرة فى الطرح الفلسفى الذى طرحه، منها أن الدكتور مراد نظر إلى الأرض على أنها مركز الكون، وقد ضرب مثالا واحدا للاضطهاد، هو جاليليو، الذى نظر فى المنظار، وقال: إن الشمس بها كلف، فاضطهدوه، وعندما أراد أن يجرب البعض فِكرة نزول الحجَرين، الحجَر الأكبر والحجَر الأصغر، وقد كان الاعتقاد هو أن الحجَر الأكبر ينزِل أسرع من الحجَر الأصغر، فجاءت التجربة خلاف ذلك.

إذن الفكرة - عنده - ليست فى امتلاك الحقيقة واضطهاد العلماء، لأنهم بدأوا يغيّرون فكرة الأرض ومركزيتها، برغم أن رجال الدين فى العصور الوسطى كانوا يرفضون فكرة أن تأتى الحقيقة مِن غيرهم، لأنهم هم أصحابها، وهم مصدرها، أما أن يأتى أحد بفكرة تجريبية جديدة، أو إبداع جديد، يحاول به أن يغيّر مفهوما، فإن الاعتراض كان لابد أن يظهر هنا.

وثمة أمر آخر، هو مسألة الكونية والكوكبية والاعتماد المتبادل والإبداع، فالكونية نظر الدكتور مراد إليها على أنها كون، مع أن هناك أكوانا، ثم إن الأرض هى الأخرى، أو الكوكبية، هى جزء من الكون.

وعندما يتكلم الدكتور مراد عن الإنسان بوصفه مُبدعا، دون أن يمر بمرحلة الاجتماعى.. أرى أن تلك قفزة لا أرضاها أنا شخصيا، فالإنسان بطبعه مُبدع، وذلك بسبَب قدرة العقل على تكوين علاقات جديدة، وإن كان هذا التغيير يمكن أن يكون إلى الأسوأ، فكثير من المُبدعين لصوص، ومن ثم فإنه لا بد أن يدخل البُعد الأخلاقى والقِيمى فى المنظومة، لتظل هناك محرّمات وأعراف، وإلا تحولت المسألة إلى فوضى، فلا تناقُضَ - فى حقيقة الأمر - من وجهة نظرى - بين الكوكبية، وبين الأصول

(١) من تعقيب الأستاذ الدكتور محمد وجيه الصاوى، أستاذ أصول التربية بكلية التربية جامعة الأزهر بمصر، والمعار لكلية التربية جامعة الكويت بالكويت.

الدينية، والهوية الثقافية. إن سبب التناقض ـ عند الدكتور مراد ـ هو أنه وضع الدين فى جانب، والهوية الثقافية فى جانب، وكان أولى به أن يقول: إن هناك تصارعا بين مَن يدّعى الحقيقة، سواء كانوا من الدينيين أو من المتحرّرين فى الرأى، مثل الدكتور مراد، الذى يعتبر كل من يخالفه فى الرأى متخلفا.

٢-٣-٣- الإنسان مجموعة قدرات، منها قدرته على الإبداع[١]:

ثم يأتى دور الدكتور السيد عبد العزيز البهواشى فى التعقيب، فيرى أن الدكتور مراد وعد بإعطاء مفهوم جديد للإنسان فى الألفية الثالثة، إلا أنه تتبّعه فى المحاضرة فلم يفهم المفهوم الذى يقصده فى الألفية الثالثة .. هل هو الإنسان الذى خلقه ربه، والمكوّن من دم وجسد وروح؟

إذا كان هذا المفهوم، فهذا موجود، وسيظل، وقد تناولته الفلسفة الوجودية.

إن الإنسان مجموعة قُدرات، منها قُدرته على الإبداع.

٢-٣-٤- أى إبداع ظهر فى تاريخ البشرية، بدا عند ظهوره غير سوى[٢]:

ثم يأتى دور الدكتور بدر الدين على، الذى يبدأ تعقيبه بالتحفّظ على عنوان المحاضرة (مفهوم الإنسان فى الألفية الثالثة)، لأنه يرى أن اسم الألفية الثالثة يتكرر كثيرا هذه الأيام، مما يعتبره جرأة، بل شجاعة إلى حد كبير، لأننا نتكلم عن ألف سنة قادمة، وربما كان الأدق أن نقول (مع مطلع الألفية)، أو نتكلم فى حدود خمس وعشرين سنة، أو خمسين سنة مثلا على الأكثر، حتى يكون كلامنا أو تفكيرنا تفكيرا منطقيا وعلميا.

ثم ينتقل الدكتور بدر الدين إلى نقطة أخرى خاصة بالإبداع، يرى فيها أنه لا يغيب عن بالنا أبدا أن كثيرا من الإبداعات التى لها تأثير كبير على الحياة فى العالم كله، فى مجتمعات عديدة جدا على الأقل، بدأت بشكل ننظر إليه على أنه إبداع غير سوىّ، أو على أنه إبداع منحرف، والأمثلة نجدها بطبيعة الحال، فى جاليليو، وتشارلز داروين فى قانون التطوّر، وسجمند فرويد، وليس هناك كتاب فى الأنثروبولوجيا يخلو من تشارلز داروين، وَإن كان داروين نفسه وُضع فى السجن بسبب أفكاره.

---

(١) من تعقيب الدكتور السيد عبد العزيز البهواشى ، الأستاذ المساعد بكلية التربية بالعريش، جامعة قناة السويس بمصر.

(٢) من تعقيب الأستاذ الدكتور بدر الدين على، الأستاذ بجامعة لويزفيل بالولايات المتحدة الأمريكية.

٢-٣-٥- الإسلام أطلق للعقل حريته ابتداء (١):

ثم يأتى دور الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار فى التعقيب، فيبدأ بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ...(٧٨)﴾ [النحل]، ويرى أنه بهذا الآية أعطانا الله - سبحانه وتعالى- مبدأ التفكير بالمحسوسات، ثم العقل.

ثم ينتقل الدكتور بركات إلى مقولة الدكتور مراد عن ابن رشد، فيرى أن ابن رشد ليس هو أول من قال بالتأويل، وأن أحدا لم يكفّر ابن رشد إلا المجموعة الموجودة حول الخليفة، فهم الذين كفّروه، وابن رشد لم يُمَسّ بشىء، ولم يُحرَق، ولم يُسجَن، وإنما أُقصِى عن مجلس الخليفة فقط. كما يرى أن إبداع ابن رشد الحقيقى فى أنه أولا قال بالصفات الذاتية للأشياء، وأنه إذا وجد السبب، وجد المسبَّب. وعلى هذا الأساس إذا درسنا القانون الإلهى فى الكون، فإننا نعرف المسبَّب، كما قال: إذا كانت الأشياء شيئا واحدا، وإذا لم تكن هناك صفات ذاتية، فإنها تصبح شيئا واحدا، بمعنى أنه ما الفرق بين النار والماء؟ الفرق هو أن النار فيها صفة ذاتية، وأنها تحرق، وأننا إذا وضعنا النار بجوار الشىء، عرفنا المسبب مباشرة، وقال: لكى يتمّ فعل، لابد من سبب داخلى وسبب خارجى، والسبب الخارجى هو النار، والسبب الداخلى هو أن القطن يقبل الإحراق، فإذا وُجدت النار ووجد القطن احترق القطن، قطعا. وعلى هذا الأساسُ وجد التأويل فى المعتزلة من أول الأمر، ثم وُجدت لا مركزية الإنسان ـ أو مركزية التحكم فى الكون.. فالإمام مالك، حين وقف أمام قبر الرسول ﷺ، قال: ما كان من صاحب هذا المقام فعلى العين والرأس، وما كان من غيره فهم رجال ونحن رجال.

ويختم الدكتور بركات تعقيبه بقوله: إن الإسلام أطلق للعقل الحرية من أول الأمر، فشجع الإبداع وأمر بالسير والسعى، وحارب التقليد، وقال فى الذين يقلدون ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ..(٤٤)﴾ [الفرقان]، وإن الإسلام قد أطلق العقل من أول الأمر ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ...(١٨)﴾ [آل عمران]. وبعد أن بيّن الكون والماء، يقول سبحانه: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ(٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ

(١) من تعقيب الأستاذ الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار، الأستاذ بجامعة الأزهر بمصر.

عِبَاده الْعُلَمَاءُ ..﴿٢٨﴾ [فاطر]، فعلماء الطبيعة سيصلون إلى الحقيقة، وعلماء النَبَاتَ سيَصِلون إلى الحقيقة، وعُلماء الإنسان سيصلون إلى الحقيقة، ومادام الإنسان قد فكّر، فإنه سيصل.

٢-٣-٦- رؤية الدكتور مراد تفتقر إلى الإبداع(١):

ثم ننتقل إلى تعقيب الدكتور محمد سيف الدين فهمى، الذى يتفق مع الدكتور بدر الدين على فى أن ألف سنة فترة طويلة جدا، وأن رؤية مفهوم الإنسان فى الألفية الثالثة هذه - كما قال الدكتور مراد وهبه - فيها افتقار إلى الإبداع، لأن تصوّراته فيها تختص بمفهوم الإنسان فى الألفية، وهو - فى الحقيقة - امتداد لما هو قائم الآن، فنحن نتكلم عن ريادة الفضاء، فمن قال: إننا الآن فى عصر ريادة الفضاء؟ ونتكلم عن الاعتماد المتبادَل، ونحن الآن فى عصر منظمة التجارة العالَمية، ونتكلم عن الخَصخَصة، ونحن فى عصر الخَصخَصة، وبالتالى فإن ما يتصوره السيناريو الذى سيكون موجودا خلال الألفية الثالثة، هو سيناريو قائم الآن، وليس فيه تجديد.

٢-٣-٧- تعليمنا يقتل الإبداع(٢):

ثم ننتقل إلى تعقيب الدكتور أحمد إبراهيم أحمد، الذى يركز فى تعقيبه على البعد الآخر من أبعاد الرباعية التى ذكرها الأستاذ الدكتور مراد، واعتبرها رباعية الألفية الثالثة، وهى الكونية والكوكبية والاعتماد المتبادل ، ثم بُعد الإبداع، ويرى أننا لو شاهدنا طبيعة المؤسسات التعليمية فى النظام التعليمى المصرى، فسنجدها تسير بنظام السلطة. . فهى تسير من فوق إلى تحت. . أو من أعلى إلى أسفل، دون أن تراعى أية فروق بين المناطق التعليمية، فهل نأتى الآن ونتكلم عن الألفية الثالثة وخصائصها؟ إنه كلام جميل جدا، ولكن لننزل إلى أرض الواقع، لنجد الواقع يختلف عن مسألة الإبداع تلك. هل مجاميع الثانوية العامة، وطريقة التدريس، والكتُب التى توزع فى المؤسسات التعليمية وفى الجامعة. . هل هذه كلها تعبر عن الإبداع؟ فكيف نحقق الإبداع فى تعليمنا؟ هذا هو السؤال الذى يحيّرنا، ولو أردنا أن

---

(١) من تعقيب الأستاذ الدكتور محمد سيف الدين فهمى، أستاذ التربية المقارنة بكلية التربية، جامعة الأزهر بالقاهرة.

(٢) من تعقيب الأستاذ الدكتور أحمد إبراهيم أحمد، رئيس قسم التربية المقارنة بكلية التربية ببنها، جامعة الزقازيق بمصر.

نفكك المؤسسات أو نخصخصها، فكيف يتم ذلك فى ضوء النظام السلطوى الموجود فى المجتمع المدرسى؟

٢-٣-٨- الدولة اليوم مع الإبداع[١] :

ثم يأتى دور **الدكتورة مريم الشرقاوى** فى التعقيب، فتختلف مع **الدكتور مراد وهبه** فى قوله بالتناقض بين الدولة والإبداع، لأنها تعتقد أن الإبداع ـ فى العصر الحديث ـ يختلف اختلافا كبيرا جدا، حيث لا تَناقُض ـ من وجهة نظرها ـ بينه وبين الدولة، لأن الدولة ربما كانت تشجع الإبداع الآن، فقبل أن ندخل الألفية الثالثة، كرّمت الدولة مُبدعين كثيرين جدا، منهم **الدكتور حامد عمار** فى المجال التربوى مثلا، الذى أعطته التقدير الذى حصل عليه **الدكتور زويل** فى مجال الكيمياء تقريبا.

٢-٣-٩- المحاضرة مستفزة وممتعة[٢] :

ثم ننتقل إلى تعقيب **الدكتور بيومى ضحاوى**، الذى يرى فيه أن **الدكتور مراد وهبه** قد وجه للمستمعين رسالة مستفزة، مما فتح الباب للحوار الممتع، الذى استمع الجميع إليه، بدءا من **الأستاذ الدكتور صلاح جوهر**، وهو يهيئنا لهذه المحاضرة، ثم **الأستاذ الدكتور سيف الدين فهمى**، ثم **الأستاذ الدكتور بدر الدين**، **والأستاذ الدكتور بركات**، **والأستاذ الدكتور وجيه الصاوى**، **والدكتور سامى**، **والدكتورة مريم**، فكل منهم أتى بفكرة جديدة، فكان فى ذلك استمتاع لهذا الجمهور.. وهذه هى رسالة الفيلسوف.

٢-٣-١٠- الإنسان مبدع، ولكنه ليس حيوانا[٣] :

ثم ننتقل إلى تعقيب **الدكتور أحمد نجم الدين عيداروس** الذى يرى فيه أن الإنسان هو الكائن الحىّ الوحيد، الذى أنعم الله عليه بنعمة العقل، ومن هنا يستطيع أن ينظر، وأن يتعقل الأمور، وأنه لذلك يصعب تعريف الإنسان بأنه حيوان مبدع،

(١) من تعقيب **الدكتورة مريم محمد الشرقاوى**، مدرس التربية المقارنة بكلية التربية ببنى سويف، جامعة القاهرة بمصر.

(٢) من تعقيب **الأستاذ الدكتور بيومى محمد ضحاوى**، أستاذ التربية المقارنة بكلية التربية بالإسماعيلية، جامعة قناة السويس بمصر.

(٣) من تعقيب **الدكتور أحمد نجم الدين عيداروس**، مدرس التربية المقارنة بكلية التربية، جامعة الزقازيق بمصر.

وذلك لأن الحيوان حيوان ، والإنسان إنسان، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** .. ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء]. ومن ثم فهناك فارق كبير - عنده - بين أن يبدع العقل، وبين أن يشتَفّ العقل، كما أن هناك فارقا كبيرا بين الإبداع الفكرى والهَوس الفكرى، الذى نراه إذا لم يكن للإبداع منطلقات موضوعية، وقِيَم أصيلة، تمثل حدودا ومَسارات له.

٢-٣-١١- الإبداع حقا أن نحافظ على ثوابتنا ومعتقداتنا[(١)]:

ثم ننتقل إلى تعقيب **الدكتور سمير بركات**، الذى يبدأ بتقرير أنه (يتوه) فى كمّ الرياضة العقلية الذى يبدو فى المحاضرة، لأنه يجعل المستمع يستغرق استغراقا شديدا فى المصطلحات والتعبيرات والعلاقات، مما يعوق حركة عقله وفكره.. ثم ينتقل إلى القول بأنه يتألم كثيرا عندما يسمع الإنسان يوصف بأنه حيوان؛ وذلك لأن الله سبحانه وتعالى يقول - فى كتابه العزيز - فى سورة البقرة: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ... ﴿٣٠﴾ ﴾، ويقصد - بذلك - سيدنا آدم، إنه لا يمكن أن يكون خليفة الله فى الأرض حيوانا، لأن الإنسان إنسان، ولأن الإنسان هو خليفة لله فى الأرض، ولأنه أعظم خلق الله على الأرض.

ويختتم **الدكتور سمير** تعقيبه بقوله: إن النظام العالَمى الجديد، الذى كان موضوعا لأول مؤتمر عقدته الجمعية، وكان هذا النظام العالمى الجديد غير مفهوم لدينا، ثم اتّضحت معالمه بعد عدة مؤتمرات، حيث اتّضح أنه يعنى إذابة جميع الهويات، وخلخلة العقائد، حتى إنه فى مؤتمر عُقد فى الأردن، وحضره عدد كبير من وزراء التربية، انتبهوا فيه إلى توصية مهمة جدا، وهى أن كل الدول عليها أن تضع منظومة جديدة لقِيَم عالمية، بصرف النظر عن الديانات والعقائد والهُويات الثقافية، ومعنى ذلك أن النظام العالمى الجديد - أو الكوكبية - أو العالمية - هى عبارة عن تجريد الشعوب من أهمّ مقومات هذه الشعوب، وهى العقائد الدينية، والمصطفى ﷺ - فى خطبة الوداع - قال: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به، لن تضِلُّوا بعدى أبَدا: كتاب الله وسنتى».

ومن ثم فإنه فى المنظور الذى ينظر به **الأستاذ الدكتور مراد وهبه إلى الإبداع**، على أنه ضدّ العقائد الدينية، والموروثات الثقافية.. خطأ فادح. ثم إن الدين الإسلامى - كما تفضل **أستاذنا الدكتور بركات دويدار** - يدعونا إلى التعقّل فى كل أمور حياتنا، مع الاحتفاظ بالثوابت فيه، ومن الإبداع أن نحافظ عليها.

(١) من تعقيب الدكتور سمير بركات، الأستاذ المساعد بمعهد البحوث والدراسات التربوية بجامعة القاهرة بمصر.

٢-٣-١٢- البدائيون أبدعوا كذلك:

ثم ننتقل إلى تعقيب الدكتور نبيل تاج الدين[١]، الذى يرى فيه أننا ننظر إلى الأعمال التى قام الناس بها - فى العصور القديمة - على أنها أعمال بدائية، مع أنها كانت إبداعات للأولين، ثم جاءت الأنظمة الاجتماعية لتحدّ من الإبداعات الفردية، لكى تجعل للمجتمعات سمة معينة.

٢-٣-١٣- بدون الدين يكون الإنسان بربريا:

وأخيرا ننتقل إلى تعقيب الدكتور محمد حسن رسمى[٢]، الذى يلوم الدكتور مراد لتركيزه فى كلامه على الصفوة Elite، وإهماله الإنسان العادى، كما أنه تحدث عن الإنسان، ولم يوضح لنا: عن أى إنسان يتحدث:

هل هو يتحدث عن الإنسان المفكر، أم عن الإنسان الكادح؟

وهل هو الإنسان الذى يعيش اليوم؟ أم الإنسان الذى كان يعيش فى عصر العبودية، مثلا؟

كذلك لفت نظر الدكتور محمد رسمى موقف الخصومة الذى اتخذه الدكتور مراد مع الدين، مع أننا لو طرحنا الدين جانبا، فإننا سنكون برابرة Barbarians.

٢-٤- وتعقيب الدكتور مراد على التعقيبات:

بدأ الدكتور مراد وهبه تعقيبه على التعقيبات بأنه يرحب بها جدا، لأنه يستمتع بالخلافات الحادة، لأنها تُثير الفِكر طبعا.

على أن القضية بالنسبة له ليست مسألة إقناع، بقدر ما هى مسألة توضيح، وذلك لأن الحوار يؤدّى إلى الإقناع، ومسألة التوضيح مطلوبة، حتى تكون هناك خصوبة أكثر فى الحوار.

وكان أول تعقيب للدكتور مراد، هو توضيحه أنه لا يتحدث أبدا عن الدين، وإنما هو يتحدث عن العلوم الدينية، وإن كان يُساء الفهم عندما يتكلم على الأصوليات الدينية، ووضح الدكتور مراد أنه قد بدأ يطرح مسألة الأصولية والعالمية،

(١) من تعقيب الدكتور نبيل تاج الدين، مدرس التربية المقارنة بكلية التربية بكفر الشيخ، جامعة طنطا بمصر.

(٢) من تعقيب الدكتور محمد حسن رسمى، أستاذ التربية المقارنة المساعد بكلية التربية ببنها، جامعة الزقازيق بمصر.

فى بريتون سنة ١٩٨٨، وأنه فى نفس هذا العـام (سنة ١٩٨٨)، قررت الأكـاديمـية الأمريكية للآداب والعلوم والفنون.. قرّرت أن تدرس الأصـوليات الدينية فى العالَم، وأحالت المشروع إلى جامعـة شيكاغو، وخصصت جامعـة شيكاغو مليونين ونصف مليون دولار لهـذا الغرض، وبدأت جامـعة شـيكاغو تبحث فى الأصولـيات الدينية جميعا، بمختلف الأديان، وأصدرت خمسة مجلدات ضخمة عن الأصوليات الدينية، ومختلف رؤاها فى مختلف المجـالات، وقال هذا المشروع: إنه سيطرح هذه النتائج - المترتبة على هذه الدراسـة - على قيادات العالم، حتى يمكن أن تضع سـياسات دولية لـ: كيف يمكن مواجهة الأصوليات الدينية؟

النقطة الثـانية التى تحتـاج إلى توضيح عنده، هى مـسألة تعريـف الإنسان بأنه حيـوان اجتماعى، أو بأنه حـيوان مُبدِع، وقـد ردّ عليها بأن من المهم جـدا أن نعرف جيدا أن مثل هذه التعريفات واردة تمامـا فى اللغات الأجنبية، حيث نقرأ فى الإنجليزية مثلا Man is a social (or creative) animal.. و(حيـوان) هنا مأخـوذة من اللغة اليونانية (أنيما) anima، التى تعنِى (النفس).

ثم ننتقل - مع الدكتـور مراد - إلى مسـألة أن هناك إبداعا سيـئا وإبداعا غـير سيئ، لنراه يـقول: إن هذا الموضوع كـان موضِع نقاش حـادّ، بينه وبين أيزنك Ey-senk، عالِم النفس المشهور، الذى توفى من مدة، حيث التقى معه فى عمل جلسة، كانت عنده فى المستشفى، وحيث أرسلوا له نسخة من مشروع الإبداع والتعليم العام، الذى يتبناه الدكتـور مراد، ويذكر أن من ضِـمن ما قاله له: إن (مُبـدع) ليس لها إلا معنى واحد، هو أنه مريض عقليا، وهذه هى رؤيته، أما رؤية الدكتور مراد، فهى أن المبدِع إنسان سوِىّ لأنه يغيِّر، أو يُحدِث تغييرا فى المجتمع، ومسألة جاليليو وغيره ممن اضطُهدوا بسبب رغبـتهم فى التغيير.. أتى الاضطهاد هنا من أن مؤسـسات المجتمع دائما تحب الاستقرار، فالمُبدع عندما يريد أن يغيّر، فإنه لا بد أن يواجَه بمقاومة، فهذه مسألة حتمية، مما يعنى أنه لا بد أن يكون مُبدعا فى إطار مؤسسات الدولة. ويذكر أنه التقى برئيـسة قسم الابتكار فى أكـاديمية البـحث العلمى، منذ حوالى عـشر سنوات تقريبا، حيث قال لها: أنا مهتم بالإبداع، وأحب أن أرى ما عندك، فوجدها موجودة فى غرفة ضيقـة، وكان يظنها تحتل جناحا كبيـرا، فقالت له: جاءنا طالب فى المرحلة الإعدادية، وعمل شيئا مبدعا، وهو أنه حل مشكلة والده، الذى كان كبيرا فى السن،

وكان ينتقل بسيارة خاصــة، والذى كان إذا أراد تغيير (العجَلة)، رفع (الكوريك)، مما كان يرهق والده، فأوصل (الكُرِيك) بأسلاك كـهربائية، تربط بين (الكريك) وبطارية، حيث يتم رفع (الكريك)، دون إجهاد والده.

فإذا عرّفنا الإبداع بأنه قُدرة العقل على تكوين علاقات جديدة، من أجل تغيير الواقع، فإننى ـ والكلام للدكتور مراد ـ أرى هذا الذى فعله الابن ، صورة من صور الإبداع، ومن ثم أرسلنا الابن إلى اليابان، حـيث كانت تجرى مسـابقة للإبداع هناك، فحصل على الجائزة الأولى.

وتُكمل رئيسة قـسم الابتكار، فتقول: إنها اتصلت بوالد الفائز بـالجائزة، فقال لها: لو سـمحت. . ممنوع منعا باتًا الاتصـال بابنى، لأنه فى الإعدادية، وأنا أريده أن يحصل على مجمـوع كبير، وأن يحفظ دروسه حفظا، أمـا مسألة الإبداع الذى ضيَّع وقته وجهده فيه، فقد حصل على جائزة من أجله، وهو مسألة لا علاقة لها بالتعليم، فلا تعطّلوه عن المذاكرة، وسـأحبسه فى البيت لذلك، حتى يحفـظ الأسئلة وإجاباتها النموذجية. إذن هناك مقاومة للإبداع، وللعـملية الإبداعية فى رأى الدكتور مراد، لأن مسألة تغيير نظام التعليم مسألة شاقة جدا، لأنها تجد مقاومة شَرِسة جدا.

وبالنسبة لمن قال إن الدكتور مراد أهمل الإنسان العادى، وركـز على النخبة، يقول له: إن البحث لم يقل كل شىء ، وإنه فى سنة ١٩٨٢ ، عقد مؤتمر دولى عنوانه (الفلسـفة ورجل الشـارع)، وأنه اختـار (رجل الشارع) للعنـوان، من باب الإغراء، ولكن الترجمة الدقيقة لما كان يريده، هى (الإنسان الجماهيرى)، وقد تلقت (صحيفة الأهرام) أعدادا ضخمة من رسائل الهجـوم عليه وعلى المؤتمر، واستمرّ ذلك ما يقرب من شهرين، حيث كان كل يوم جمعة يقرأ شتائمه فى (صحيفة الأهرام).

إن التحـرّك إلى الأمام لن يكون ـ فى نظر الدكتـور مراد ـ إلا برجل الشارع، ومن ثم فإنــه لا بد أن يتم تنويره، من خلال وسـائل الإعلام، ووسـائل الإعلام هى التى تقف ضِدّه.

وبالنسبة لمسـألة التأويل كذلك، يرى الدكتور مراد أن المعتزلة قالت بالتأويل، وأن الغزالى عمل قـانونا للتأويل،وابن تيمـية عمل قـانونا للتأويل، ولكنه يرى أن المعتزلة انقســمت إلى عشرين فرقة، وكانت كل فرقـة تكفّر الأخرى، فلا يكون تأويل إذن، لأن التأويل لا يسـتقيم مع التكفيـر. كذلك عمل الغزالى قانونا للتأويل يمنع

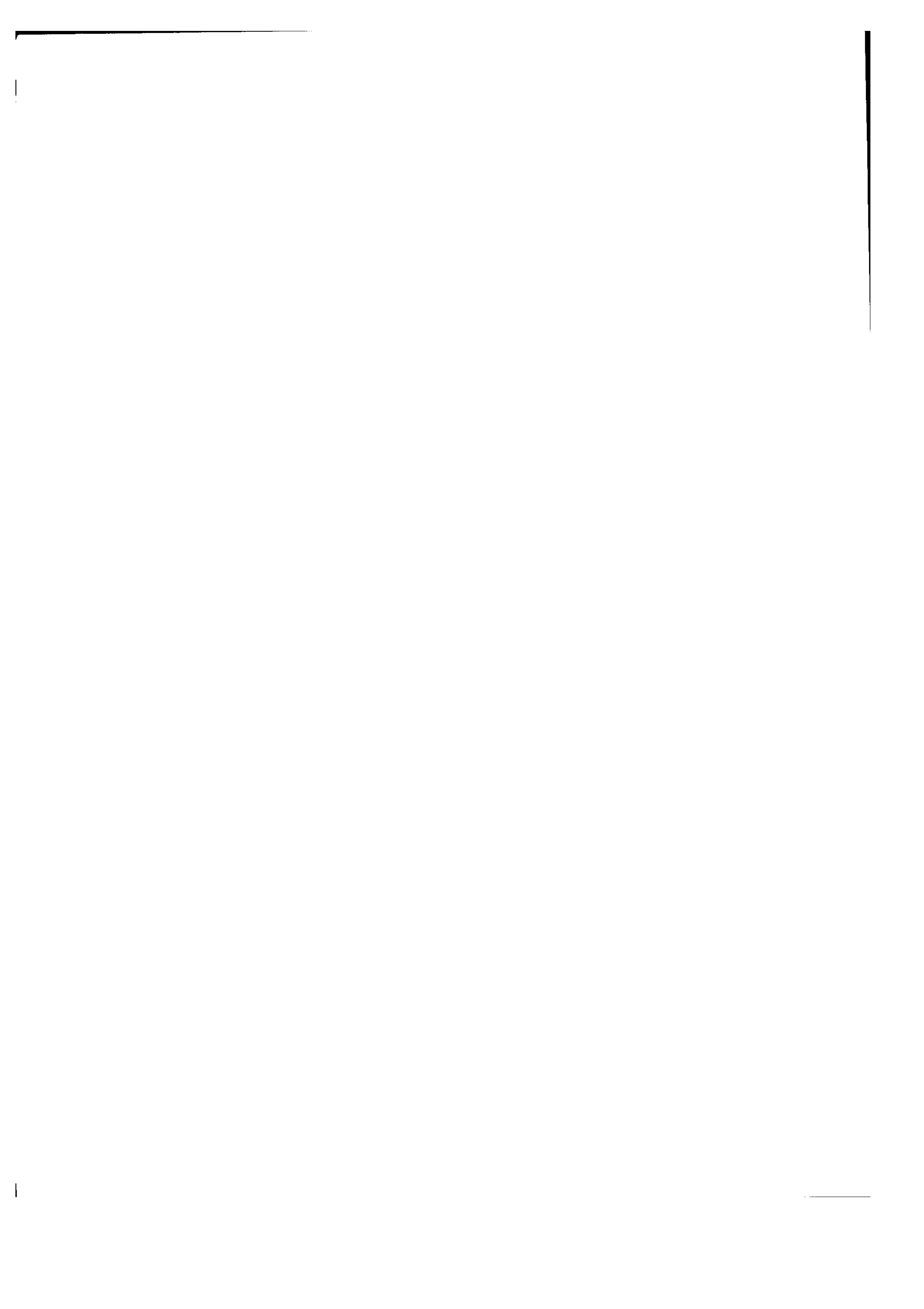
التأويل، كما نقرأ فى كتابه **تهافُت الفلاسفة**، وابن تيمية وضع قانونا للتأويل أقسَى من أىّ قانون آخر، يمنع فيه التأويل تماما.

أما ابن رشد، فكان واضحا ومتّسقا مع ذاته، ومسألة أنه لم يُضطهد خطأ، وذلك لأننا نعرف أن كُتُبه أُحرِقت، بدليل أن بعض كتب ابن رشد لا يوجد النص العربى لها، وإنما الموجود هو الترجمة اللاتينية والعبرية لها.

وفى نهاية المطاف، يقول **الدكتور مراد**: إننى عقدت ما يقرب من عشرين مؤتمرا دوليا، سواء فى الخارج أو فى الداخل، وقمت بطباعة بحوث هذه المؤتمرات، وترجمت بعضها إلى العربية، ونُشرت كلها باللغات الإنجليزية والفرنسية، ومن بين هذه المؤتمرات مؤتمر عن (الهوية الثقافية)، ومن ثم فليس جديدا علىّ أن أتكلم عنها اليوم.

ومسألة أنه أيديولوجِىّ مسألة خِلافية، ولكنه يقول لمستمعيه فى عُجالة: إننى عندما ذهبت إلى موسكو أستاذا زائرا، جرت محاورات لى مع فلاسفة ورجال سياسة ورجال دين، وكان الاتفاق على أن يترجَم الكتاب الذى سأؤلفه إلى اللغة الروسية، وقد تُرجم الكتاب، ولكنه لم يُنشر، وذلك لأنهم اعتبروه معاديا للماركسية، وعندما أردت نشره فى القاهرة، حذفت الرقابة ثلثه، وعندما ألغيت الرقابة، نشرتُه كاملا.

ومعنى ذلك أن الكتاب ليس مقبولا هنا، كما أنه لم يكن مقبولا هناك، ومن ثم فإن مسألة أنى أيديولوجِىّ مسألة خِلافية كما قلت، فأنا لست ملتزما بأيديولوجيا معينة - يقرر **الدكتور مراد**.





الفصل الثالث

التعددية الثقافية من منظور سيكولوجي



الفصل الثالث
التعددية الثقافية من منظور سيكولوجى[1]

٣-١- محاضرة الأستاذ الدكتور فؤاد أبو حطب:

٣-١-١- مدخل المحاضرة: تقرير التنوع البشرى الخلاق:

بدأ الدكتور فؤاد محاضرته بالإشارة إلى أنه عندما طلب منه الدكتور عبد الغنى عبود أن يتحدث فى موضوع (التعددية الثقافية)، تردّد وأخذ الموضوع منه وقتا ليقلّب بين أطرافه، فنحن نتحدّث عن العولمة.. عن التنميط.. عن عصر يتصورون أنه سيضع إنسانا مُقولبا فى قالب واحد، وفى نفس الوقت تُثار قضايا التعددية والهُوية، وكانت المبادرة - حقيقة - فى غاية الأهمية من اليونسكو، حينما أصدر تقريره الشهير، الذى لم يأخذ حقه من الشيوع والمناقشة، كما أخذت تقارير أخرى هذا الحق، وهو تقريره عن الثقافة. اليونسكو أصدرت تقريرا عن التعليم، وأصدرت تقريرا - بعد ذلك - عن الثقافة، وسيصدُر تقريرها عن العلم قريبا، إذ إنى أعتقد أنه على وشك الصدور، وهو تقرير يلفِت الانتباه، لأنه فى غاية الأهمية، وخاصة فى جو يتحدّث عن العولمة.

عنوان التقرير هو (التنوُّع البشَرى الخلاق)، ففى ظل طوفان العولمة الذى أحاط بنا من كل جانب، والذى يبشر بزوال الحدود وزوال الثقافات، وزوال الهُويّات.. ظهر هذا الضوء وسط هذا الظلام، ليبشّر بطبيعة الأشياء، وليعود بنا إلى أصول الأشياء، ووجدتُ أن الموضوع - بالفعل - يستحق أن نتحدث فيه، وبُحكم التخصّص، كان لا بد أن أحيل الحديث إلى تخصص، وهو علم النفس، فى موضوع الثقافة.

وحين نتحدث عن الثقافة، قد يكون من حُسن الطالع، أو من حُسن الحظ، أن مفهوم الثقافة ينتقل إلى علم النفس من خارجه، فقد أتانا من الأنثروبولوجى.

وأقول (من حُسن الحظ)، لأن ثمة مفاهيم كثيرة حينما وُلدت فى سياق علم النفس، أثارت قدرا كبيرا من الاختلاف، ولا أحب أن أعطى قائمة مطولة بمفاهيم،

---

(١) محاضرة الأستاذ الدكتور فؤاد أبو حطب، أستاذ علم النفس التربوى بكلية التربية، جامعة عين شمس، فى نهاية اليوم الأول من أيام المؤتمر- السبت ٢٢ يناير سنة ٢٠٠٠م.

على رأسها المفهوم الذى كان مُثارا هذا الصباح، وهو مفهوم الإبداع. ولا يعنى ذلك أن الخلاف مرفوض، ولو أننى ألاحظ فيمن يتحدثون عن الإبداع - وأنا عاشرتُ الإبداع وعايشتُه، سواء فى داخل مصر أو خارجها.. مما يلفت انتباهنا أن من يتحدثون عن الإبداع يتشبثون بمَواقفهم، على نحو أكثر تطرّفا من الذين يُوصفون بأنهم من أنصار الجمود أو التطرُّف.

هذه قضية ثانوية عموما، ولكنى أذكر هذه الحقيقة، لأننا عانينا فى علم النفس، وعانت العلوم الإنسانية الأخرى، من لعبة المفاهيم، ولكن هذا المفهوم - لحُسن الحظ - جاءنا جاهزا معلّبا، من علمٍ آخر، وحينما جاءنا كان العلم يسير فى تيار محدّد، أنه علم يسعى إلى دراسة قوانين السلوك الإنسانى.. والبحث عن القوانين معناه البحث عن العموميات، وعن الأشياء المشتركة، والأشياء المتشابهة، أو الشائعة، أو العامة. وعلى ذلك، فإننا حينما نؤرخ لهذا العلم، ونناقش بعض ما حدث فيه، سوف نجد أن كثيرا من قضاياه حينما طُرِحت فى المراحل الأولى، كان يُنظر إليها على أنها تصلح لكل زمان ومكان، ثم بدأت الأزمة، حينما بدأت تجرِى بعض المقارنات الثقافية، وخاصة فى العصر الاستعمارى، حيث قدمت البحوثُ التى أجراها بعضُ علماء النفس، الذين أوفدتهم مخابرات بلادهم، لكى يدرُسوا الشعوب المستعمَرة.. قدّمت أدلة قوية جدا من الناحية العلمية، ومن الناحية المنهجية، تؤكد تخلّف هذه الشعوب، وكان معيار التخلف والتقدم، أن تُنسب هذه الشعوب لمعيار الثقافة الوافدة، أو الثقافة التى جاء منها هؤلاء، ولدينا رُكام من العلم والبحث الآن، ومِن حُسن الحظّ أننى شاركتُ فى مؤتمر - منذ وقت قريب - فى مونتريال عام ١٩٩٦، كان يجرى فيه تقويم لما حدث فى علم النفس فى قرن، ووجدنا أن نسبة كبيرة من هذه الأشياء أصبحت تدخل فى باب الركام الذى لا معنى له، لأنها قدمت صورة مشوّهة للطبيعة البشرية. وقد جاء المأزق من أن العلم الإنسانى لم يكن يُنظر إليه على أنه يتمّ فى وعاء ثقافى، وإنما كان يُنظر إليه على أنه وعاء، يقدم حلولا للإنسان فى كل زمان ومكان، وهذه إحدى المآزق الأساسية التى يواجهها الآن.

٣-١-٣- وجد علم النفس فى الثقافة طوق نجاة:

وقد وجد علم النفس فى مفهوم الثقافة طوق نجاة - فى نظر **الدكتور فؤاد** - فبدأ - على استحياء - وخاصة فى الربع الأول من هذا القرن - يُجرى دراسات تحت مسمّى مشهور الآن، وله أنصاره، وله مدارسه، وله مؤسّساته العِلمية، المحلية

والعالمية، تحت ما يسمَّى علم النفس الثقافى المقارن، وهذه هى ترجمتى لما يسمى باللغة الإنجليزية Cross -cultural Psychology - أى علم النفس عبر الثقافات، أو علم النفس الثقافى المقارن، إذا أردنا ترجمة أصحّ أو أدق. . هؤلاء العلماء - وكنت أتحدث قبل هذه الجلسة مع بعض زملائى حول هذا الموضوع . . عبّرتُ عن أسفى، لأن هذا الفرع من المعرفة لم يحظ باهتمام يُذكر فى عالمنا العربى، وكل ما يُذكر أننا نقارن ثقافة كويتية بثقافة عراقية، وثقافة مصرية بثقافة سودانية. . إن كل ما يجرى الآن لا يَدخل فى صميم هذا المجال، لا منهجا ولا موضوعا، لأنك تأخذ عيّنة من بلد، وعيّنة من بلد آخر، وتُجرى على العينتين بعض الحيل الإحصائية، ومن ثم فإن ذلك لا يدخل فى صميم هذا الموضوع، لأن العلم له أصول، وله قواعد، سوف أتحدث عن بعضها، لأننى أتحدث فى سياق ما يسمّى التربية المقارنة، فالتربية المقارنة - فى تصوُّرى - يمكن أن تمتدّ بآفاقها إلى أىّ عِلم مقارن وظّف مفاهيم الثقافة، ومن بين العلوم التى يمكن أن تندرج تحتها. . علم النفس.

ولا أحب أن أدخل فى المفاهيم، التى أعتقد أنكم أدرى الناس بها، وفى الجهود التى بذلها علماء الأنثروبولوجى فى مَراحِلها المبكرة، ولكن المهمَّ أننى أحبّ أن أشِير إلى أن الإسهام الحقيقى الذى قدمه علم النفس الثقافى المقارن، هو أنه وسع الأفق الذى كانت تنحصر فيه بحوث الأنثروبولوجيا المبكرة، فقد كانت الأنثروبولوجيا المبكرة تتعامل مع ما نسمّيه الثقافات البعيدة، أو الثقافات المنعزِلة.

ولذلك فإننا حين نقرأ بحوث الأنثروبولوجيين الأوائل، نقرأ هذه الكتابات كأننا نقرأ (حواديت) لطيفة جميلة، عن قبائل كذا، وشعوب كذا، والأماكن النائية فى مناطق من العالم، وكلها (حواديت) أو قصص، تملأ الوقت وتشغله للمتعة، وطبعا وراء ذلك أغراض سياسية.

وحينما دخل علم النفس الموضوع، وظهر جهده فى هذا الميدان، اقتحمه من خلال تناوُل الحضارات الإنسانية، والثقافات الإنسانية، على اتساع نطاقها ومداها كله، وبدأ فى توظيف المفاهيم التى نعلمها بعلم الثقافة، وعلى رأسها مفهوم الثقافة الغالبة، والثقافات الفرعية، وكل المفاهيم التى نعلمها فى هذا الميدان.

وحينما دخل علماء النفس هذا الميدان ليتناولوا الثقافة، كان من الممكن أن يقعوا فى المأزق، لو دخلوا الموضوع من منظور التصوُّر الذى كان شائعا، والذى يرى

أن السلوك الإنسـانى عام مطلق، وقوانـينه تقبل النقل والتنقل والانتـقال، من ثقـافة لأخـرى، ومن بيـئة لأخـرى، وهو المعنى الذى كـان شـائعـا فى المراحل الأولى من العلم، والتى كان ـ ولا يزال ـ البـعض يركز عليها حـتى الآن، بمعنى أن هذه الفروق أو الاختلافـات، هى أخطاء قياس، أو أخطاء بحث، أو أخطاء منهـج، أما الأساس فهو التعميم.

وبالرغم من أن قضية مثل الفروق الفردية، وهى قضية كانت موجودة وشائعة، إلا أنه لم يتناولها أحد، فلم يهـتم أحد بقضية الفروق بين الثقـافات، فكيف نتحدث عن الفـروق بين س، ص من البـشر، ولا يـمكن أن تعمل ـ ولـو بالمعنى الرياضى ـ نوعا من الاستكمال، لنتحدث عن الفروق بين الثقافات.

كان هناك خطأ منهجى قطعا، إضافة إلى خطأ نظرى واضح.

إذن مفهوم الثقـافة حين دخل فى إطار علم النفس، وسّع هذا الأفق ـ فى نظر **الدكتـور فؤاد** ـ بمعنى أنه نبـهـنا إلى أننا يجب أن نضع فى اعـتبـارنا هذا التنوّع البشرى، أو هذا التنوع الثـقافى. . وهذا التنوع الثقافى لا يُقـصد به أن يكون ثابتا أو استـاتيكيا، بمعنى أن يظل على حـاله دائما، ولكن التنوع الثـقافى لُوحِظ عليه أشـياء غريبة جدا حـينما بُحث، حيث لُوحِظ أنه من الممكن أن يحدث التغيّر، إمـا أفقيا أو رأسيا، بمعنى أن الثقافة تتغيّر، وأيضاً الأشـخاص الذين ينتسبون إليها يتغيرون، وربما كان أشهر الأسئلة التى بحثها العلمـاء واهتموا بها جدا، هى مسألة: كيف يمكن لك أن تتحول؟ وفى الصباح كان هناك سؤال لطيف مطـروح، عندما سُئل **الدكتـور مراد وهبه** عن موقفـه الأيديولوجىّ، فرأينا أن الموقف الأيديولوجِىّ يأخذ فى التغـير، فهل من الممكن لك ـ وهذا داخل فى صـميم لعـبة السلوك الإنسـانى ـ أن تكون ثائرا فى مرحلة مـن مراحل حيـاتك، ثم تصبح مـحافظا فى مـرحلة تالية؟ لقـد وُجد أن هذا موجود فى أشـياء كثيـرة جدا فى السلوك الإنسانى، وربما حدث ذلك مع الـتقدم فى السن أحيـانا، ففى مرحلة الشبـاب قد تكون راديكاليا، وفى مـرحلة أخرى يمكن أن تصيـر مُحافظا، لأن العمَل يُراد له الاسـتمرار، والأسـرة تريد أن تبقى، والأبناء يُراد لهم أن يعيـشوا، فـتبدأ المسـائل الكثيـرة تلعب دورها فى تحويل الإنسـان من موقف لآخر، وهذا يدخُل فى صميم مفهوم الثقافة، ومفهوم السلوك الإنسانى.

٣-١-٣- مفهوم الهوية التقطه علم النفس من مجال الأنثروبولوجى، ليزداد فهمنا للسلوك الإنسانى:

كذلك طُرح فى السياق نفسه موضوع الهُوِية Identity: هل الهوية مفهوم ساكن، أم أنه مفهوم ديناميكى؟ لقد شبهتُ الهوية فى ندوة كان يقيمها معهد التخطيط القومى، أو وصفتُها، بأنها بِنية Structure، بينما الانتماء أو الولاء عملَية، فمِن الممكن أن يصبح الإنسان هويات، ولكنها لا تكون فعّالة، فبعضُها يكون عاملا، وبعضُها الآخر يكون فى حالة سكون، فمتى تنشط بعض مكونات البِنية، ومتى تتوقف؟ إن هذا يتوقف على عوامل كثيرة جدا، تستطيع أن تؤثر فى تنشيط- أو وقف نشاط- بعض مكوّناتها.

إن كلا منا له عديد من الهويّات، وبعض هذه الهويّات تنشأ عن انتسابه إما للثقافة الغالبة فى المجتمع، أو عن انتسابه إلى ثقافات أخرى فرعية.

ومفهوم الثقافة الفرعية نفسه لا يُقصد به التقسيم التقليدى أيضا للمجتمع ولفئاته، ديموجرافيا، أو اجتماعيا، أو ما شابه ذلك، وإنما هو يُستخدم أحيانا ليُشير إلى أشياء تبدو لنا أنها غير وثيقة الصلة بالمصطلح، حيث نتحدث أحيانا عن ثقافة المخدرات، فُيقال: إنها ثقافة فرعية للذين يتعاطون المخدرات، كما نتحدث عن ثقافة مَارِينَا، فيقال لك: إن مَارِينَا هذه عالَم آخر، ليس له علاقة بثقافة فرعية أخرى، وكذلك ثقافة الذين يحبون الاغتراب، فثقافة الاغتراب.. من لا يحبّ الحديث باللغة العربية، أو لا يحبّ أن يشير إلى أصول وتقاليد المجتمع.

وهكذا نجد مفهوم الثقافة يتسع جدا، ويدخل فى مسألة الهوية، أو التغيُّر فى الأدوار.

فكيف بدأ - أو كيف عمل - علم النفس الثقافى المقارن، الذى استطاع أن يلتقط مفهوم الثقافة من مجال الأنثروبولوجى، ليوظّفه فى فهمنا ودراستنا للسلوك الإنسانى؟

إن المنهج ملىء بالتفاصيل فى الحقيقة، بحيث لا يتسع له الوقت، ولكننى أدعو الآن إلى ضرورة أن نعكف على هذا الفرع الهام من فروع الدراسة، وأن ندرسه بعناية، لأنه مهم جدا، خاصة ونحن نتحدث عن مشكلات داخل مجتمعنا، وعلى رأسها ما حدث فى الفترة الأخيرة فى صعيد مصر، وما يحدث فى العالم العربى

المحيط بنا. إننا نتحدث عن أمة عربية ، فهل الأمة العربية متجانسة، فى الوقت الذى يحدث فيه فى الكويت ما حدث. . بالنسبة للعمالة المصرية على سبيل المثال؟

إن الحديث النظرى ـ الحديث الجميل (والكليشيهات) ـ لا تقدّم فائدة فى هذا السياق، وإنما يحتاج الأمر إلى تحليل ثقافى عميق، وتحليل للثقافات الفرعية، وتحليل للعوامل التى تفعل فِعلها فى بناء هذه الثقافات الفرعية.

وأستطيع أن أقول: إن ظهور هذا العِلم، الذى يعتمد على المقارنة بين الثقافات، والوصول ـ من خلال هذه المقارنة ـ إلى فهم السلوك الإنسانى للأفراد الذين ينتسبون إلى هذه الثقافات، من خلال تحليل ثقافى عميق وأصيل . . أستطيع أن أقول إنه يحقق لنا مجموعة من النواتج الهامة جدا، أكتفى بذكر أربعة منها، من بينها أن الدراسة الثقافية المقارنة التى تؤكد على التعددية والتنوّع البشَرى كما أشرت، وسَّعت لنا ـ أو للباحثين فى العلوم الإنسانية بصفة عامة ـ آفاق المتغيرات، فبدلا من أن يقصروا أنفسهم على عدَد محدود من المتغيرات، فُتحت لهم آفاق جديدة لمتغيرات البحث.

ولنأخذ مثلا عقدة أوديب، التى ظلت فى التحليل النفسى، وظلت فى التراث السيكولوجىّ، وفى نظرية الشخصية، وفى النظرية العلاجية، كما لو كانت حتمية سيكولوجية، لا بد أن يمرّ بها الأطفال فى جميع الثقافات، قبل أن يتنبَّه العلماء إلى المنظور الثقافى. . وعندما استُبدل المنظور الثقافى، ودرست ثقافات متعددة، بعضها خارج الثقافة الغربية، التى تنتسب إليها العلوم الإنسانية، وتهيمن عليها، لدرجة أن كثيرا من المصطلحات التى أرّقتنى جدا فى أحد المؤتمرات العِلمية، أن بعض العلماء الغربيين يصفون الثقافة الإنسانية المعاصرة بأنها (بَواقِى)، حيث يقولون The West and the rest . . إلى غير ذلك.

إذن معنى ذلك أن هذا المصطلح الشائع فى الغرب، وفى الثقافة الغربية وافتُرض أن له العمومية. . حين دُرس ثقافيا، وُجد أنه ليست له هذه الهيمنة وهذه العمومية، فالصراع بين الأب والابن ليس صراعا على أن الأم هى موضوع التعامل الجنسى من الأب، ليبقَى حقد الابن على الأب نتيجة لذلك، وإنما قد ينشأ هذا الصراع لأسباب أخرى، أهمها أن بعض الثقافات أثبتت لنا ـ وقد يكون هذا صادقا

إلى حدّ كبير فى الـثقافة العربية الإسلامية ـ أن الصـراع قد يكون ناجما عن أن الأب يقوم بدوره كمهذِّب، وكمربٍّ، وكمنظمٍّ للسلوك. . وأى منظّم أو مهذب، يولّد شيئا من عدم التقـبّل لموضوع التهذيب، وموضـوع التأديب، وهذا ثبت فى الثقافـات غير الغربية كلها تقريبا، ومنها اليابان.

٣-١-٤- دراسة الثقافات تفتح أبوابا جديدة لتفسير السلوك الإنسانى غير التفسيرات السائدة:

إن هذا مثال على أن دراسة المنظور الثـقافى يوسّع الأفق، ويفتح أبوابا جديدة، لتفسيرات جديدة، غير التفسيرات السائدة.

مثـال آخـر على المتغيرات، يعرضه الدكتور فؤاد، وهو أيضـا من علم النفس، وأنا أحاول - يقول الدكتور فؤاد ـ التحدث فى مفاهيم تبدو مشتركة لنا جميعا، دون الدخول فـى الفنيات السـيكولوجيـة، التى تخصّ علماء النفـس. . لنأخذ مـثالا نراه جميعـا فى الكتب الخاصة بعلم النفس، مثل الخداع البصَـرى. . فعندما أرسم خطّين متوازيين ومـتساويين فى الطول تماما، وأعمل لأحدهمـا سهما داخلا وللآخـر سهما خارجا، فإننى أعتبر هذا عموميـة ثقافية، ففى كتب علم النفس، يقال لك: إن جميع الناس حين يتعـرضون لهذين الخطّين، فلابد أن يقـولوا الخطّ ذو السهم الخارج أطول من الخط ذى السـهم الداخل. وهناك خـداع آخـر، وهو خـداع الخط الأفـقى والخط الرأسى، فعندما نعرض على شخص هذين الخطّين، فإنه يقول لك: إن هذين الخطين متساويان، دون أن يشعر بهذا الخداع.

وقد كشفت لنا البحوث الثقافية المقارنة شيئا جديدا تماما، لم يكن فى الحسبان، ووجدتُ هذا الكلام فى كـتاب كنتُ قد ترجمـته منذ زمن، عنوانه (آفاق جـديدة فى علم النفس) ـ فمنذ أكـثر من ربع قـرن ترجمت هذا الكلام، ولكنه تـطوّر فى خلال هذه الفترة.

وعندما نُـجرى دراسات ثقـافيـة مقارنة، لـكى نرى تأثير التـعددّية، ولإدراك الآخـر، فإن ذلك شىء مـهم جدا، لأنك لا تسـتطيع أن تدرك الآخـر من منظورك، وسيكون ذلك عبـثا، لأنك ستُسـقِط عليه خصائصك، ومن ثم فـإن هذا لا يعبر عن فهم صحيح.

لقد أثبتت الدراسات الثقافية المقارنة لنا أنه عندما يكون الشخص منا يعيش فى الثقافة المصنّعة - ثقافة الخطّ والزاوية، ومنظور الأشكال (الزاوية القائمة.. إلخ)... هذه الثقافة الصناعية، والتى يسمونها ثقافة النّجّارين Carpenter Culture، عندما تعرض عليه هذين الخطين (المتصلين للداخل والخارج)، يقول لك: ذو السهم الخارج أطول، لأن لها تفسيرات هندسية، إلا أن اللافت للانتباه أنه عندما أُجريت هذه التجربة على شعوب ليست الثقافة المصنعة هذا التصنيع هى السائدة فيها، مثل بعض القبائل ذات الثقافة الدائرية، حيث الأكواخ الدائرية، والطبق الدائرى، وما إلى ذلك.. عندما تُريه الخطّين، فإنه يقول لك: إنهما متماثلان فى الطول، حيث لا يظهَر الخداع عنده.

إذن الخداع الذى نشأ، ليس حتما سيكولوجيا، ولكنه صناعة الثقافة. لقد كنا نعتبر ذلك - فيما مضى - بديهية سيكولوجية، فأى شخص يفتح كُتب علم النفس العام، يجد هذا الأمر أمامه طوال الوقت، وعلى العكس الخداع الآخر - خداع الخط الأفقى والرأسى، فأصحاب الثقافة الدائرية يدركون الخط الرأسى أطول، بينما أنت - فى الثقافة التى نعيشها الآن - ثقافة المنظور والزاوية - تدرك أنهما متساويان.

وثمة مثال ثالث على أن المنظور الثقافى عندما دخل العلم وسّع آفاقه، نراه فى تجربة شبيهة بما حدث عندنا فى ثقافتنا، فبلد من البلاد غير العربية أرادت تطوير التعليم فيها، وأرادت تطوير طريقة القراءة، فأحضرت نموذجا فعالا لتطوير القراءة وناجحا، وعلى أعلى درجة من الكفاية، فى شيكاغو أو فى لندن أو فى باريس مثلا، وتمّ نقل النموذج إلى البيئة الجديدة، فاكتشفوا أن النموذج يفشل، وقد كانوا منذ عشرين عاما يقولون: إن هؤلاء متخلفون، مثلما حدث فى بعض اختبارات الذكاء، ولكن الحقيقة أن هذا الحكم غير صحيح، فأنت لا تستطيع أن تُصدر هذا الحُكم على ثقافة، فتقول: إن جميع هؤلاء الناس متخلفون، وإنما الذى حدث أن هناك شيئا خطأ فى تنفيذ البرنامج، فبدأ العلماء يدرسون الموضوع، وذلك لأن لديهم الحِسّ الثقافى، فاكتشفوا أن الأولاد فى هذه الثقافة يعيشون حياة مختلفة تماما عن حياة الطفل فى الغرب، فحياتهم عبارة عن تجمُّعات، فهم يجلسون لسَماع قصص، والقراءة واللغة يتم تعليمهما جَماعيا، والأطفال يحكون لبعضهم البعض (حواديت)، والكبار يتعاملون طوال الوقت (بالحواديت)، وقد ذكّرنى ذلك بتجربتى قديما فى الكتّاب،

فـقلتُ: ليت هذه التجـربة تعود، مع أنـهم يقولون عن الكتـاتيب الآن إنها رجـعيـة متخلّفة. إننا ـ فى الكتّاب ـ كنا نحفظ القرآن، ونردد آياته جـميعا كفريق معا، ونغنّيه شبه غِناء جماعى، وتعلمنا من ذلك كيف ننطق القرآن؟

وكان مَن يعرف . . يعلّم مَن لا يعرف.

وحتى فى الموسيقى، نتعلم أحيانا مـن خلال العمل الجماعى والغناء الجماعى، حيث تأتى اللغـة فى الطريق، فلما اكتـشف الأنثروبولوجيـون ـ أو العلماء المهتـمون بالثقافة- هذا الجانب، قالوا: لنغير طريقة تعليم القراءة، ولنبدأ فى عَمَل نموذج لتعليم القراءة، مـؤسَّس على الثقافـة ، فنجح البرنامج. . نجح من خـلال طريقة يسمّـونها (احكِ قصة)، فكان المدرس يعلّم الأطفال طوال الوقت، من خلال أنه يحكى قصصا للأطفالَ، لأنـه أخذ النموذج الثـقافى، ونقله داخـل الفصل، وداخل المدرسـة، فهل نحن صنعنا مثل هذا فى تحليلنا الثقافى؟

لا أعتقد أننا عملناه.

٣-١-٥- المنظور الثقافى المقارن يؤكد على أن هناك أمورا مشتركة بين الشعوب أيضا:

الشىء الأخير فى هذا الجـزء، أن المنظور الثقافى المقارن لم يُعطنا التـأكيد على الاختلافـات فقط، ولكنه أكّد لنا ـ كذلك ـ مـسألة التشابه، فـإذا كنا نقول: إن هناك تنوعا ثقافيا بالقطع، فهناك أيضا درجات من التشابُه الثقافى بين الشعوب، ولذلك فإن ما ورد فى تقرير اليونسكو بشأن التنوع الثقافى الخلاق، مسألة مهمة.

إننا ـ فى الوقت الذى نؤكد فيه على الخصوصية الثقافية، وعلى الهوية، وعلى التنوُّع ـ علينا أن ندرك أيضا أن هذا التنوع من الممكن أن يحـقق منظورا عالميا كذلك، إلا أن به خصـوبة التنوع، مثلما نقول: (الوحـدة من خلال التنوُّع)، فهـذا كلام كان يقال فيما مضى. . ففى فقه القومـية العربية، وفى فقه وحدة الأمة العربية، هناك من يتحـدث عن الوحدة من خلال التنوع، حيـث كنا نقول ـ فى فترة من الفـترات ـ إنه أبق، وإنه ضد المنظومـة. . ولو أن الأمر أُخِذ بـهذا المنظور فيـما مضى، فـربما كانت الأمور قد تغيرت كثيرا، واختلفت أشياء كثيرَة عما نعهده.

وقد وجدنا التشابه أيضا عندما درسنا المنظور الثـقافى واستخدمناه، فوجدنا أن قضايا كثيـرة جدا فى السلوك الإنسانى موجودة بين كثير من البشـر، منها مثال واحد أذكُره، وهـو أنه ثَبَت أن الأفراد عندمـا يتشـابهون فى أشـياء كـثيرة، سـيكولوجـية

واجتماعية وثقافية، فإنهم يتجاذبون مع بعضهم البعض.. وفى جميع الشعوب والثقافات، نجد المثل الذى يقول: (الطيور على أشكالها تقع).. يكاد أن يكون موجودا بنصّه فى مختلف الشعوب، وهذا التشابُه وما يؤدى إليه من انجذاب الناس لبعضهم البعض، يمكن أن يفسَّر بأسباب كثيرة جدا، وأمثلة هامة جدا.

وعندما نتحدث عن (التعددية الثقافية من منظور سيكولوجى)، أحب أن أشير إليها، لأنها يمكن أن تغير كثيرا مما هو شائع عن سلوك الإنسان، وعن أنماط السلوك المتنوعة داخل المجتمع الواحد، أو داخل العالم الذى نعيش فيه. إن المهتمين بعلم النفس الثقافى المقارن Cross-cultural Psychology، يركزون على الجانبين اللذين أشرتُ إليهما، وهما جانب وجود العناصر المشتركة بين الثقافات، وجانب وجود عناصر تخصّ ثقافة بذاتها، واقتبسوا من علم اللغة مصطلحين مهمين جدا، جاءا من علم اللغة وعلم الأصوات اللغوية..وعِلم اللغة - بالذات- يعطينا إدراكا صحيحا لطبيعة الظواهر، فما هى حكاية هذين المفهومين؟

يقول لنا علم اللغة ما يلى: (وعلم اللغة هنا ليس علم لغة بذاتها، وإنما علم اللغة على إطلاقه).. إننا عندما نتعامل مع علم اللغة كسلوك إنسانى للبشر جميعا، ويدرس العلماء المهتمون بعلم اللغة لغات كثيرة جدا ويحلّلونها، يقولون: إن علم الأصوات، وهو علم أصل اللغة، ويشمل جميع الأصوات التى يمكن أن تصدُر عن الإنسان، بغض النظر عن اللغة التى يتحدث بها، فأى طفل يولد يستطيع أن يصدُر هذا الصوت، ويعمل عِلم اللغة قائمة بالأصوات، حتى ولو كان هذا الصوت فى لغة واحدة، تتحدث بها جماعة واحدة من البشر، بشرط أن تكون لغة عالمية.. هذا هو الجانب الذى يسمُّونه (الجانب العام). ولكن الذى يحدث من تنشئة الطفل بعد أن يولد فى ثقافة لغوية معينة، أن اللغة تختار من هذه الأصوات ما يناسبها، فبينما نجد اللغة العربية ليس بها حرف P مثلا، بينما يوجد بها حرف (خ)، نجد اللغة الإنجليزية تخلو من حرف (خ)، ولا تجد فيها (غ) ... فاللغة تختار من هذه الأصوات ما يناسب النسق اللغوى.. أما الجانب الآخر، فهو الذى يسمُّونه (الجانب الخاص)، أو الخصوصى. وعلى ذلك يكون عندنا الجانب العام المشترك، فهو الذى يمكن لأى إنسان أن يعمله، ولكن الجانب الذى يعمل على تشكيل الأداء اللغوى، هو الجانب الخاص.

وفى ضوء هذا الكلام، نستطيع أن نقول: إنه لو طبقنا هذا التصنيف على الثقافة ودورها، فسنجد أن هناك أشياء كثيرة جدا، تكاد تشبه هذا، فى دراستنا للثقافة وعلاقتها بالسلوك الإنسانى، حيث يأتى العلماء لتطبيق هذا المنظور.. وقد ظهر هذا اللفظ فى علم الثقافة، كما ظهر فى علم النفس الثقافى المقارن.

والذى يهمنا - ونحن نقوم بهذا التحليل الثقافى- هو أن نرى أوجُه التشابُه بين ثقافة وثقافة أخرى، وأوجُه الخصوصية التى تخصّ هذه الثقافة، وتميزها عن غيرها من الثقافات، وقد بدأوا بتطبيق ذلك كفنية فى البحث، فيما يسمى (التعددية الثقافية)، التى نتحدث عنها.

٣-١-٦- من الخطأ نقل مفهوم سيكولوجى من بيئته الأصلية إلى بيئة مختلفة:

إننا عندما ننقل المفهوم السيكولوجى من بيئته الأصلية، إلى بيئة مختلفة، فإن ذلك خطأ، كما حدث عند تناول الشخصية التسلُّطية Authoritarian Personality، فهذا المفهوم ظهر فى الأصل فى الولايات المتحدة الأمريكية، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، أو فى أثنائها، مع ظهور النازية والفكر الفاشىّ، وبدأت تُبنى عليه نظرية، وتُبنى عليه أدوات، ونحن - بكل حُسن نية أو بسوئها - الله أعلم - أخذنا المفهوم ونقلناه، كما نقلنا أدواته ونقلنا المفاهيم، ثم نقلنا الأساس الذى جاءت منه هذه المفاهيم.. والأداة التى صُنعت، جاء علماء النفس الثقافيين، أصحاب الاتجاه الثقافى، وقالوا: لا، إننا لا بد - عندما نتكلم عن الشخصية التسلطية - أن نرى المؤشرات Indicators التى تدل عليها فى ثقافة معينة، فهى قد تختلف، فإذا حلّلت حُكم الإعدام - مثلا - فى إطار ثقافة معينة، فإنك تراه مرفوضا، بينما إذا حلَّلتهَ فى إطار ثقافة أخرى، فإنك تجد أن حكم الإعدام هذا مقبول تماما، ولعلنا نذكر هنا أن الذى أنقذ **أوجلان** من حكم الإعدام فى تركيا، هو بلاد أوربا التى ترفُض ثقافتها الإعدام.

وشأن حكم الإعدام هنا هو شأن الموقف من السلطة، سواء السلطة الوالدية أو السلطة المدرسية، أو السلطة الاجتماعية، فبعض الثقافات ترى أن الطاعة تُعتبر كلمة سيئة السمعة جدا، عندما تأتى فى سياق غربى، ولكنها عندما تأتى فى سياق آخر، فإنها ربما تكون كلمة محترمة جدا، ولها معنى.

ولنأخذ مثالا آخر على ما حدث، من ماسلو Maslow، وهرم الدوافع عنده، حيث يقول ماسلو فى الدوافع الإنسانية: إن عندنا مستويات تنظيم هرَمى - يترجمه المغاربة ترجمة أفضل كثيرا من ترجمتنا له، فيقولون: تنظيم تَراتُبى - يبدأ من الدوافع البيولوجية ودوافع البقاء، حيث نأكل ونشرب ونمارس الجنس ليبقى النوع، ثم ننتقل إلى الأمن.. وهكذا حتى نصل إلى تحقيق الذات.

إنه هرم موجود، منظم تماما، نقلناه هكذا إلى الثقافات الأخرى، وقلنا: إنه يقبل التعميم تماما.

إلا أن دراسة اللغويات الثقافية المقارنة قدّمت لنا منظورا آخر تماما، فقدّمت لنا مستويات ودوافع أخرى، وهناك دراسة لم يجفّ حبرُها بعد، تمت فى القسم عندنا، لطالب فلسطينى، أخذ قضية غريبة إلى حد ما، هى قضية الحاجات والقيم عند الطلاب الفلسطينيين، الذين عندهم استعداد للاستشهاد، ولقد أتعبنا هذا البحث كثيرا - أتعبنا جدا، لأنه أُجرى فى غزّة.. على الفلسطينيين فى غزة، وليس على الفلسطينيين داخل خط النار، وأنا أعتقد أن هذا البحث يستحق أن نشير إليه.

لقد أخذنا نموذج ماسلو من منظور ناقد، لنرى: هل يصلح هذا النموذج للتطبيق على شباب عنده استعداد لأن يفقد حياته، وأن يضحّى بحياته فى سبيل أهداف أخرى تماما، بعيدة عن الجنس والجوع والعطش وغير ذلك، فوجدنا أن الهرم انقلب بالفعل، وأن الهرم شكله اختلف، وقُدم لنا بشكل آخر.

وهذا الكلام الذى أقوله الآن ثبتت صحته، عندما اختبر منظور ماسلو فى ثقافات أخرى، تؤكد على العلاقات الإنسانية، مثل اليابان.. ففى اليابان بالذات، أُجريت دراسات هناك غيّرت كثيرا من المفاهيم الأساسية التى كُتبت فى الأرض الأصلية للعلوم الإنسانية، وهى أرض الغرب.

وثمة مثال أخير نراه فى مسألة التعلّم والمعرفة، أو نظرية المعرفة كما ظهرت فى الغرب، فقد قدّمت لنا نماذج للتفكير واستراتيجيات للأداء، وقدّمتَ لنا بحوث المعنى، وبحوث الميدان، فقال عدد كبير من العلماء فى العديد من الأقطار: هذه تمثّل قوانين عامة، وظواهر مُطلقة، تقبَل النقل أو الانتقال، ولذلك ففى المرحلة الأولى التى أتكلم عنها، والتى كانت فيها أحكام قيمية على الشعوب، كنتَ عندما تأتى لتطبق اختبارا أو عملا، تكون محكوما بالتوقيتات، بحيث يتم ذلك فى زمن محدود، فيُقال لك: فى نصف دقيقة تُجرى هذا الأمر (أو المهمّة)، ويقوم شخص فى ثقافة أخرى تماما ليقول لك: لماذا تستعجلون هكذا؟ ما معنى نصف الدقيقة هذا؟

إنه - بالطبع - لا يهرّج، ثم إنه ليس غير مهتم، بل إنه يرى أن من الأفضل أن يأخذ وقته، ليؤدى العمل بطريقة أفضل، أما الآخر فالتوقيتات تحكُمه. إنها حضارة الموجة الثالثة والتوقيتات، حيث الزمن يمثل ثقافة أخرى، فعندما تُعطيه نصف دقيقة ليجيب عن السؤال أو لا يجيب، فتقول: إنه متخلف، وإنه ضعيف، وإنه بطىء، وإنه مهمل، وإنه . . وإنه . . عدة دوائر مؤلمة جدا جدا.

٣-١-٧- لكل ثقافة أسلوبها المعرفى، وأسلوبها فى الأداء، وأسلوبها فى التعلُّم:

وعندما دخل المنظور الثقافى، اكتشفنا أن لكل ثقافة أسلوبها المعرفى، وأسلوبها فى الأداء، وأسلوبها فى التعامل مع المعلومات، وأسلوبها فى التعلم، مما يجعَل الحُكم بأن ابن الثقافة بطىء التعلم حُكما غير علمى أحيانا.

وحتى مفهوم صعوبات التعليم، ومفهوم الأمراض النفسية، ومفهوم الاضطرابات، دخل فيها جميعا. . المنظور الثقافى، والـ DSM، الذى يسمّونه إنجيل علماء الطب النفسى فى العالم، والذى تقدمه الجمعية الأمريكية لعلم النفس American Psychology Association. . هذه المفاهيم أصبح لكل منها منظور ثقافى، فعندما تتكلم عن الاكتئاب، فى هذا الـ DSM، تّوضِّح علامات الاكتئاب، فهل تقبَل أن تأخذها هكذا من الثقافة الأمريكية مثلا؟ لقد ثبت أن هذا غير صحيح، وأن هذه العلاقات تختلف، وأن الأمراض قد تختلف، وأن أمراضا جديدة قد توجَد فى ثقافة أخرى، لم تكن معلومة للمصدر الأصلى لها، وهو الغرب.

وهذه الأمثلة التى ضربتُها فى هذا الحديث قد تبدو متناثرة، وأرجو ألا تكون كذلك بالنسبة لمن يستقبلها. . أرجو أن يكون هناك خطّ منظم يجمعُها، وهى تؤكد لنا أن التنوع الثقافى هو الأصل، وأن محاولة اعتبار إحدى الثقافات هى المعيار الذى تُنسب إليه الثقافات الأخرى، تصور يجب أن تتجاوزه الإنسانية المعاصرة، كما تتجاوز ناتجا سلبيا مهما جدا، نتج عن مسألة اعتبار إحدى الثقافات هى المرجع دون سواها، وهذا ما يسمونه التمركُز الثقافى، حيث تجد أن الشخص عندما يعتبر أن ثقافته هى كل شىء، وأنها الأصل، وأنه ليس هناك غيرها، وأن غيره (كلهم رَكَش) كما يقولون فى العامية المصرية، فإن المسألة تتحول إلى تعصّب، وإلى تحيّز، وإلى تطرف، وإلى شكل من أشكال سوء الفهم وسوء التفاهم، إن لم يصل بنا إلى ما هو أشدّ.

وبالمناسبة، فإن جميع الثقافات بلا استثناء، يعتبر أصحابها ثقافتهم هى سيدة الكون، وأن مَن سواهم ليسوا إلا متخلفين، أو غير متحضّرين.

٣-٢- تعقيب المؤتمر: لنا ثقافتنا العميقة الجذور، الأكثر عمقا من ثقافة سيدة النظام العالمى الجديد:

وقد بدأ **الدكتور حامد زهران** التعقيب على محاضرة **الدكتور فؤاد**، باسم المؤتمر بقوله: إنه يعتقد أنه سيكون معبرا عن كل من استمعوا إلى المحاضرة الممتعة التى ألقاها **الدكتور فؤاد**، بقوله: إن **الدكتور فؤاد** يريد أن نهتمّ جدا بمسألة العولمة، وذلك لأن العولمة وتهديدها، وخطورتها القادمة علينا من ثقافة الثقافات، كما يحسب أهلها، وهى الثقافة الأمريكية، التى يقولون إنهم أعطوها لنا، ونحن نتكلم عنها على أساس أنها قادمة قادمة The west and the rest، فهذه هى حقيقة تفكيرهم: صَبغ الثقافات الأخرى، بالقضاء على الهويّات، ووأد فكرة التعددية، وهذه كارثة.

والمشكلة أن هناك نوعا من الجدل القائم الآن، والدعاية الكبيرة جدا، لعكس كلامه، فالناس يعتقدون أن العولمة قادمة قادمة، وأن هناك وحدة ثقافية، وأن الحدود ستنكسر، وأن الدنيا ستصبح كلها **دنيا العم سام!**

كذلك لفت **الدكتور فؤاد** نظرنا **إلى أشياء خطيرة جدا**، وهى أننا عندما نتكلم فى علم الأصوات، نجد لغات ليس فيها حرف الـ V (ف)، ومع ذلك فقد أدخلنا نحن فى اللغة العربية حرف الـ V(ف)، وحرف الـ P(ب)، ووضعنا ثلاث نقاط فوق حرف الفاء، وثلاث نقاط تحت حرف الباء، لتكون ثقيلة.. وثلاث نقاط تحت الجيم، مع أننا ننطقها معطّشة أصلا، وأنا أسمّى ذلك (الخيبة الثقيلة). وأذكر أننى جلست -يقول **الدكتور حامد زهران**- مع كمبيوتر به ترجمة، تسمى (الوافى)، وأخذتُ فى مداعبته، بحيث أخرجت كلاما مكتوبا باللغة العربية لا يُقرأ، حيث يقرؤه أولاد العرب فلا يفهمونه، وكلاما مكتوبا باللاتينية، لا يفهمه أهل الغرب.. إنه عبَث باللغات، وعبَث بالحياة كلها.

وأذكر -يقول **الدكتور حامد زهران**- أن **البروفيسور فرنون Vernon**، وهو أستاذه وأستاذ الدكتور فؤاد، كان - فى حوالى عام ١٩٦٧ - يقوم بدراسات عبر ثقافية Cross- cultural studies فى علم النفس، من القطب الشمالى وحتى خط الاستواء، وقد مرّ - فى طريقه - على مصر، وزار كلية التربية، ومن ضمن الأشياء التى ذكرها لى ولا أنساها أبدا، أنه عندما ذهب إلى بعض القبائل التى تعيش فى الأكواخ، وجد أن الأطفال لا يستطيعون رسم خط مستقيم، لأن الطفل بمجرد أن يولد، تضعه الأم على ظهرها فى شيء تحمله فيه، وعليه قطعة خيزران مقوّسة، فيكون أول اطلاعه على شيء مقوس وليس معتدلا.. والأكواخ التى يعيشون فيها، وحتى الشجر، والأفق من بعيد.. تأخذ هذا الشكل المقوّس، فأصبح الأولاد غير قادرين على عمل هذا الخط.. فالثقافة التى ينشأ فيها الإنسان، يستحيل عليه أن يبتعد عنها، وخطأ منا أن نتجاهلها.

وموضوع الانتماء، والهوية والثقافة العربية، نحن نَمتَهنها بأيدينا الآن، فهناك تغريب ثقافى من أخطر ما يكون، وأنا تنتقل يدى - باستمرار - فى أسماء أشياء، وأسماء شركات، وأسماء منتَجات، لا أعرف لها معنى، فالثقافة العربية بدأ يدخل عليها أشياء غريبة جدا، حتى فى الغناء، فأذنى لا تستسيغ الأغانى العربية الحديثة، ونسأل الله أن ينقذنا من هذا العبث بشخصيتنا.

ونماذج التعليم المنقولة عندما يذكرها الدكتور فؤاد.. يذكرها ليس كأستاذ علم نفس فقط، ولكن كأستاذ تربية كذلك.. هذه النماذج لا بد أن تَفشَل، لأنى عندما أحضر بذرة شجرة مطاط مثلا، وأزرعها عندنا، فلن تنبت أبدا، وكذلك إذا أخذتها ووضعتها فى أى مكان آخر غير بيئتها، لأن الأرض يجب أن تكون مناسبة لها.

كذلك لا ننسى أن هناك اختلافا فى الأديان، وأن هناك اختلافا فى الانتماءات، ولكن هناك جماعة من اليهود، أنا أسمّيها عصابة، يريد أفرادها -اليهود- أن يكتّلوا، وأن يكوّنوا رأيا عاما عالميا، ليسير وراءهم.

ومن الموضوعات الخطيرة التى أشار إليها الدكتور فؤاد، والتى أخذت شكلا ثابتا فى تفكير بعض الناس: المفاهيم التى قد يكون قالها فردٌ ما مثلى، يُصيب ويُخطئ، شأنه شأن أىّ شخص آخر، مثل مفهوم عقدة أوديب Oedipus Complex، الذى قدّمه سجمند فرويد، فما قاله ليس قرآنا، ولكننا نجد أن هذه المفاهيم تحتاج -بالفعل- إلى أن يُنظر إليها مثل هذه النظرة، لأنها لا تدخل عندى فى ثقافتى.. ثقافة المجتمع المصرى.

إننا نرى العالم يسير خلف إنجيل خاص بتصنيف الأمراض النفسية، وعندما نفحص الأمراض المعروضة فيه، فليس من الضرورى أن أجد كل ما هو موجود فيه، موجودا عند مريضى أنا فى مصر، أو المريض الموجود فى الصين أو فى الهند، أو فى غيرها.

كذلك مسألة الهيمنة الأمريكية Americanization، بدأت أوربا تثور عليها، وكذلك الصين واليابان، والمفروض أن الدول المستهلكة والمستوردة، والمعولمة، أو المفعول فيها، والتى نضع أنفسنا من بينها من باب (الغُلب)، أو من باب الضعف.. المفروض أن نفكر جيدا ونتساءل: هل مصر - بالذات - يمكن أن توضَع بأيدينا نحن، وليس بأيديهم هم؟

إن لنا ثقافتنا العميقة الجذور جدا، وبعمل مقارنة صغيرة جدا، بين كبيرة النظام العالمى الجديد وتاريخها كله، وبين ما يعولَم، وليكن الصين، ولا نقول مصر، أو الهند، أو العراق العريق.. سنرى الفرق.

٣-٣- وتعقيبات الحضور:

٣-٣-١- من الخطأ تطبيق اختبار نفسى معين على بلدين مختلفين ثقافيا[١]:

وقد بدأ **الدكتور بديوى علام** التعقيبات، مركزا على ما أشار إليه **الدكتور فؤاد** من أن كثيرا من الباحثين يقعون فى خطأ كبيـر، حين يطبقون اختبارات، أو مجموعة من الاختبارات، على بلدين مختلفين، ويتوقـفون عند المقارنة، باختبار إحصائى، أو بغيره من طرق المقـارنة الإحصائية. . فقد تعلمنـا اليوم أنه لا ينبغى أن نقف عند هذه المرحلة، وأن تكون هذه المرحلة بداية لوضع أيدينا على نتـائج لا بد أن تختلف، وأنا أعتـقد أن مهمـة هؤلاء الباحثين ـ بـعد ذلك ـ أن يشرحوا لنا: لماذا هذا الاخـتلاف؟ وهذا يتطلب نوعا من التحليل الثقافى.

كذلك أشار إلى أن **الدكتـور فؤاد** أكد على أن هذه الدراسات الثقـافية المقارنة أضافت كثيـرا من المتغيرات البحثيـة، التى تفيد فى دراستنا للظواهر النفسيـة، فعقدة أوديب ـ مثلا ـ كان تفسيرها حتميا، ثم أصبح تفسيرا يعود ـ فى الأصل ـ إلى الثقافة التى يعـيشـهـا الفرد، وقـد قـدم أمثلة أخـرى من مـجالات تعليـم القراءة والتـعلم والتفكير. . إلخ.

كذلك وضح **الدكتور فؤاد** فكرة فرض مفاهيم علينا، أو خضوعنا لمفاهيم غريبة عنا، مثل مفهوم وفكرة هرم الدوافع عند ماسلو، وكيف ينقلب هذا الهرم فى ثقافات أخرى؟

لقد كانت مجموعة من علماء النفس تعمل فى العولمة والكوكبية منذ مدة، دون أن ندرى، وقد قدّموا لنا مـا يسمى بعلم النفس الموحّد Unified side of Psychol-ogy.

٣-٣-٢- لماذا تتخذ المنصة موقفا معاديا للغرب؟[٢]:

ثم انتقل التعقيب إلى **الدكتور بدر الدين على**، الذى قال: إن لى وجهة نظر فى بعض المسائل، منها ما قاله **الدكتور فؤاد** عن النظريات النفسية الغربية، مثل عقدة أوديب، فأنا -يتممّ **الدكتـور بدر الدين على**- أرى أنها أفكار غربيـة، وأنها لم تقُبل فى الثقـافات العربية والإسـلامية منذ عـشرات السنين، فإذا كنا ندرُسـها فى الكتب،

---

(١) من تعقيب **الدكتور بديوى علام**، أستاذ علم النفس التربوى المساعد بكلية التـربية، جامعة عين شمس بالقاهرة، ومقرر الجلسة.

(٢) من تعقيب الدكتـور بدر الدين على، أسـتـاذ علم الاجتـمـاع بجـامعة لويـزفيل فى الولايات المتـحدة الأمريكية.

ونعرف عنها، فليس معنى ذلك أنها أثرت فينا، فالحمد لله أن التقاليد والقيم لدينا موجودة، على أقدام ثابتة، لم تهتز.

وهناك أشياء ثبت للغرب وللأمريكيين بالذات، أنها لا تصلح فى كل ثقافة فرعية، فاختبارات الذكاء مثلا، اتضح - منذ الأربعينات والخمسينات - أنها تختلف من المجتمع الحضَرى إلى المجتمع الريفى مثلا، فبعض اختبارات الذكاء كانت تطبَّق فى المجتمع الحضرى، وعند تطبيقها فى المجتمع الريفى، كان أبناء الريف يحصلون على درجات أقل، ولكن عندما عدّلوا اختبارات الذكاء، ووضعوا فيها أسئلة متعلقة بالريف والحقول والحبوب و.. إلخ، وجدوا أن أطفال الحضَر يحصلون على درجات أقل.

ونفس الشيء بالنسبة للسود والبيض.. كان أمرا مفروغا منه تقريبا أن البيض أعلى ذكاء من السود، ولكن عندما وجدوا أن السود الذين يعيشون فى الشمال يحصلون على درجات أعلى فى اختبارات الذكاء من البيض الذين يعيشون فى الجنوب، ظهر لهم أن العامل الجغرافى له دخل، أو بمعنى آخر، ثبت تماما أن الثقافات الفرعية يكون لها تأثير فى النتائج.

ولا شك أن هناك خطورة من عملية العولمة، وخطورة من عملية التغريب، وهو ما نجده عندما نمشى فى شوارع القاهرة، وقد كان آخر شيء سمعتُه -يتابع **الدكتور بدر الدين**- أن شخصا متدينا جدا، عنده شركة كبيرة، ويسميها إسلامكو للصناعات، فهو متمسك بالإسلام، ولكنه متأثر أيضا بالحضارة الغربية، وهذا تقليد أعمى بطبيعة الحال، ونودّ أن نبعد عنه، وأن يكون عندنا إصرار على تمجيد اللغة العربية، واستخدامها.

أما بالنسبة للمفاهيم والنظريات، فأنا أذكر من أيام الستينات، أن **الدكتور لويس مليكة** - بالاشتراك مع بعض الزملاء - كما أعتقد - عملوا بعض التقنين Stan-dardization للاختبارات، فنحن لا نأخذها على عواهنها، وإنما نُجرى عملية تقنين لها، وهى عملية معروفة.

وهناك نقطة أحب أن أثيرها هنا بمنتهى الصراحة، وهى أن هناك نظريات كثيرة جدا نبعت من الغرب، وأعتقد أن لها فائدة كبيرة جدا فى مفاهيمنا وفى مجتمعات أخرى. وحتى الشخصية التسلطية Authoritarian، صحيح أن لدينا نظاما أبويا، ونظاما أسريا مختلفا، ولكن فى حدود نظامنا - هناك شخصية تسلطية، وهناك

شخصية خاضعة. . فلنأخذ اختلاف الثقافات فى الاعتبار، ولكن النظرية فى حد ذاتها من الممكن تطبيقها فى مجتمعات مختلفة، ومن أبسطها الحاجات النفسية Psycho-logical needs، مثل الانتماء والاكتفاء الذاتى والأمن... إلخ، وكلها لها جذور قوية جدا عندنا فى القرآن، ولكنهم جدَّدوا فيها. . إلخ.

إننى أرى المنصة تتخذ موقفا معينا معاديا للغرب، ولا أرى ضرورة لهذا الموقف. إننا نناقش وننتقى ونختار، ونرى ما يناسبنا وما لا يناسبنا، دون الشعور بأننا لا بد علينا أن نهاجم الشخص المعتدى الذى يريد السيطرة علينا. . إلخ، وهذه مجرد وجهة نظر.

وبمنتهى الأمانة، أقول: إن التعددية الثقافية نبعت مفاهيمها الحديثة من الغرب، ومن أمريكا تحديدا، وأذكر أنه منذ عشرين أو ثلاثين سنة، كانت مسألة التعددية الثقافية غير واردة إطلاقا فى مناقشاتنا على مستوى الدول العربية والدول الإسلامية. .إلخ، بينما هى موجودة ومنتشرة فى أمريكا منذ حوالى ١٥ أو ٢٠ سنة، وهم بالطبع لهم أهداف، فهم يريدون أن يريحوا المجتمع فيما يتعلق بالبيض والسود، واليهود والمسلمين والمسيحيين. . إلخ، فعندهم مشاكل كبيرة جدا اليوم، وهم مهتمون جدا اليوم بالتعدديّة الثقافية، لدرجة أن كل جامعة فى أمريكا اليوم لا بد أن نجد فيها برامج للتعدّدية الثقافية. . فهى ـ إلى حد ما ـ نبعَت منهم، نتيجة لظروف حياتهم هم.

ونأتى إلى الجزئية الخاصة بالفوارق الثقافية: إنهم يحاولون ـ فى أمريكا ـ إلى حد كبير ـ أن يقلّلوا من حدة هذه الأزمات، ويحاولون ـ محاولات كبيرة ـ إذابة تلك الفوارق الثقافية.

أما بالنسبة لمختلف المشكلات الاجتماعية، ومن ضمنها المشكلات الأسرية، فرغم النظريات الغربية الكثيرة على مدى عشرات السنين، ما زالت لنا قيّمنا، ولنا طريقتنا، ولنا أسلوبنا. . فى الحياة الأسرية، بل إننى ـ على العكس من ذلك ـ أقارن بين الجامعة المصرية عندما كنا طلابا فيها من عشرات السنين، وبينها الآن، فأجد أن التيارات المحافظة، والتيارات الإسلامية، أقوى جدا مما كانت فى أيامنا السابقة، وهذه واضحة تماما بالنسبة للكثير من البنات، ونحن ـ بطبيعة الحال ـ نسمع عن الكثير من الأشياء المختلفة، ولكن هذه ليس لها دخل بالغرب، فأنت تسمع عن بعض الحالات التى تكاد أن تكون فردية، مثل الزواج العرفى وغيره، فما علاقة الغرب بهذا؟ وما دخله فيه؟

وأعود فأقول: إنه على الرغم من أننا نصرّ على التمسُّك بتقاليدنا، لكى لا يكون هناك أى تأثير للغرب علينا، وأن نقف موقفا صارما تجاه عملية التغريب، إلا أننى - فى الوقت نفسه - أحب أن أعترف بأن هناك بعض الأشياء التى درسناها فى الغرب، واستفدنا منها، ومع حُسن التطبيق، ومع ملاءمة تلك النظريات لمجتمعنا، ولتقاليدنا، يمكن أن نستفيد منها.

٣-٣-٣- أوربا أبادت الهنود الحمر فى أمريكا.. ولكن وضع مصر مختلف (١):

أما الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار، فإنه رأى أن يفرق أولا بين الماهيَّة والهُوية، فالماهية تعنى ما هو الإنسان؟ والهوية تعنى حقيقة الإنسان، بالإضافة إلى المشخّصات. إذن لنا هوية مستقلة.. أى أننا من بنى الإنسان، لنا شخصيتنا المستقلة، وأضيفت لها المشخّصات.

أما النقطة الثانية عنده، فهى أن أوربا عندما أغارت على أمريكا، محت الهنود الحمر، حتى أصبحوا أثرا بعدَ عين، وهم يجرّبون معنا الآن نفس القصة، كاللص الذى سرق بيتا معينا، ويريد أن يسرق البيوت الأخرى، فعندما يسرق بيتا آخر، ويتصدى له صاحب البيت ويضربه، أو يقول له: (ليس كل طير يؤكل لحمه) يغضب.. نحن نريد أن نقول: إننا لسنا نحن الهنود الحمر، نحن نُمحَى فكريا وثقافيا.

وقد عرفت مصر - على مدى التاريخ - أن مَن نزل فيها لا يغلبها، وإنما هى التى تغلبه، وتحوّله مصريا، فقد جاء الإنجليز فصاروا مصريين، وجاء الأتراك فصاروا مصريين، وجاء المماليك فصاروا مصريين.. فنحن نريد الآن - ونحن نتكلم فى كلية التربية - أن تبقى لنا شخصيتنا المستقلة، فيمكن أن نجعل أمريكا مصرية، أما أن تجعلنا أمريكا أمريكيين فلا، فهذا لن يكون بأى حال من الأحوال، وأرجو أن نتمسك بشخصيتنا، فيكون لنا وجودنا، ولنا كياننا، وإذا أرادوا هم أن يتنازلوا عن شخصيتهم فليتنازلوا، ونحن لن نتنازل عن شخصيتنا بأى حال من الأحوال، لأننا خير أمة أُخرجت للناس، على حد قول الله سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ.. ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران]، فلا يمكن أن أقلب الزواج

(١) من تعقيب الأستاذ الدكتور بركات دويدار، عميد كلية أصول الدين، جامعة الأزهر بمصر سابقا.

إلى عشق، ولا يمكن أن أقلب الأسرة إلى كذا (ولا داعى إلى مثل هذه الألفاظ)، فإن أرادوا أن يكونوا مثلنا فهم أحرار، أما أن نكون نحن مِثلهم، فلن يكون بأى حال من الأحوال.

٣-٣-٤- طلاب الأزهر القدامى حلوا لنا مشكلة التعامل مع النموذج الأجنبى [١]:

ثم عقب الدكتور محمد وجيه الصاوى على المحاضرة من جوانب كثيرة، كان أهمّها قوله: إنه ليس عيبا أن نأخذ منهجا من الخارج، ولكن العيب أن نأخذه كنموذج جامد، ونقول: هذا هو المثلث الذى لا بد أن نسير عليه. إننا يجب أن نأخذ مدخل المنهج، أما نتائجه فيجب أن تكون مختلفة، بحسب ثقافتنا، وطريقتنا فى التفكير.

وربما كان مفيدا أن أذكر شيئا ظريفا عندنا فى الأزهر، حيث كان النطق الإنجليزى صعبا على الطلاب، فكانوا يلجأون إلى حيلة ظريفة، تتفق مع طريقة الحفظ السريع التى تعوّدوا عليها، فكانوا يتعلمونه بالنغم، حتى يتعاملوا معه تعاملهم مع ما تعودوه فى حفظ القرآن، وكانت أمثلة السجع تسهّل عملية الحفظ، فكانوا يقولون مثلا: السلك Wire، والنارُ Fire، والنهر يُدعى عندَهم River.

لقد طوّعوا التعامل مع اللغة الإنجليزية لتناسب الثقافة الخاصة بهم فى الحفظ الجَماعى، مما يسهّل عليهم أمر اللغة الإنجليزية، وبذلك حلّوا مشكلة.

٣-٣-٥- نحن الذين نستقدم الثقافة والحضارة الغربية [٢]:

ثم جاء دور الدكتور بيومى ضحاوى، الذى رأى أن مصر، وليست مصر وحدها، ولكن بجانبها الدول العربية والدول الإسلامية.. هى مهد التعددية الثقافية، فهناك الثقافة الأم فى كل منها، وهناك ثقافات فرعية، ولكن الثقافات الفرعية التى أتت إلينا لم تطغَ إطلاقا على الثقافة الأم، فنحن احتوينا الثقافات، وأخذنا منها الكثير، وتقدمنا ونهضنا من خلال هذه الثقافات، مع تفاعُلها مع ثقافتنا الرئيسية أو الأم. وأنا لا أقول: إنه لابد أن تكون هناك ثقافة واحدة تهيمن على بقية الثقافات، ولا أن تكون هناك ثقافة جامدة، ولكن أقول: إن هناك أسسا لكل ثقافة، ولا بد أن نحافظ عليها، ما دامت هذه الأسس تنهض بها إلى المستقبل، فالثقافات الموجودة

---

(١) من تعقيب الأستاذ الدكتور محمد وجيه الصاوى، أستاذ أصول التربية بكلية التربية، جامعة الأزهر فى مصر، وكلية التربية جامعة الكويت ـ بالكويت.

(٢) من تعقيب الأستاذ الدكتور بيومى ضحاوى، أستاذ التربية المقارنة بكلية التربية بالإسماعيلية، جامعة قناة السويس بمصر.

حاليا، والمحـيطة بنا، أو التى تفد إلينا. . نحن نأخذ منها بقدَر. والشـقافات أتت إلينا من الغرب، وتغـزونا من كل حدب وصوب الآن، ولهـا أدواتها، وهذه الأدوات فى أغلب الفتـرات كنا لا نستخـدمها، ولا نحتـاج إليها، والأداة الأولى لهـا هى اللغة، واللغة الآن أصـبح لها دور كبـير جدا فى تطوّر الشـعوب، وفى النهوض بهـا، سواء ثقافيا أو تعليميا، وهكذا. لذلك انكببنا على اللغة، وبدأنا نولى وجهنا شطر الثقافات الغربية.

والثقـافة الأمريكيـة خاصة، ثقـافة لا تفرِض نفسها علـى أحَد، فنحن الذين نذهب إليها. إننا نحن الذين نذهب إلى الثقافة الأمريكـية، وإلى الثقافة الفرنسية، أو الثقافة الإنجليزية، وهكذا. . وكان واجبا أن نجّـهز مرشّحا (أو فلترا)، ونصفّى الداخل علينا، وبهدوء جدا، فننتقى، ونحافظ على ثقافتنا.

وإذا نظرنا إلى الشارع المصـرى الآن، مثلا، فإننـا نلحظ ـ بوضوح ـ أننا نلبس أشياء كثيرة جدا ليست من ثقافتنا، ومكتوب عليـها أشياء كثيرة جدا، ربما كان بعضها شتمـا لنا، دون أن ندركها، كبـارا أو صغارا. وحتى شـيوخنا يلبسـون هذه الأشياء، لأنها جميلة، وتوفـر الدفء لهم، فهل صرنا نتبنَّى الثقافة الـغربية، أو نتبنَّى ـ لنكون أكثـر تحديدا ـ الثقافـة الأمريكية، لأن مُنتَـجها ـ مـقارنا بمُنتَجنا ـ مُنتج رخـيص جدا وجيد؟

إننا إذا طبقنا معـيار الجودة الشاملة على مُنتجَنا، فسوف نـرى أن مُنتجنا جيد، وأنهم ـ فى الغرب ـ يفضلـونه جدا جدا ، ولكن علينا أن نهتم به أكثـر وأكثر ، وأن ننشره، فلماذا تدفع الثقافة الأمريكية المليارات من الدولارات، لتنشر ثقافتها فقط؟

إنها خائفة على ثقافتها من الثقافات الأخرى.

وأختتم فأقول: إنـنا نحن الذين نستقدم الثقافة الغربيـة، وليس أهل الثقافة هم الذين يبعثون بها إلينا.

٦-٣-٣- يجب تشكيل جبهة علمية أكاديمية تدافع عن هويتنا[١]:

ثم جاء دور الدكتور سامى السهم، الذى عقب على كلام الدكتور بدر الدين على واختلف معه فى قوله إنها ليست معركـة، فنحن بالفعل نعيش معركة . . معركة

(١) من تعقيب الدكتور سـامى السهم، الباحث بالإدارة العامـة للبحوث التربوية بوزارة التـربية والتعليم- مصر.

الحفاظ على هويتنا الثقافية، ومعركـة الحفاظ على عقيدتنا الدينية، ونحن نخوض هذه المعركة بشكل أعتقد أنه غير مُحكَم، فهناك بالفعل جمعيات علمية كثيرة جدا، إلا أن هذا التعـدد -فى رأيه- تعدّد ضـعيف وخاو، لأنه يـطالب بجبهـة، لأننا فى معـركة حقيـقية، تحتاج إلى جـبهة علماء التـربية وعلم النفس، وهذه الجبهـة تكون بها فروع مختلفة، تتنوّع بتعدّد وتنوّع الموادّ الدراسية التى يتم تدريسها فى المدرسة المصرية، بداية من التعليم الابتدائى وحتى التعليم الثانوى، بحـيث يكون لهذه الجبهة دور فى دراسة وتحليل وفحص المقررات الدراسية التى يدرسها الطالب والتوصية بشأنها. . وأن يكون لهـذه الجبـهة قُـوّة، وقدرة عـلى أن تضغط على مُـتّـخذ القـرار، لا أن تضع أمامـه توصيات، قد يأخذ بها أو لا يأخذ. . جبـهة قادرة على أن تضغط على متخذ القرار، فلقد رأينا معـالى وزير التربية والتعليم المبـجّل -منذ فترة- يجلس فى هابى دولفين، ويستمع إلى أحـمد صـبحى منصـور، ويستمع إلى سعـد الدين إبراهيم، وكاد أن يفعلها، ويأخذ منهـما تقريرهما عن التعليم والتسامُح، وهو تقرير أعـتقد أنه معروف للجميع: ما هى هويته؟ وما هو توجّهه؟.

إننا يجب أن نكوّن جـبهـة علميـة أكاديميـة، تـدافع عن هويتنا، فى التربيـة والتعليم، والمقرّرات الدراسية.

٣-٣-٧- أين هويتنا المصرية؟[١]:

ثم عقب الدكتور مختار عبد الجواد، مركزا حديثه على الهوية المصرية، وكيف نتعمّق فيها، فنعرف الإنسان المصرى: ما هو ؟ .

إننا ليس لدينا زِىّ مصـرى، فقد كنا فى البداية نتمسّـح بالطربوش، وظهر أنه تركى، وحاليا أصبحنا نلبس كل شيء، والمُشكلة هى أننا أصـبحنا مفتوحة علينا النار من ناحية الأزياء، ومن ناحية احتفالاتنا الثقافية، وربما يحضرنى الآن مشهدان، أولهما هو مشهد الاحتفال بالألفية الثـالثة، وكان مثار سخط من العالم كله، أن يأتى فرنسى نصّاب إلى مصر، ويلتهم مبالغ كـبيرة، تصل إلى أكثر من ٤٥٠ ألف دولار، لتهريج شامل، بأزياء ساقطة، ورقص وعُرى. . أما المشهد الثانى، فهو مشهد مشرّف، يقابِل المشهد السـابق المُخزِى، وأقصد به مسلسل أم كلـثوم، الذى نجح، لأنه أعاد لنا - فى حاضرنـا المؤلم- الشـخصية المصرية، بقِمّـتها، وأصولها، والفن الجمـيل الذى تتمتع به.

(١) من تعقيب الدكتور مختار عبد الجواد، مدرس التربية المقارنة بكلية التربية، جامعة الأزهر- مصر.

٣-٣-٨- الثقافة الغربية تقوم - من قديم - على نفى الآخر وإبادته[١]:

ثم جاء دور الدكتور محمد الحملاوى، الذى بدأ بلفت النظر إلى بدايات العصور الوسطى، وما تمَّ فيها من الدراسات الاستشراقية، ونقل العلوم من العرب فى الأندلس وفى غيرها، إلى اللغة اللاتينية، ووجود مرشّح (فلتر) كان يتلقَّى هذه العلوم، ليس فقط ليقوم بترجمتها، ولكن لأنه كان يوجد من العلماء من يستطيع أن يتحدث، ويفهَم، ويدرُس باللغة العربية، وكان دور الجهات الاستشراقية ليس الترجمة فقط، ولكنه كان دور المرشِّح، فلماذا لا يكون عندنا مشروع ثقافى، يكون فيه مثل هذا المرشِّح؟

ثم انتقل الدكتور محمد الحملاوى إلى القول بأن الثقافة الغربية قائمة على ثقافة أثينا .. قائمة على وجود مدينة، أو قانون يحكُم مَن هم داخل هذه المدينة، وقانون يحكُم مَن هم خارجها. إن هذه النظرة الإغريقية التى حكمت نظرة الشعب اليونانى لغيره من الشعوب.. هذه النظرة تتطابق مع اليهودية، التى ترى أن اليهود شعب الله المختار، ومن ثم فهى نظرة قائمة على الجنس أو العِرق أو السلالة.. وقد انتقلت هذه النظرة مع الشعوب الغربية، لتحكُم كل تصرّفاتهم، التى نجدها فى كثير من الأمور، ومن ضمنها الاستعمار.. فحتى نظرة ألمانيا إلى غيرها من الشعوب تحكُمها هذه النظرَة، ونظرة الغرب إلى العالَم كله تحكُمه هذه النظرة: أنه تُوجَد مجموعة مختارة، ويُوجَد مَن هم خارج هذه المجموعة، وهذه يطبق عليها قانون، وتلك يطبق عليها قانون مختلف. وحتى حينما نتكلم عن التعددية الثقافية، التى هى محور عمل هذا المؤتمر، نجد أن نظرة فرنسا نفسها، التى دافعت عن التعددية الثقافية داخل فرنسا، تتناقض مع نظرتها هى فى خارج فرنسا.

إن هذا مكوِّن ثقافى غربى، صعبٌ الانفصال عنه، ولذلك كان من السهل عليهم أن يُبيدوا الهنود الحُمر، بدون أى مشاكل أو عُقَد ثقافية.

٣-٣-٩- ما دور مدارسنا ومدرسيها مما يجرى حولها وحولهم من تغيرات عالمية؟[٢]

ثم جاء دور أيمن عبد القادر عيسى ليسأل الدكتور فؤاد عن نُظمنا التعليمية: أين هى مِن التعددية الثقافية؟ وما دورنا نحن كمدرسين تجاه هذه التغيُّرات العالمية؟ وما دور الطلاب ، وبالذات فى المرحلة الثانوية، حيث إنها مرحلة حَرِجة، لأن الطالب

(١) من تعقيب الأستاذ الدكتور محمد الحملاوى، أستاذ الحاسبات بكلية الهندسة - جامعة الأزهر- مصر.

(٢) من تعقيب أيمن عبد القادر عيسى، طالب ماجستير بقسم التربية المقارنة بكلية التربية، جامعة عين شمس بالقاهرة - مصر.

فيها يصل إلى مرحلة من النضج، فيتساءل عما يحدُث حوله فى العالم، مثل الشيشان، وقبلها كوسوفا، والبوسنة.. وما دورى كمدرس، وما مدى الحرية المُتاحة لى كمدرس، بحيث أطرح مثل هذه القضايا الثقافية على الطلاب؟

٣-٣-١٠- التنوع الثقافى بين الشعوب هو الأساس [(١)]:

ثم جاء دور الدكتور نبيل حافظ، الذى رأى أن التعددية الثقافية تُعتَبر حقيقة واضحة فى القرآن الكريم، حيث قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا.. ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات]، وجاء - فيه - أيضا : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ... ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم]. وقد تنبه العرَب -فى نظره- إلى هذه الوضعية الثقافية المتنوّعة، فأرسلوا الرحالة، وأرسلوا العلماء، لكى يجوبوا البلاد المختلفة، فقد ألَّف البيرونى مثلا كتابا عن الهند، عنوانه «تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة فى العقل أو مرذولة»، وابن خلدون ألف كتابه المشهور، وهو «المقدمة»، عن «أخبار العرب والعجَم والبربر، ومَن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر».

وفى تصور الدكتور نبيل حافظ أن ما يسمّى بالعولمة حاليا، الهدف منها أساسا هدف اقتصادى، فأمريكا تريد أن تسيطر على العالم ثقافيا، وتسيطر عليه اقتصاديا. وقد تنبَّهت إلى هذا أوربا، لدرجة أن أحد القادة الكبار الذين كانوا وراء الوحدة الأوربية، وهو الزعيم الفرنسى شارل ديجول، له مقولة مشهورة، يهاجم فيها أمريكا ويقول : إن الله ليس أمريكيا.

وفى تصوّره أننا لكى نقوم بدراسات جيّدة فى علم النفس، لابد أن نراعى الوضعية الثقافية الخاصّة بنا، وأن قوانين علم النفس ونظرياته، ومن ضمنها نظرية چان بياچيه، تختلف كذلك من مجتمع إلى آخر، وأن العرب قد تنبّهوا إلى أن الوضعية الثقافية تختلف فى المجتمع الواحد من عصر إلى آخر.

وهكذا تختلف الوضعية الثقافية -عنده- من مجتمع إلى مجتمع، ومن عصر إلى آخر، وهذا ما لا بد أن يتنبّه إليه علماء النفس فى دراساتهم.. فالإنسان إذا كان كائنا حيا، فهو كائن اجتماعى، ومعنى ذلك أن الناس مثقفون، وكلنا يعرف أبعاد

(١) من تعقيب الدكتور نبيل حافظ ، الأستاذ المساعد بقسم الصحة النفسية بكلية التربية، جامعة عين شمس بالقاهرة - مصر.

الثقافة. وقد كان مما لفتَ نظرى فى السنوات العشر الأخيرة -يواصل **الدكتور نبيل**- تطبيق القانون الطبيعى المشهور «لكل فِعل ردّ فِعل، مساوٍ له فى القوة، ومضادٌ فى الاتجاه»، فعندما ظهرت العولمة، ظهرت أيضا النوعيات الثقافية، فمثلا فى الاتحاد السوفيتّى، أراد الشيشان أن تكون لهم نوعيتهم الثقافية، وفى الصين ظهر المسلمون هناك يريدون نفس الشيء، وفى البوسنة والهرسك وكوسوفو، نعرِف ما جرى، وكل المذاهب الشمولية التى حاولت أن تُقولِب الشعوب فى قالب واحد، فشلت فشلا ذريعا، لأن التنوع الثقافى هو الأساس.

٣-٤- وتعقيب الدكتور فؤاد على التعقيبات:

وقد بدأ **الدكتور فؤاد** تعقيبه على التعقيبات، بقوله: إنه واحد ممن تربوا فى الغرب، وتنقلوا كثيرا بين ثقافاته المختلفة، وبأن له اتصالات بأكبر تجمُّع سيكولوجىّ فى العالم، وهو الاتحاد الدولى لِعلم النفس، الذى هو عضو مجلسه التنفيذى منذ عشر سنوات، وبأنه يعرف مِن علماء النفس فى العالَم تقريبا أقطاب هذا العِلم، فهم أصدقاء شخصيون له، ومعارف خصوصيون.. وذكر أن جلسة مطولة من جلسات مؤتمر **الكونجرس الدولى لِعلم النفس**، الذى عُقد فى أُستراليا عام ١٩٨٨، قد خُصِّصت للتعامُل مع عِلم النفس من المنظور الثقافى، وكأن هذا الوعى ليس لدينا وحدَنا، وإنما لدَى كل العالم، الذى شعر بأن وظيفية العلوم الإنسانية فى سياق ثقافى مختلف، أصبحت فى مَوضِع شك.

إنه تُوجَد درجات مِن التشابه بين الشعوب، ولكن الخصوصية موجودة.. وعدد من الأبحاث الآن، ليست إلا محاكاة، وهذا عبَث عِلمى بكل معانى الكلمة، فهناك مفهوم فى علم النفس، يسمَّى محلّ الضبط، أو مَوضِع الضبط Locus of control، لو حُسِبَ عددَ البحوث التى أُجريت فيه فى الفترة الأخيرة، لوجُدت أكثر من اللازم، مع أن هذا المفهوم يقوم على أساس أنك إذا كنت تعزو المسئوليَة إلى مصادر من الخارج، فأنت أقل كَفاءة، أو أقلّ قُدرة مِن الذى يعزو المسئولية لمصادر مِن داخله، مع أن هذه المصادر من الخارج فى تراثنا تُشير إلى القضاء والقدَر، وبالتالى إذا كنت تُحيل إلى القضاء والقدر، فأنتَ أقلّ كَفاءة.

لقد نقلوا هذا الكلام حرفيا وبدون وعى، وبدون إدراك لطبيعة الثقافة التى يتحدثون عنها.

وما دام ابن خلدون قد ذُكر، فإن مقولته فى هذا السياق عظيمة جدا جدا- فى علم الحضارة- فالمحاكاة هنا هى محاكاة المغلوب للغالب، والمغلوب هنا هو المغلوب ثقافيا، وليس المغلوب عسكريا، وقد أشار **الدكتور بيومى** إلى أن أمريكا لا تطلُب منا أن نحاكيها، وإنما نحن الذى نحاكيها، وهذا صحيح، إلا أن أمريكا تبذل الجهد الأكبر، كى تضع نموذجا يجذب الانتباه، وهذا حقها كثقافة: أن تفعل ما تريد، ولكن ليس من حقنا أن نجرى وراء النماذج، كالسكارى أو المخمورين.

إن العولمة لم تحل مشكلتنا. إنها ليست تعويذة للتقدم، ولكن الحل هو الهوية، التى سنتكلم عنها طول الوقت، ولكن آليات التشغيل المضادة لنا أقوى منا، **والدكتور الحملاوى** واحد من المدافعين دفاعا مستميتا عن اللغة العربية، وفى كل مرة نلتقى فى مؤتمرات **جمعية تعريب العلوم**، نجد أن الحديث عن وضعية اللغة العربية ذو شجون، ومع ذلك فإننا نرى أن كل يوم أسوأ من الذى قبله، بالنسبة لوضعية اللغة العربية، فلا أحد يستجيب. وقد كانت آخر صيحة هى صيحة الوزير، الذى أصدر قانونا بخصوص اللافتات المكتوبة بغير العربية، وأخيرا قالوا له فى التشكيل الوزارى الجديد: مع السلامة!

إذن المسألة محتاجة إلى معرفة الطريق إلى عمل جبهة، والبحث عمن يستمع إليها، وهناك جهود بُذلت، وثمة عدد من الأساتذة بذلوا جهدا، وقد وصفهم أحد الأساتذة الأجلاء بأنهم أحد عشر كوكبا.. وكان لابد أن يتبلور هذا الجهد، ويقدم للمسئولين، لولا حدوث تغيير وزارى، حيث وُصف كل هذا الجهد بأنه قدر من العبث.

وعلى ذلك، فأنا أعتقد -يقول **الدكتور فؤاد**- أنه ليس للعلم من حيلة إلا أن يعمل فى إطاره العلمى، لأن العلم عندما يخرج من إطاره، يمتهن ويُبتذل ويفقد معناه، أو يتحول إلى آليات وصول، وآليات وصولية، وعلى ذلك فلنعتكف على علمنا، وعلى حرمة هذا العلم.. علينا أن نبذل جهدنا كى ينتقل هذا العلم إلى الآخرين، لعلهم يستمعون.

ومحنتنا الكبرى أننا نعيش فى إطار حضارة إنسانية، لا نقدم فيها شيئا، فنحن مجرّد مستهلكين لها، وكل واحد فينا لو تأمل بيته، فسيجد أن ما حوله كله إنجاز الحضارة الإنسانية المعاصرة، ابتداء من الثلاجة والتليفزيون والتليفون، والانتقال من استهلاك الحضارة إلى إنتاجها مسألة مهمة جدا، وهو عنصر تربوى مهم جدا.. فكيف نستطيع أن نحول آليات التربية من منظور الاستهلاك إلى منظور الإنتاج، فنكون

مُنتجين للمعرفة، ومُنتجين للتكنولوچيا؟ لقد صدرت تقارير، وطُبعت كُتب، وعُقِدت مؤتمرات. . وأسأل: لِمَ لم ينعقد مؤتمر التعليم الثانوى حتى الآن؟ ثم إننى لا أفهم معنى أنك لتطورٍ، لا بد أن تعقد مؤتمرات. . فمَن قال: إن التطوير، وهو عملية مستمرة، ولها آليات، وهو عملية قائمة طول الوقت، يحتاج إلى مؤتمر؟

إننى أعتقد -يقول الدكتور فؤاد- أن التعددية الثقافية موجودة فى أصولنا، وأن الحضارة العربية الإسلامية هى الحضارة الوحيدة فى تاريخ الإنسانية ، التى اندمجت فى النسيج الثقافى للشعوب، والتى احترمت الخصوصية الثقافية لها، وكلنا يعلم أن الإمام الشافعى غيَّر مذهبه عندما انتقل من العراق إلى مصر، لأنه تنبه إلى هذه الخصوصية الثقافية. . وهذه الحساسية الثقافية التى كانت موجودة نحن محتاجون إلى أن نجعلها حادة Sharpening ، ونعيدها مرة أخرى إلى كل واحد منا. . ولو أن الحضارة العربية والإسلامية قامت على حد السيف كما يقولون، لانقرضت وانتهت.

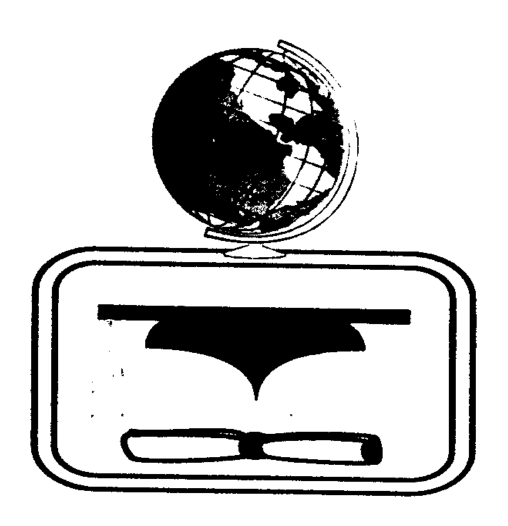
وبالنسبة لما قيل عن الهوية المصرية، ثمة متغيرات كثيرة حدثت ، نتركها جميعا ونقف عند آلية المحاكاة، فما الذى جعل أزياء معينة، وأغانى معينة، وألفاظا معينة، تسود؟ لابد أن هناك ميكانيزما يَعمَل ، وآلية تعمل. . لنرى نماذج يلقى عليها الضوء، وتنتشر فى المجتمع، وتقول لك: هاتِ ميشيل جار، لأنه يقدم لك موسيقى جاز، فى بلد عمره الثقافى لا يمتد للألفية الثالثة، بل للألفية السابعة. . أفلا يستطيع بلد عمره سبعة آلاف سنة، أن يصنع احتفالية بألفية جديدة فى إطاره الثقافى . . من منظوره الثقافى؟ إننا -بدلا من ذلك- نستورد (خواجة)، يعمل لنا الحدث، فى شكل حفلة ديسكو كبيرة جدا، تذاع على العالم. . هذا هو الميكانيزم المضاد، الذى يجعلك تفهم مسألة الأزياء واللغة والكلام . . إلخ، ولكن : كيف تستطيع أن تواجه هذا الميكانيزم؟

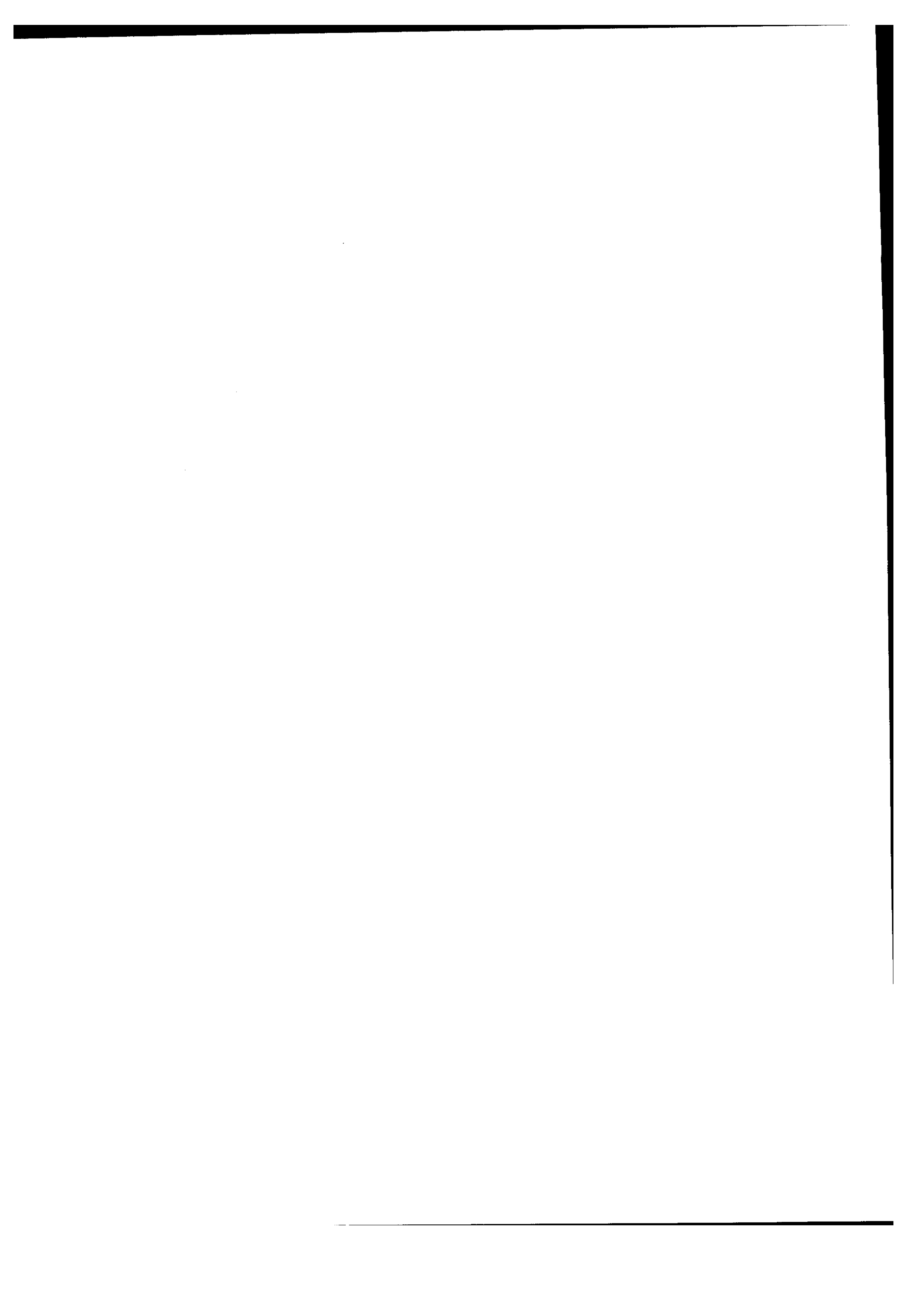
إنك لا تستطيع أكثر من أن تتحدث ، وتنبّه، وأذكر أننى جعلت طلاب السنة الرابعة يقومون ببحث ميدانى عن اللغة الجديدة، التى شاعت بين الشباب ، ولو قمت بنشر هذه البحوث لصارت فضيحة، فهى لغة ثالثة، يتداولها الشباب. إن لدينا لغة عربية فصحى، ولغة عامية، وهناك لغة ثالثة موجودة فى الشارع المصرى، لا يستطيع أحد أن يعرِف : مِن أين جاءت ؟ وكيف انتشرت؟ وهى ليست لغة ثقافة فرعية، وإنما هى لغة مختلفة، مع أنها تكاد أن تكون شائعة، يتحدث بها ابنُ نادى الجزيرة، ويتحدث بها ابن الحارة الضيّقة، فى أى مِن الأحياء فى مجتمعنا ، وكل هذه المسائل فى حاجة إلى أن تُدرس.

٤

الفصل الرابع

التعددية الثقافية وأبعادها التربوية (رؤية تحليلية)





الفصل الرابع

التعددية الثقافية وابعادها التربوية : رؤية تحليلية[1]

٤- ١- تقديم المحاضرة: عودة إلى التراث اليهودى الصهيونى الذى يحرك الحياة من حولنا :[2]

بدأ **الأستاذ الدكتور حامد عمار** تقديمه **للأستاذ الدكتور محمد وجيه الصاوى** ومحاضرته، بتوجيه نقد المشاركين فى المؤتمر، بسبب سمة المجاملات والتشكرات التى نبدأ بها مؤتمراتنا، وتضيّع وقتا كثيرا، فقد جرت العادة ـ فى المؤتمرات ـ أن ندخل فى الموضوع مباشرة، وألا يشكر بعضنا البعض، وألا نتزيد فى هذا الشكر. وأعتقد أن هذه الظاهرة -يقول **الدكتور حامد**- لها تداعياتها فى مسائل أخرى كثيرة، فكان من الضرورى أن نكون مقتصدين فى عمليات الشكر، وفى المبالغة فيه، إلى غير ذلك. وأقول ذلك لأننى أؤمن بأهمية الوقت،وأؤمن بأن المجاملة قد تؤدى ـ أحيانا، ولو من قبيل الإنشاء والصياغات اللغوية ـ إلى كثير من التجاوزات.

ثم انتقل **الدكتور حامد** إلى ما سمعه بالأمس فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر، من نصوص اختارها **الدكتور عبد الغنى عبود** من التوراة فى العهد القديم، مما يُظهر لنا هذا الحقد التاريخى، وهذه العنصرية القديمة، فى التراث اليهودى. وقد كنت سعيدا- -يقول **الدكتور حامد**- بهذا وكم كنت أتمنى- حين تتاح لى الفرصة- أن أعلق فى تلك الفترة، وأن أربط هذا بمقولات قادة الصهاينة، فى معركتنا الحاضرة، وفى سياقها، مع أننا نعرف أن العهد القديم كان قبل ظهور الإسلام والمسيحية.

وأذكر - يقول **الدكتور حامد** - أنه بدأ منذ أربع سنوات بجمع مجموعة من المقالات عن اليهودية والصهيونية، وأنه قرر نشر هذه المقالات فى كتيب صغير متواضع، يحمل اسم **«من القدس يبدأ السلام»**،أشار فيه إلى تأكيد استمرارية العنصرية والاستعلاء، لما يسمَّى **بشعب الله المختار وطموحاته**، لكى يصلوا إلى أرض

---

(١) محاضرة **الأستاذ الدكتور محمد وجيه الصاوى**، الأستاذ بكلية التربية جامعة الأزهر- مصر، وكلية التربية جامعة الكويت بالكويت- صباح اليوم الثانى من أيام المؤتمر ـ الأحد ٢٣ يناير سنة ٢٠٠٠ م.

(٢) من تقديم **الأستاذ الدكتور حامد عمار** الأستاذ بكلية التربية، جامعة عين شمس بالقاهرة للمحاضرة.

العرب، من النيل إلى الفرات، حيث يقول **بن جورين** مثلا: «إنه يمكن وضع القانون جانبا، والاعتراف بما يفعله اليهود»، فالذى يصنعونه هو القانون. ويقول **إسحاق شامير**: «فلنلتفت إلى معتقداتنا نحن، حيث لا الأخلاق ولا التقاليد اليهودية تنبذان الإرهاب، بوصفه وسيلة قتالية، فى مجرى الصراع، ولذا فنحن بعيدون كل البعد عن تأنيب الضمير إزاء استخدامنا وسائل الإرهاب. وفى التوراة جاء «اسحقوهم عن آخرهم. أبيدوا حرثهم ونسلهم». إن إرهابنا يلعب دورا كبيرا فى معركتنا هذه. إنه صوت عال، بحيث يسمعه العالم بأسره (وهكذا الإرهابُ يسمع)، «وكذلك أشقاؤنا التعساء خارج هذه البلاد». . يعنى اليهود الذين ليسوا على أرض إسرائيل.

وتتوالى المقولات فيما يتعلق بمسألة القدس الموحدة، عاصمة إسرائيل الأبدية كما يزعمون، ولهذا كان عنوان الكتاب **«من القدس يبدأ السلام»**، وللسلام مراحل تالية، نهايتها وبدايتها هو تحرير القدس.

وفى هذا السياق أيضا، يقول أحد الكتاب الصحفيين الصهاينة : إن الواقع الإسرائيلى يسمح - مع مرور الزمن - بنقل أبشع الأفكار، واعتبارها أفكارا معقولة. إن فكرة جنونية، لدى يمينى متطرف، سرعان ما تتحول من كونها فكرة مجرمة، إلى كونها جنونية، ومن كونها جنونية إلى كونها فكرة غريبة، ومن كونها فكرة غريبة إلى كونها فكرة خاطئة، ومن كونها خاطئة إلى أن تكون ممتازة (الزمن والتنازلات والأفكار كلها تتآكل، لتتحول الفكرة الجنونية إلى فكرة ممتازة)، ومن كونها فكرة ممتازة إلى الواقع.

إن المسألة مسألة وقت، وهذا ما يفعله الصهاينة حتى فى مسألة التفاوض من أجل السلام.

إن فكرة تُومِض فى العقل، شريطة أن تكون متعصبة قوميا ويمينيا، لا تصبح أمرا واقعا فحسب، بل إنها تُقبل رسميا كإجماع قومى.

ويقول **الدكتور حامد**: إنه رغب فى أن يُجرى تحديثا لما تفضل به **الدكتور عبدالغنى عبود**، فيرى أن ما يجرى إنما هو معركة مع الصهاينة فعلا، وهى ليست معركة حدود، وإنما هى معركة وجود . وبطبيعة الحال، فى أى تصور لتعدد الثقافات، وصراع الثقافات، تظل هذه الثقافة اليهودية، بكل مكوّناتها العدوانية والعنصرية والفاشية، ولكنهم أكثر قدرة على الحركة، وعلى حساب الخطوات، وعلى تقدير عامل الزمن، وأنا لا أنسى -يتمّم **الدكتور حامد**- كيف استطاعوا أن يغيّروا

أحد قرارات الأمم المتحدة، التى ظهرت فى ديباجة كثير من المؤتمرات، وفى أحد المؤتمرات التى حضرتُها أثيرت قصة مساواة الصهيونية بالعنصرية والفاشية والاستعمار، ولكنهم استطاعوا أن يغيروا هذا، ويجعلوا كل أعضاء الأمم المتحدة فى الجمعية العامة بما فيهم ممثلون للعرب، أن يعتذروا عن هذه الديباجة، وأن تُمحى من سيرة الأمم المتحدة. إن هذه النقطة - هى فى حد ذاتها - من النقاط الأساسية، ولكننا حين نغوص فى الواقع، وفى تحليله ومواقعه وجزئياته وحركته ... كل هذا هو الذى يجعل لمفهوم العولمة والتعددية الثقافية معنى حقيقيا.

وأذكر فى هذا العام -يتمّم الدكتور حامد- أنه ظهر أخيرا كتاب لأستاذ أمريكى اسمه **فريدمان Freidman**، عنوانه **From Lexus to The Olive Tree (من سيارة لكسس إلى شجرة الزيتون)**.. وهذا الرجل موجود الآن فى مصر، والسيارة لكسس هى أغلى سيارة أمريكية، والمؤلف كان أستاذا فى جامعة برنديس **Brandis** (جامعة صهيونية) ويذهب إليها بعض الطلاب العرب، ويذهب إليها بعض الأساتذة من بعض الأقطار العربية .. هذا الرجل ترك الجامعة، ويعمل الآن محرر «عمود العلاقات الخارجية» بصحيفة نيويورك تايمز، وقد ألف هذا الكتاب، ويجىء اليوم لكى يعرضه، ويعرض تصور الأمريكيين لمفهوم العولمة والكوكبية.

وقد تم عقد مؤتمر فى فندق سونستا بمدينة نصر، وبالأمس كان يعقد مؤتمرا فى الإسكندرية، ليشرح هذا الكتاب، ومقتضياته وتداعياته.

٤-٢- محاضرة الأستاذ الدكتور محمد وجيه الصاوى:

٤-٢-١ تقديم المحاضرة: العولمة والخصوصية الثقافية:

فى مطلع القرن الحادى والعشرين ، ظهرت على مسرح العالم أحداث فرضت نفسها على الثقافة والتربية، وانعكست بدورها على الإنسان .. فى طريقة تفكيره، وأسلوب تعامُله مع الآخَر، وفى سلوكه اليومى، مما يجعلنا نتأمل ما جاء به القرن الحالى، ليمهد للدخول فى الألفية الثالثة، التى تشهد إرهاصاتها فى صور شتى، لعل من أبرزها العولمة، بمظاهرها الاقتصادية والثقافية والسياسية والعسكرية، فضلا عن تأثيراتها على الإنسان الذى يتفاعل معها .

ومن المُفيد أن نقدم عرضا لأبعاد العولمة، من منظور التعددية الثقافية، التى ستعمل العولمة على إذابتها، لتصبح هناك ثقافة واحدة. كما أن من المفيد أن نعرض

لمجمل الآثار والتعدّيات التى سوف تنعكس على التربية، وعلى قيم الفرد، وعلى الخصوصيات الثقافية، لنَخلُص - من كل ذلك - إلى تقديم بعض التصوُّرات التى تُفيد فى مواجهة التحدّيات العالمية، مع مطلع الألفية الثالثة، ونحن متسلحون بأدوات ومهارات، تجعلنا نتبوأ مكانا متميزا بين الأمم المتقدمة .

والجدير بالذكر أن الدعوة إلى الوحدة العالمَية، والنظرة الإنسانية العالمية لحقوق البشر، هى من صميم قيم الإسلام وغيره من الأديان السماوية .

٤-٢-٢- الإسلام والتعدُّدية الثقافية:

فى الإسلام عقائد وتعاليم، تشكل فكرة الوحدة الإنسانية، وروح العولمة، فالقرآن الكريم رسالة للبشر كافة، ورسالة عالمية لكل الأجناس، وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى للرسول ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء].

فالاتجاه نحو تقريب العالم دعوة قديمة قِدَم التاريخ، وهى لا ترتبط بالتطورات العلمية والتكنولوجية الراهنة. كما أن الدعوة لدمج العالم ليست دعوة حديثة، بل إنها ارتبطت - تاريخيا - بالديانات السماوية، فى تأكيدها على فكرة وحدة البشرية أمام الخالق، وبالتالى فإن الجوهر - بالنسبة لكل الديانات - هو دعوة الشعوب والأمم للتقارُب والتكافل، تحت راية الإيمان بوجود رب واحد، وخالق واحد، وقيم وقناعات ومسلمات مشتركة، تحكم السلوك الإنسانى فى كل أنحاء العالم[1] .. ولاشك أن الإسلام كان فى مقدمة الديانات السماوية التى دعت الشعوب والقبائل للتعارف والتوحُّد: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات: ١٣]. ولكن الطرح الإسلامى ليس فرضا وإملاء على الآخرين أو إكراها لهم ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وبالطبع فإن فكرة تكوين - وتشكيل - عقلية البشر، وجعلهم متفقين فى كل شىء، ومتشرّبين لثقافة واحدة، على طريق واحد، بدون تعدُّد المشارب، مستحيل وضد طبيعة البشر، حيث يقول الخالق جل شأنه، للرسول ﷺ : ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

---

(١) محمد عباس: «الثقافة العربية وتحديات العولمة»، مجلة شؤون عربية، العدد ٦١- ربيع ١٩٩٩م.

٤-٢-٣- العولمة قبل نصف قرن :

رأى المفكرون أن التعددية الثقافية هامة، وأن الوعى بالمشكلات العالمية وروح العالمية، وروح الانتماء للإنسانية، ضرورى، فكان على الجماعات رسالة ناقشتها مجلة الرسالة، تحت عنوان قضية الإنسان العالمى، من خلال عرضها لمؤتمر اليونسكو عن الجامعات فى عام ١٩٤٨، ومنها أن «رسالة التعليم الجامعى هى دعم التفاهم، وذلك من خلال دراسة مفهومه، وإنشاء أقسام وكليات دولية، وتدريب الخريجين على الوظائف ذات الصبغة الدولية، وتشجيع الدارسين على الرحلات والمعسكرات والاجتماعات مع شباب الدول الأخرى»(١).

وفكرة سيادة شعب على سائر الشعوب، أو انفراد حاكم مستبدّ، أو سيطرة دولة على العالم، يرفضها **العقاد**، كما يرفض أفكار الفلاسفة القائمة على النزعة العنصرية، فيقول: «والعجب أن سيادة شعب على سائر الشعوب، هى الخرافة التى لم تعد قط فى زمان مضى، ولن تعود يوما فى زمن مقبل، والناس لا يملكهم واحد مهما علا فى ملكه واستطال. . نعم إن الإخاء العالمى كلمة قديمة، ولكن الوحدة العالمية لم تُصبح حقيقة من الحقائق الملموسة قبل هذا الجيل - يعنى هذا الجيل الذى نحن فيه، حيث تقاربت أجزاء العالم، حتى تسنّى لمن فى الشرق الأقصَى أن يسمع مَن فى أقصى المغرب» (٢).

وقد تنبأ **العقاد** بما يحدث اليوم، حين قال: إن المسافات تقلصت بين ثقافات الدول، وإن العالم أوشك أن يصدر عملة موحدة، وقد حدث ذلك - بالفعل - فى أوربا، ولنقرأ كلماته : «وفى هذا الجيل، تم السفر من أطراف العالم إلى أطرافه، فى أقصر من الوقت الذى كان أبناء القطر الواحد يسافرون فيه من إقليم إلى إقليم، **وفى هذا الجيل أوشك الناس أن يتعاملوا بعملة مشتركة، وأن يعتمدوا على سوق واحدة، أو أسواق كأنها فى سوق.** وفى هذا الجيل أصبح الخطر من العدوان على أمة، خطرا على الأمم كافة، **فالوحدة العالمية** الآن مولود مرقوب، يستغل الحياة ليدرج من الطفولة إلى الفتوة، والذى شاخ وعفى عليه الزمان هو سيادة شعب على سائر الشعوب» (٣).

---

(١) «مؤتمر الجامعات» . مجلة الرسالة، س١، ع٥٢، ١٩٤٨، ص١.

(٢) عباس محمود العقاد: «النظام والتربية القومية»، مجلة الرسالة ، ع٥٢٧، ٩ أغسطس ١٩٤٣، ص٣٢.

(٣) المرجع السابق، ص٣٣.

ولقد تحدث العقاد منذ أكثر من ٥٦عاما عن الوحدة العالمية، التى تسمى الآن«بالعولمة»، ومن ثم فلا خوف من العولمة - من وجهة نظر العقاد - كما يؤكد - ويؤيد تعليم اللغات الأجنبية، لأهميتها فى التقارب بين الثقافات، والعمل على التفاهم فيما بينها، فيقول: «لا غنى عن تعلم اللغات الأجنبية بأية حال، وبخاصة فى هذا العصر، الذى اشتبكت فيه العلاقات العالمية ، والمصالح الدولية، فى كل مطلب من مطالب الحياة العامة أو الخاصة. أما التدريس باللغة الأم، فذلك هو الواجب المستحسن، متى تحققت شروطه الضرورية، وأول هذه الشروط توافر الكتب والمراجع التى تشرح العلوم للطلبة بلغتهم، فى كل مرحلة من مراحل التعليم إلى أعلى درجات، وشيوع المصطلحات العلمية والفنية التى تساعد المعلم والمتعلم على أداء المعنى الدقيق فى التعليم - وبعد هذا لا غنى عن إتقان لغة أجنبية . . وستنتهى كل محاولة من هذا القبيل إلى الفشل، لاستحالة العزلة الثقافية فى الزمن الذى نحن فيه، أو قد كانت فى الواقع مستحيلة فى كل زمن»[1].

٤-٢-٤- العولمة والكوكبية والتعولم:

لقد سبقنا الأوائل من المفكرين فى طرح مصطلحات، قريبة من تلك التى نتدارسها الآن، ومن هذه المصطلحات : المواطن العالمى، الوطنية العالمية، الإنسان العالمى. . وكلها ترادف - فى الوقت الحالى - مفهوم العولمة Globalization، التى هى من إنتاج المعرفة العلمية وتحرّر الإنسان، وشيوع التعليم والصحافة، وغرس بذور الوعى الوطنى [2].

فالعالمية كلمة محايدة، وكلمة **العولمة** Globalization تكاد تكون محايدة،ويترجمها البعض **بالكوكبية**. . أى أنها تعبر عن انسيابية طبيعية، أو تكاد أن تكون كذلك، أى أنه لا يوجد أحد بعينه يحرك الأمور، وإنما هى التفاعلات كما هى، وكما تحدث بتلقائيتها وعواملها وتداعياتها العادية .

ولكن **التعولم**، أو التحريك المتعمد لأوضاع العالم، وليس الانسيابية والتطور الطبيعى أمر آخر، فقد يكون هدف الإعلام هو القضاء على الهوية الثقافية لدولة ما،

(١) عباس محمود العقاد: «اللغات الأجنبية»، مجلة البلاغ، العدد ٧٨٥، القاهرة فى يوم الخميس ١١ من ربيع الثانى ، سنة ١٣٤٤هـ.

وسوف نشير إلى هذه المصطلحات، عندما يأتى ذلك ضمن سياق نصوص المفكرين والأدباء فيما بعد.

(٢) سامى خشبة: «مصطلحات فكرية»، الأهرام، فى ١/ ١/ ١٩٩٩م، ص١١.

فيقال: إنها تمارس التغريب Westernization مثلا، فهى خلاف ما يقال عن العولمة أو الكوكبية. إن التعولم يمثل فرض نمط اقتصادى وثقافى وسياسى، بنوع من القصد والإجبار والإكراه، مثل ما حدث فى فرنسة الجزائر [1].

ولقد بُذلت فى الأربعينات محاولات لإيجاد لغة عالمية موحدة «لغة الإسبرانتو»، كلغة عالمية، ولكن هذا الجهد باء بالفشل، وما زالت المحاولات تدور حول إيجاد لغة مشتركة، والتفاهم من أجل العولمة الثقافية، ومن ثم فهو طرح يدل - فى نفس الوقت - على احترام اللغة المحلية، والخصوصية الثقافية لكل دولة ومنطقة وإقليم. وقد يتصور البعض أن مثل هذه اللغة قد تفرض نفسها فى عام ٢٠٥٠م مما يجعلنا فى حاجة إلى مناقشة طبيعة هذه اللغة، من حيث مفرداتها ورسمها وسهولتها وصعوباتها، ومدى تقبلها لعلوم العصر والتقنيات الحديثة.. فتلك هى المسألة [2].

وتُعتبر العولمة أشد ارتباطا بالثورة العلمية والمعلوماتية الجديدة، التى تكتسح العالم منذ بداية التسعينات . لقد أصبحت العولمة ممكنة بسبب معطيات الثورة العلمية، التى أسست معظم التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المتلاحقة خلال العقد الحالى «التسعينات» . فالثورة العلمية قد جعلت العالم أكثر اندماجا، وسهلت وعجلت حركة الأفراد ورأس المال، وكذلك السلع والمعلومات والخدمات، وجعلت المسافات تتقلص، والزمان والمكان ينكمشان، وجعلت الولايات المتحدة القوة الاقتصادية العظمى المهيمنة، وساهمت فى انتقال المفاهيم والمبادئ والمفردات والأذواق - فيما بين الثقافات والحضارات - بشكل سريع ومذهل .

«والعولمة - كالثورة العلمية والمعلوماتية - تتضمن أيضا توصيل المعلومات والخدمات الفورية إلى كل أنحاء العالم بسرعة الضوء، عبر التجارة الإلكترونية، والديمقراطية الإلكترونية، والتعليم الإلكترونى، وحتى الحب الإلكترونى» [3].. فماذا عن العولمة الثقافية ؟

---

(١) حسن محمد وجيه: «نظرات اللغة ونظريات العولمة»، جـ (١)، الأهرام، فى ١/ ١٠/ ١٩٩٩م، ص١١.

(٢) المرجع السابق، ص ١١.

(٣) الحبيب الجنحانى: «ظاهرة العولمة الواقع والآفاق»، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر ١٩٩٩م.

«إذا كانت العولمة الاقتصادية تبدو للبعض مكتملة على أرض الواقع، فإن العولمة الثقافية ليست بنفس القدر من الاكتمال، والعالم بعيد كل البعد عن أن يكون مُعَولَما عَولَمَة ثقافية، فهى ظاهرة جديدة، وتمر بمرحلة التأسيس الأولى، ولم تبرز بشكل واقعى إلا فى التسعينات»[١] . . فإذا كان هناك إجماع على معنى العولمة الاقتصادية، فإن ذلك غير وارد بالنسبة لمفهوم العولمة الثقافية، حيث إنها لم تتمكن بعد من أن تجارى ـ فى تجلياتها وتطبيقاتها على أرض الواقع ـ تجليات وتطبيقات العولمة الاقتصادية، فالعالم ليس موحدا ثقافيا، كما هو موحد تجاريا وماليا. لذلك نتيجة للغموض الذى يحيط بها، فإن دول العالم التى تتدافع وتتنافس للأخذ بسلع ومنتجات وخدمات العولمة الاقتصادية، تبدو أقل اندفاعا وإقبالا، وأكثر ترددا وتمهلا، فى اندفاعها نحو مفاهيم وسائل الاتصال الحديثة «الإنترنت»، فكثير من الشعوب غير مطمئنة إلى العولمة الثقافية، وغير واثقة من كيفية التعامل معها. . ففى الوقت الذى يبدو فيه العالم ميالا للانغماس فى العولمة الاقتصادية، فإنه يُظهر ميلا للانكماش من العولمة الثقافية، بمعنى عولمة الثقافة وعناصرها الرئيسية، كالفن والأدب والفكر. إن الحياة الثقافية عموما تُظهر ميلا واستعدادا واضحا للعولمة والتعولم [٢] . . ولو تُركت الثقافة لطبيعتها وأُعطيت حرية الاقتصاد، لأصبحت أسرع وأكثر عولمة من الاقتصاد، ومن الجوانب الحياتية الأخرى. ويعود ذلك إلى أن الأفكار والقيم والمفاهيم تحمل فى أحشائها دائما بذور العولمة، بل إن الأديان السماوية والأيديولوجيات تتوجه عادة إلى البشرية، ولا تكترث بالحدود أو التجمُّعات القومية، فرسالة الأديان هى العالمية والشمولية، والتوحيدية غايتها.

فالهدف النهائى للعولمة الثقافية ليس خلق ثقافة عالمية واحدة، بل خلق عالم بلا حدود ثقافية، وهو ما لم يتحقق بعد، ولا نتوقع أن يتحقق قريبا، ولكن ربما يتحقق فى المستقبل البعيد .

ومن ناحية أخرى، نجد العولمة الثقافية تتضمن أيضا بلوغ البشرية مرحلة الحرية الكاملة، لانتقال الأفكار والمعلومات والبيانات والاتجاهات والقيم على الصعيد العالمى، وبأقل قدر من القيود والعراقيل والضوابط .

(١) عبد الخالق عبد الله: «العولمة، جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها»، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ديسمبر١٩٩٩.
(٢) المرجع السابق ، ص ٧٤،٧٥.

٤-٢-٥- ثقافة العولمة ... أم عولمة الثقافة؟:

وثقافة العولمة لابد أن تطرح سؤالا هاما : هل العـولمة سوف تنتج ثقافة خاصة بها ؟

وإذا كـان الأمر كـذلك، فـإننا لابد أن نعـرف : ما هى تلك الثـقـافة، ومـا التحديات التى سوف نواجهها ؟ وما الاستعدادات التى يجب أن نتخذها لمواجهتها ؟

أما عـولمة الثقافـة، فقد يكون القـصد منها عـولمة ثقافة مـعينة من الثقـافات، والمشاهد من هذه الثقافات اليوم هو الثقافـة الأمريكية خاصة، والغربية عامة، ومن ثم علينا أن نتسلح مـقدما بما سـوف تُفرزه العولمة من تَداعيـات تؤثر على هويتنا، وعلى أفكارنا، بحيث نحصّن أنفسنا كنوع من«الوقـاية»، فذلك خير من أن نمرض، ثم نبدأ فى العلاج .

والغـالب أن الاتجاهين الأول والثـانى متـداخلان، فكمـا أن للعولمة منـهجـها وأسلوبها وآلياتها، التى يجب أن نعرفها، فـإن لها محتواها، بما يتضمنه من مكنونات فكرية ومادية، ولها صيغتها المفروضـة علينا. . الأمر الذى يجعلنا نفكر فيما عساه أن يكون موقـعنا وموقفنا، وأسلوب تربيـتنا فى مدارسنا وفى منازلنا، من أجل مواجـهة هذه التحديات. إننا لا نريد إغلاق الباب ولا أن نفتـحه على مصراعيه ، حتى نتنفس بحرية، وبما يناسب ظروفنا وقيـمنا وعاداتنا وعقيدتنا، وأيضا وفق أولـويات ومعايير، ينطلق منها الاختيار الحر، لكل فرد ولكل دولة.

فهل تقبل الثقافة التعولم؟[1] .

ثمة ثلاثة احتمالات أو سيناريوهات:

السيناريو الأول : أن الثقافة لا تُعولَم، وأن أية عولمة لـلثقافة ما هى إلا هيمنة لثقافة معـينة على الثقافات الأخرى، وهذه الهيمنة تستـند على آليات من القوة خارج إطار الثقافـة، سواء كانت مستمـدة من التكنولوجيا، أو من الاقتصـاد، أو من القهر السياسى. المهم أن هذه الهيمنة غير ممكنة فى الوقت الحالى .

السيناريـو الثانى : أن انتشـار العولمة قد يحدُث فى مـجالات، مثل الاقتـصاد السياسة، ولكنها لا تمتـد إلى مجال الثقافة، وذلك لأن الثقافـة قادرة على الاحتفاظ

---

(١) حيدر إبراهيم: «العـولمة وجدل الهوية الثقـافية»، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطنى للثقـافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر ١٩٩٩م، ص ١٠٠.

بتنوُّعهـا بوسائل عديـدة، طالما بقيت الفروق البـشرية. ولكن هذا الاتجـاه يفصل بين الجوانب الاقتصادية الثقافية، وبين السياسية منها والثقافية أيضا، مع العلم بأن الجوانب الثقافية كثيرا ما تتأثر وتتشكل، بفعل الأبعاد الاقتصادية والسياسية .

السيناريـو الثالث : وهو يُعـدّ معـقولا، من حـيث يتوقع نوعـية جـديدة من العلاقات بين العولمة والثقافة، لا تقـوم على هيمنة ثقافة واحدة فقط، ولا على التنوع الثقافى، وإنما تعـتمد شيئا شبـيها بما حدث لأمريكا فى بداية تاريخـها، حين حاولت مزج الثقـافات المتنوعة لديها فى بوتقـة واحدة، لصهر التعـددية الثقافيـة فى المجتمع الأمريكى، ولم تسـتطع ذلك، فهى ـ حـتى الآن ـ تعتبـر مجتـمع الهُوِيّات المخـتلفة والانتماءات المتعددة . . متعايشة معا .

ولكن كيف نعيش عـالمنا الراهن بواقعية، دون تناقضات أو تأزُّم أو حـساسية، حيال عقدة النقص أو الخوف؟

إن ذلك يمكن أن يتحـقق من خلال الحوار، والتكـامل، والتواصل الفكرى. . حتى تتلاقى الثقافات بلا تصادم، وأن يكون هـناك ندِّية، واحترام للكيانات الصغيرة، فيصـبح الحجم ليس مقياس الـتقدير، ولكن بما لدى الكيان من فاعلـية وتأثير وعطاء وقُدرات مكنونة .

تلك هى تداعيات العولمة، إذا سارت وفق هذا المنحَى .

٤-٢-٦- تجليات وملامح العولمة :(١)

ويمكن حصرها ـ فى نظر الباحثين ـ فيما يلى :

١- الانحسار التدريجى لسلطة الدولة .

٢- تعظيم الفائض الاقـتصادى على مـستوى العـالم، حيث تغيَّـرت موازين القوى، بحيث أصبحت الشركات مـتعددة الجنسية هى القادرة على التحكم عن بعد فى بناء الـقوى المحلية، وفـقا لمصالح تلك الشـركات، وذلك من خلال أنشطتها المتنوعة وتغلغُلها.

---

(١) أحمد مجدى حجازى: «العـولمة وتهميش الثقافة الوطنية»، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ديسمبر١٩٩٩، ص١٤٠-١٤٢.

٣- أن الهرولة المستمرة للبلدان النامية نحو العولمة، فى الوقت الذى لا تؤهلها فيه قُدرتها لتحقيق إنتاجية وطنية، تمكنها من التعامل مع السوق العالمى من موقع التكافؤ. . مما يهدد كيانها ووجودها كله.

٤- تداخل متعاظم عبر الحدود القومية لشئون الثقافة السياسية، ونتيجة للعولمة، فإن الدول الكبرى تفرض ثقافتها ومنتجاتها، بشكل يكتسح كل أشكال الحياة فى الدول النامية، باستخدام كل وسائل القهر، المادى والسياسى والإعلامى، لتصدير منتجاتها الخاصة، على أنه نمط إنسانى عالمى (وفق مبدأ أن العملة الجيدة تطرد الرديئة).

٥- تنميط متزايد للسلوك البشرى فى اتجاه ثقافة معمَّمة، أو ما يسمى ثقافة الأمركة، وخاصة فى ظل الاتصال السريع، واتساع الأسواق، وإزالة الحواجز، وانتشار الأفكار الاستهلاكية، لتكون سائر المجتمعات غير المتقدمة، مجتمعات مستهلكة، ليس لها موقع بين الدول الكبرى .

٦- أن اندماج الثقافة فى العولمة الاقتصادية، الذى تفرضه قوة الدول المالكة لآليات الاتصال وتقنيات المعرفة، لتكون أكثر قدرة على التسويق العالمى، مما يخلق عدم تكافؤ بين الدول، ليكون التثاقف والتبادل الثقافى بين الشعوب ضربا من الخيال.

٧- تكوين نخبة من القوى العالمية ـ من رجال الأعمال- لا تنتمى إلى بلد معين، تسعى لنقل نشاطها إلى أى مكان تريد، وفق مقتضيات تعظيم العائد المادى على نطاق عالمى .

٨- عدم مواءمة ما يتم استيراده من النماذج الغربية لطبيعة احتياجات بلدان العالم النامى، مما يشكل تيارات مناهضة تقابل العولمة، مثل السلفية، تحت تبرير الخصوصية للدولة والمحافظة عليها، ومن ثم يرى البعض أن الهجوم الكاسح للعولمة، سوف يؤدى إلى المزيد من التشبث بالثقافة والهوية القومية[١] .

٩- أن عولمة الإعلام والاتصال تشكل تهديدا للتعددية الثقافية، وطمسا للهويات الثقافية للشعوب. . وقد يساعد على ذلك حالة الثقافة فى بعض

(١) المرجع السابق، ص ١٤٠-١٤٢.

المجتمعات الأقل تطورا، فالثقافة العربية -مثلا- تعانى من ازدواجية، نتيجة احتكاكها بالثقافة الغربية، بتقنياتها وعلومها وقيمها الحضارية، بالإضافة إلى التمايُز الواضح بين ثقافة النخب وثقافة الجماهير، والنتيجة هى إعادة متواصلة ومتعاظمة للازدواجية نفسها - ازدواجية التقليدى والعصرى، وازدواجية الأصالة والمعاصرة، فى الثقافة والفكر والسلوك» [1].

١٠- تعاظم الهوس المالى (الرجل الريعى)، حتى فى البلدان الأقل نموّا، حيث انتشار سوق الأوراق المالية، مثل الدول الرأسمالية الكبرى، وبناء عليه، تمت إعادة هيكلة الاقتصاد فى هذه الدول، بما يخدم المؤسسات الكبرى (متعددة الجنسيات، كما نرى فى مصر).

وقد أخذ الموقف من العولمة أشكالا عدة، منها موقف الانكماش والتقوقع، وموقف الانغماس والاستغراق، وموقف الوسط «الانغماش»، فالمنكمش يتهم المنغمس بالعلمانية والانحلال والتغريب والأمركة، والمنغمس يتهم المنكمش بالرجعية والتطرف والتخلف والماضوية، والمنغمش يتهم الآخرين بالتطرف، أو أنه أفضل منهما، فكل الحالات الثلاث مطلوبة، مشروعة للتعامل مع العولمة ومستجدّاتها [2]:

إننا مقبلون على ثقافة وليدة شاملة، وهذه الثقافة العالمية - فى نفس الوقت - يستحيل أن تمحو التعددية. وقد نلاحظ هذا على المستوى المادى، بتقبل الشباب الجانب الخارجى والمظهرى من المنتجات، مثلا الملابس كثقافة استهلاكية، فهى قشور خارجية. . فقد نجد فتاة محجبة وترتدى بنطلونا من (الجينز)، أو شابا يصلى ويدخن سجائر أمريكية. . ولكن على مستوى الفكر، نلاحظ انتشار حقوق الإنسان، وقيم الديمقراطية، وليس ذلك بسبب قوة مصدرها الإعلامى على فرضها فى عقول المتلقين، ولكن بسبب الرسالة الإنسانية المتضمنة فيها. . وفى الاستهلاك ما يتبناه الناس، وهو الجانب السهل فى الثقافة، والذى يمكن تقليده دون جهد. ولذلك ليست هناك - حتى الآن - آثار سلبية كبيرة على الثقافات المحلية، يُحتمل أن تظهر فى

---

(١) محمد عابد الجابرى: «العرب والعولمة: العولمة والهوية الثقافية، تقييم نقدى لممارسة العولمة فى المجال الثقافى»، ضمن مجموعة بحوث: الندوة الفكرية، تحرير أسامة الخولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ديسمبر ١٩٩٨، ص ٢٧٩.

(٢) عبد الخالق عبد الله: «العولمة ومحاولة دمج العالم»، مجلة العربى، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٤٦٥، أغسطس ١٩٩٧.

المستقبل.. ومع التغييرات البطيئة، تتحوّل أفكار مشتركة كثيرة، تضْعُف ـ على أثرهاـ الثقافة المحلية، (فالماكدونلدز) أصبح منتشرا، وكادت تختفى محلات الكُشَرى والأكلات الشعبية المعروفة.

وفى النهاية، فإن للعولمة جوانبها السلبية، فى حين تظهر جوانبها الإيجابية، عندما تلبى مفردات العولمة الثقافية احتياجات إنسانية حقيقية، وغير مزيّفة.

ومن بين المتناقضات التى تطرحها العولمة، ما يقوله بطرس غالى: «إننا نعيش فى غمرة ثورة، شملت المعمورة بأجمعها. إن كوكبنا يخضع لضغط، تُفرزه قوّتان عظيمتان متضادّتان: إنهما العولمة والتفكك» [1].

إن العربى يعايش اليوم ثقافتين متناقضتين، غير متكافئتين.. ثقافة تُراثية مُفعَمة بالمواطنة والأصالة، وأخرى تغريبية، تسلبه المحلية والتراث.. ثقافة الغنى والرفاهة، وثقافة المعاناة والعوَز.. وبين ثقافة المادة والمظهر، فى مقابل مبادئ الروح والعقيدة والتأمل.. ثقافة الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وممارسات قهر من الحكومات والسلطة.. ثقافة تبدو فى المكان بعيدة، وبين حضورها القريب فى كل مكان، وثقافة الخصوصية والتفرد.. وثقافة العامة التى هى فى متناول الجميع، والموحدة فى النمط والدرجة وأسلوب الحياة والتفكير، بين ثقافة الوحدة العالمية فى المكان، والانفصالات الإقليمية الجغرافية.. وبين ثقافة الذات والانتماء، وثقافة الاغتراب والانبهار بالغرب.. ثقافة المغايرة فى تعدد الثقافات المطروحة، والمسايرة والانصياع لعالم جديد.. ثقافة الكتمان والتستُّر والصمت، وثقافة الشفافية والانكشاف على أضواء التكنولوجيا والإعلام.. ثقافة فيها سلطة الدولة تتحكم فى الشعب عن قرب، أمام ثقافة تنال من سلطة الدولة وهيمنتها، فتتحكم فى الشعب عن بعد، ليس من قبَل الدولة، بل من خارج الحدود.. ثقافة كان يتعامل فيها الفرد بالمثل والندّية، إلى ثقافة يشعر فيها بالدونية. ويُضاف إلى ذلك ظهور مفاهيم أخرى متقابلة، مثل الشرق والغرب، والشمال والجنوب.. الجمعيات اللاحكومية، والشركات العملاقة عابرة القارات. ويقول البعض: «إن العالم يزداد تشرذُما بازدياد وتائر توحيده» [2].. فكلما تعمقت الكونية الاقتصادية، تشرذمت الأبنية السياسية، فتظهر النزاعات القومية، كردّ فعل لهذه العملية، وتأخذ هذه النزاعات صورا بالغة التطرف، دفاعا عن الانتماء،

(1) أحمد مجدى حجازى: «العولمة وتهميش الثقافة الوطنية» (مرجع سابق) ص١٢٣.
(2) سيد يس: «أوراق ثقافية»، جريدة الأهرام، القاهرة فى ١٤/٨/١٩٩٥م، ص ١٩.

سواء كان وطنيا أو قوميا أو دينيا، خاصة وأنها عولمة مفروضة من الشمال على الجنوب، بهدف تعميم نظم الحياة الثقافية الأمريكية.. لهذا فإنها ثقافة مصطنعة، بعولمة زائفة، لا تبادُل فيها ولا تعامُل بالمثل [١].

وينظر آخرون إلى العولمة - على أنها «شكل من أشكال كونة الخصخصة، وخصخصة الكوننة، لتصبح مؤسسة صغيرة» [٢]، كلها تناقضات تطرحها العولمة .

لقد فقدت الدول السيطرة على التداول الحرّ للأخبار والمعلومات ، التى تتم عبرَ وسائل ووسائط تقنية حديثة.. لقد أصبح ملايين البشر متوحدين تلفزيونيا، ومن خلال البريد الإلكترونى وشبكات الإنترنت، حيث «متابعة مراسم دفن ديانا، والملك حسين، ومشاهدة المباريات الرياضية» [٣]. ولاشك أن حركات التطرف بكل أشكالها، مما نجده منتشرا فى أجزاء كثيرة من العالم، هى نتاج آليات الهيمنة الرأسمالية، وتشجيعها للثقافات المحلية المتعارضة. فالعولمة - بطبيعتها - هى النقيض الحقيقى لوجود عوالم أخرى[٤].

وقد تراجعت أدوار العملية الثقافية والاجتماعية فى الدول النامية، بسبب الاختراق الكاسح للعمليات الاقتصادية والإعلامية والثقافية، حيث بات واضحا أن الاختراق الثقافى (وخاصة فى ظل العولمة، بآليّاتها المعاصرة)، يعمل على تهديد منظومة القيم الأصيلة، ويشكل نوعا من الازدواجية الثقافية، التى تجتمع فيها تناقُضات الأصالة والمعاصرة، مما يؤدى إلى تهميش - أو تغيير - ملامح الثقافة الوطنية[٥].

وربما كانت هناك تساؤلات كثيرة، هى جزء من سمات شخصية جديدة، تحمل - بين طيّاتها - تناقُضات ثقافية، فى ظل متغيرات مفروضة على الإنسان العربى فى الزمن المعاصر، فالاغتراب والفردية والمادية والاستهلاك الترفى، هى سمات سائدة فى

---

(١) المرجع السابق، ص ١٩ .

(2) Roland Robertson: Globalization and Social Modernization : A Note on Japan and Japanese Religion" in **Sociological Analysis**, London : 1987, P. 221.

(٣) عبد الخالق عبد الله: «العولمة، جذورها وفروعها ..»، مرجع سابق، ص ٧٦، ٧٧ .

(٤) أحمد مجدى حجازى: «العولمة وتهميش الثقافة الوطنية»، مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٥) على وطفة: «الثقافة وأزمة القيم فى الوطن العربى»، **المستقبل العربى**، معهد دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ١٢، ٢٠ فبراير ١٩٩٥، ص ٣٥، ٣٦.

مجتمعاتنا العربية، حيث تحولت الثقافة العربية إلى ثقافة من نوع جديد، حتى أصبح كل شىء الآن يمكن أن يُباع ويُشترى، «حتى روح الإنسان نفسه» [1].. ويخضع لقانون العرض والطلب .

٤-٢-٧- الآثار السلبية للعولمة :

نرى أمريكا - اليوم - قد أصبحت القوة العظمى الوحيدة، التى انفردت بالساحة العالمية دون منافس.. فالحكومة الأمريكية تتصرف حاليا وكأنها هى الحكومة الوحيدة فى العالم، «والرئيس الأمريكى المنتخب من الشعب الأمريكى يتصرف وكأنه رئيس العالم» [2].. لسان حاله «العالم أنا... وأنا العالم». ولاشك أن الاقتصاد الأمريكى يبدو وكأنه هو المحرك الأساسى للاقتصاد العالمى، والثقافة الأمريكية تسعى لتكون الثقافة العالمية الوحيدة المقبولة للجميع، فهى تسعى جاهدة لأمركة العالم، وهذا أسوأ ما فى العولمة .

وفى ظل آليّات الهيمنة العالمية، تحولت الثقافة الاستهلاكية Consumer Culture، وهى أحد مجالات تدويل النظام الرأسمالى، إلى آلية فاعلة لتشويه البِنى التقليدية، وتغريب الإنسان وعزله عن قضاياه، وإدخال الوهن إلى قلبه، والتشكيك فى جميع قناعاته الوطنية والأيديولوجية والدينية. وهكذا تعد العولمة أحد التحدّيات التى تقف أمام بناء المجتمعات التقليدية، لأنها تحطم قدرات الإنسان فيها، وتجعله إنسانا مستهلكا غير منتج، ينتظر ما يجود به الغرب.

وقد تعدّدت آليّات هذه الهيمنة كما وكيفا، بين ثقافة قومية وأخرى، وهذا يظهر بوضوح من خلال ما تبثه الإذاعات المختلفة، حتى العربية، من إظهار تفوق الحضارة الغربية، وتغلغل قيم الرأسمالية، فى المؤسسات الوطنية ذات الصلة بالثقافة ومناهج المدارس والجامعات ومراكز البحوث.. إضافة إلى ما تقدّمه المؤسسات من

(١) جلال أمين: ماذا حدث للمصريين ؟تطور المجتمع المصرى فى نصف قرن، ١٩٥٤-١٩٩٥، دار الهلال، القاهرة ١٩٩٨، ص ٨٣.

(٢) الحبيب الجنحانى: «ظاهرة العولمة: الواقع والآفاق» ، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر ١٩٩٩، ص ٤٧.

منح ومواد إعلامية وبحوث، تجرى عن طريق المؤسسات الرأسمالية، وكلها تصب فى إطار ترسيخ تفوّق الغربى على ما عداه من الجنسيات الأخرى[١] .

إن الخطر الأكبر فـى عملية العولمة أنهـا تُفرض من الخارج، فهى ليـست نتاجا لتفاعلات بين الحضارات والمذاهب المتبـاينة على مستوى العالم ككل، وإنما هى مرحلة معاصرة من مراحل الرأسمالية ، أو هى ـ كمـا يصفها منظّرو ما بعد الحداثة ـ مرحلة متأخرة من مراحل الحداثة، فى ظل ليبرالية جديدة، أشار إليها البعض بأنها تمثل نهاية التاريخ، وأشار إليها آخرون بأنها هجمة معاصرة للرأسمالية، تستهدف تنميط العالم، بالشكل الذى يخدم مـصالح القوى الرأسـمالية العـالمية المسيطرة، وبالذات الشـركات متعددة الجنسيات [٢].

والأصوليات الدينية وغير الدينية، تعارض العولمة، لأسباب تبدو ـ فى ظاهرهاـ متناقـضة، فهـى ترى أن العولمة تحاول أن تعـمم نموذجها الحـضارى، وتفـرضه على العالم، بكل الوسائل الممـكنة، وهى ـ من ناحية أخرى ـ تعتـبر أن فكر العولمة يؤمن بنسبية الأشياء، مما يهدد الفكر الأحادى المؤمن بمطلق. فالعولمة -فى مضمونها ورؤيتها الفكرية- هى تعبير عقلى عن مرحلة الحداثة ومـا بعد الحداثة، وقد مثلت بهذا مرحلة متقدمة فـى العقلانية والتطور التكنولوجى والعملى، كما تميـزت بالعلمانية، أى فصل الدين عن الدولة والحيـاة العامة، ولذلك كـان لابد أن تتناقض العولمة مع الأصـوليين وعلماء الدين[٣].

فهل العولمة عملية غسيل حقيقة للأدمغة، كما أشار **مارتن وولف؟**

إن الإنسان يشعـر ـ فى الحقيقـة ـ بأنه أسير أفكار معينة، وطـريد عالم غريب عليه، قـد يُشعره بـالغربة والانسلاخ، أو العـداء والعدوانية، علـى كل هذا الصخب العالمى الـوافد، وهكذا ستـصبح العـولمة مُقلقـة، إذا كانت تعنى المزيد من الهـندسة الوراثية، وتوظيفها تجاريا وعنصريا وعسكريا[٤] .

(١) من خلال ما نلاحظه فى سوق العمل بدول الخليج العربى مثلا، نجد أن الطلب على خريجى الجامعات الأمريكية والأوربية عند التعاقد، وكأنها تدعم فكرة التفوق الغربى.

(٢) أحمد مجدى حجازى: «العولمة وتهميش الثقافة الوطنية» مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٣) حيدر إبراهيم: «العولمة وجدل الهوية الثقافية» مرجع سابق، ص١٠٧، ١٠٨.

(٤) عبد الخالق عبد الله: «العولمة، جذورها وفروعها»، مرجع سابق، ص ٨٩.

- وستكون العولمة مقلقة، إذا سعت الشركات العالمية لاستغلال ثروات الشعوب والسيطرة عليها، ومنافسة الشركات الصغيرة، حتى تخرج من دائرة المنافسة، فتحتكر الشركات الكبرى المجال.
- وستصبح العولمة مقلقة، إذا ما زادت الفجوة الاقتصادية بين الدول الفقيرة والدول الغنية، وبين دول الشمال ودول الجنوب.
- وستصبح العولمة مقلقة، إذا تضمنت احتمال صراع ـ أو صدام ـ الحضارات، ودخولها فى حروب .
- وستصبح العولمة مقلقة، إذا كانت تعنى الأمركة، وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بشأن العالم، وفرض ثقافتها على بلاده، ونشر نموذجها الحياتى فى الأرض.
- وستصبح العولمة مقلقة، إذا كانت تعنى المزيد من اغتراب الإنسان، حيث يبدأ بفقد السيطرة على تسارع التحولات الفكرية، والمعايير المتباينة، فيظهر فى جهازه النفسى والذهنى عجز عن المتابعة، فيقع فى صراع بين المسايرة والمغايرة، لتيار جارف، قد يتعارض مع قيمه وعقيدته [(١)].

إذا كانت العولمة توحى بكل هذه التداعيات، فهى موحشة، وستجد كل الرفض من الشعوب .

«إن المنافسة المُعَوْلَمَة أصبحت تطحن الناس طحنا، وتدمّر التماسك الاجتماعى، وتعمل على تعميق التفاوت، فى توزيع الدخول والثروة بين الناس»[(٢)].

على أننا يجب ألا ننظر إلى العولمة من زاوية ضيقة، تشاؤمية أو تفاؤلية، وإنما يجب أن نضع العولمة فى الإطار الواقعى الصحيح، فالعولمة ما هى إلا واقع، لا بد من الاعتراف بوجوده.. فهل نحن مستعدّون لمواجهة تحدياتها ؟

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٩.

(٢) هانس بيتر مارتنى، وهارالد سوفان: **فخ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية**، ترجمة عدنان عباس على، العدد ٢٣٨ من سلسلة (عالم المعرفة)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر ١٩٩٨

٤-٢-٨- مميزات العولمة:

يرى البعض أن العولمة الثقافية لا تُلغى الخصوصية، حيث تُوجد مميزات تنتجها العولمة، تتلخص فيما يلى :

- عولمة قضية حقوق الإنسان .
- تنوع مصادر المعلومات المتاحة للمجتمع المدنى .
- تنامى دور المؤسسات الدولية غير الحكومية .
- الثورة الهائلة فى تكنولوجيا الإعلام والاتصال(١) .

من منظور العولمة، يمكن القول: إن قيم الديمقراطية تُعتبر ذات طابع عالمى، باعتبارها قيمة إنسانية عليا، وعامة، وثيقة الصلة بالتطور الإنسانى. . بل إن الدين الإسلامى (الذى يُعتبر فى نظر الغرب بمثابة العدو الجديد للحضارة الغربية)، رفع بعض القيم الديمقراطية إلى مرتبة التكليف الشرعى (٢).

أما عن الجانب الاجتماعى فى العولمة، فقد برزت ـ فى الآونة الأخيرة ـ المنظمات الأهلية غير الحكومية، كقوة فاعلة ومؤثرة، من خلال مؤتمرات عالمية ولقاءات، مثل (**مؤتمر قمة الأرض**)، فى ريودى جانيرو، و**مؤتمر حقوق الإنسان** فى فيينا، ومن المنظمات، منظمة (**أطباء بلا حدود**)،(**منظمات السلام الأخضر**)، والمنظمات النسائية العديدة، مثل(**منظمة أخوات حول العالم**).

إن العولمة تعنى أن الأقدام ستظل ثابتة فى أرض الوطن، بيد أن الهامات ستزداد طولا، والرؤية ستمتد إلى مسافات بعيدة بعد الأفق، ولن تتمكن الشجرة المحلية من حجب رؤية الغابة العالمية (٣).

إن التبشير بالقيم الديمقراطية والدعوة إليها شىء، وتطبيقها فى الواقع شىء آخر. . فبالرغم من تشدُّق الولايات المتحدة بالديمقراطية وحقوق الإنسان، إلا أن سياستها تأخذ بالمعايير المزدوجة، وتتعامل مع هذه القضية بطريقة براجماسية (مثل موقف أمريكا من بطرس غالى).

(١) حسنين توفيق إبراهيم: «العولمة : الأبعاد والانعكاسات السياسية»، **عالم الفكر**، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر ١٩٩٩م، ص ١٩٨، ١٩٩.

(٢) فهمى هويدى: **الإسلام والديمقراطية**، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٨.

وسلع هذه الثقـافة توحّد شـباب العالم، الذى يأخـذ فى استهـلاك كل ما هو جديد، فإن تداعيـات ثقافة العولمة توحى باحتمال نشـر الثقافة الاستهلاكيـة والشبابية عالميا، من حيث الأزياء، والمأكولات، من بيتزا ومياه غازية، وأفلام سينمائية، وأغانى عالميـة مخـتلفة، (المادونا) و(مايـكل جاكـسون)، إضافـة إلى لبس ملابس الجـينز، وماركات (كلفن كلاين)، و(بينيـتون)، ومشـاهدة أفلام مثيـرة، مثل (التيـتانك)، والحديقة (الجروسية)، وحرب النجوم.. [1].

ومن التداعـيات التى شعر بهـا العالم، إحساس الجـميع بأنهم (كلهم فى الهم شرق)، من حيث (قضـايا البيئة، وتلوثها بالنفـايات النووية)، و(الانفجار السكانى)، و(الإرهاب)، و(الفقر)، و(حـقوق الإنسان)، و(المخدرات)، و(نقص الميـاه العذبة)، وغيرها من القضايا. أما فكرة التأثير المتبادل، والآثار المترتبة على كوارث العالم، مثل ثقب الأوزون، فـقد أصـبحت أية كـارثة تحل بدولة مـا ، ينعكس تأثيـرها على كل العالم، ومن ثم أصبح من الواجب أن نهتم بما يجرى للغير من أحداث، لأن المشاركة الوجدانية العـالمية مطلوبة، وهذا مثال السـفينة التى أراد شخص أن يخرقهـا ليشرب، فإن تركوه هلك وهلكوا معه، على حد تعبير الرسول ﷺ.

إن الثورة العلمية والمعلوماتية، هى التى جـعلت عالم اليوم أكثر اندماجا، وهى التى سهّلت حـركة الأفـراد ونشر الأفكار، وقلّصت المسافـات، وجعلت التـحولات سريعة ومذهلة.

٤-٢-٩- تصارُع أم تصالُح:

مـن توابع العـولمة الثقافـية، أنهـا تـتجه نحو صـــراع الحضـــارات Clash of Civilizations، ونحو الهيمنة الثقافية لثقافة واحدة، على سائر الثقافات، ونحو نشر الثقافة الاستهلاكية، وجعلها الثقافة الأكثر رواجا على الصعيد العالمى .

«ويمكن للعولمة الثـقافية أن تمهـد الطريق إلى ترسيخ انقســام العالم إلى مناطق حضارية مغلقـة، تزداد انغلاقا، وتستعد لمواجهـة بعضها البعض. فبعـد انتهاء الحرب الباردة، وانتهاء الصــراع بين الشرق الاشتراكى، والغرب الرأسمـالى، أصبح الانقسام

(١) عبد الخالق عبد الله: «العولمة: جذورها وفروعها»، مرجع سابق، ص ٧٩، ٨٠.

الحضارى والثقافى أكثر وضوحا من أى وقت آخر، كما أنه ازداد -خلال التسعينات- احتمال صراع حضارى خلال المستقبل القريب، وخاصة فى المناطق الحضارية الكبرى»[1]، التى يراها هنتنجتون Huntington «صراعات حضارية»، تهيئ لبزوغ النظام العالمى الجديد.

ويرى هنتنجتون أن الحضارات هى القبائل الإنسانية، وصدام الحضارات هو صراع قبلى، على نطاق كونى[2]، كما يرى الحضارات الحالية التى قد تتصارع هى:

١- الحضارة الأنجلو- سكسونية، وتشمل دول أوربا الغربية وأمريكا وكندا، وهى التى تقود العالم حاليا .

٢- الحضارة البوذية والكونفوشيوسية والهندوسية، وتشمل جنوب شرقى آسيا.

٣- الحضارة السلوفاكية والأرثوذكسية.. وتشمل معظم دول أوربا الشرقية والبلقان وروسيا.

٤- الحضارة الإسلامية، وتشمل الدول العربية وإيران وباكستان وماليزيا وإندونيسيا، وبعض دول أفريقيا.

٥- الحضارة الكاثوليكية، وتشمل جنوب أوربا ومعظم دول أمريكا اللاتينية.

٦- الحضارة الزنجية، وتشمل معظم دول أفريقيا .

إن العولمة كما يشير البعض، «تحمل فى طياتها نوعا أو آخر من الغزو الثقافى[3].. أى من قهر الثقافة الأقوى لثقافة أضعف منها» [4].

٤-٢-١٠- التعددية الثقافية والانتماء:

العولمة قد تبرز بوضوح الهوية والمواطنة العالمية، التى ستحلّ تدريجيا محلّ الولاءات الوطنية.

---

(1) S. Huntington: **Clash of Civilizations**, Touchstone Book, London, 1996, P. 27

(2) I bid P. 331

(٣) من خلال الواقع، أقترح تسميته (الاستعمار الفكرى)، فى ضوء معطيات العولمة .

(٤) جلال أمين: « العولمة والهوية الثقافية »، مجلة المستقبل العربى، العدد ٢٣٤، أغسطس ١٩٩٨، ص٦٠.

والفرد ـ فى ظل العولمة الثقافية ـ يتكشف له البُعد الكونى، ويتعرف على هويته الإنسانية، أكثر من أى وقت آخر. ولكن بروز الهوية الوطنية فى ظل العولمة، لا يعنى تراجُع أو تهميش أو نفى الهوية الوطنية للفرد، أو كما يقول البعض: «إن العولمة لا تهدد الهوية الوطنية، بل ربما ستعزز ـ وستنمِّى ـ الهوية الإنسانية والمواطنة العالمية، بجانب الهوية والوطنية»[1].

والولاء للإنسانية لا يعنى سقوط الولاء للأسرة والجماعة أو الأمة، كما أن التواصل مع الوقائع والقضايا العالمية المشتركة، كقضايا البيئة، وحقوق الإنسان، والتزايد السكانى، واستمرار الفجوة بين الأغنياء والفقراء.. لا يعنى فقدان الاتصال بالوقائع الوطنية أو المحلية. إن كل ما سوف يحدث فى ظل العولمة، هو ارتقاء فى تخيل الأفراد لوجودهم على الكرة الأرضية، حيث يشعرون بأنهم وحدة سكانية واحدة متلاحمة، تعيش تحت ضوء قمر صناعى واحد، وربما كانوا يشعرون ـ كبشر ـ بأنهم مهدَّدون بمخاطر حياتية ـ داخلية وخارجية ـ مشتركة[2]. وقد تطرق للفكرة - منذ أكثر من نصف قرن- المفكرون والأدباء، ونطرح تصوراتهم كنوع من الحلول، ومن النظرة المتفتحة للواقع والمستقبل.

٤-٢-١١- رأى بعض المفكرين فى التعددية الثقافية وقضية الانتماء:

من المفيد أن نقدم عرضا سريعا، يرتد بنا إلى جذور الوضع الحالى، وما كان عليه الفكر منذ نصف قرن مضى، وما قاله المفكرون فى توحيد العالم ونظام العولمة، قبل أن تظهر مثل هذه المصطلحات الحديثة .

لقد أثار طه حسين، فى كتابه «مستقبل الثقافة فى مصر»[3]، قضية أن مصر عقلها ينتمى للثقافة اليونانية، ونادى بأن تكون ثقافتنا فى المستقبل ثقافة غربية خالصة. وقد ردّ سيد قطب على ما قاله طه حسين، مؤكدا أن هناك عوامل طبيعية سبَّبت اختلاف الثقافة ـ والعقلية ـ المصرية عن العقلية الأوربية، حيث قال: «سبب اختلاف العقلية المصرية عن الأوربية، من حيث كون البلاد الأوربية طبيعتها قاسية شحيحة، بالقياس إلى البيئة المصرية، فهى تدفعهم إلى العمل الجاد المتواصل، وقسوتها وشُحُّها

---

(١) سالم يفوت: «هويتنا الثقافية والعولمة»، مجلة فكر ونقد، العدد ١١، السنة الثانية، سبتمبر ١٩٩٨، ص ٣٧، ٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٧، ٤٣.

(٣) طه حسين: مستقبل الثقافة فى مصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٣٨.

يوحيان إليهم بأن يدخروا من أيام الرخاء لأيام الإعسار، وأن يكونوا على أهبة فى كل وقت لمقاومة الطبيعة الطاغية. . مما جعل الأجيال التالية تتحمل المقاومة، وضبط النفس، والوقوف للصدمة. . بينما الطبيعة المصرية الهيّنة الليّنة، لا تدع المصرى يدّخر من الطاقة شيئا، لأنه قادر على لقاء الطبيعة كل آن بقوة الحاضر، بلا تحفظ ولاادخار، ومن هنا يسرف فى قوته وصحته وماله، لأن الطبيعة لم تعوده على ذلك، فالبرد محتمل، والحر كذلك ، والنهر وديع، والأرض خصبة، غنية بالمظاهر، لا جدب ولا حرمان»[1].

كما طرح زكى نجيب محمود فكرة ثقافة الشرق الفنان، وسماته الثقافية الروحية، الذى يختلف -بها- عن الغرب المادى الواقعى، وما قدمه من أفكار يطرح فيها تصوراته، التى تنهض بالثقافة العربية من عثرتها. وقد تطرق لقضية الأصالة والمعاصرة، وأكد على ضرورة الأخذ من جذور الماضى والتراث، وهضم العلم الحديث ومكتشفاته، لنصوغ لنا فكرا جديدا، ورؤية فريدة، نضيف بها شيئا للإنسانية.

وقد حدد زكى نجيب محمود بعض الانتماءات الثقافية للمصرى، فى قوله: «إنه مصرى، عربى، مسلم، ثم لا يهمه ـ بعد ذلك ـ أن تُضاف إلى هذه الصفات أبعاد أخرى، كالانتماء الأفريقى مثلا»[2]. ولا تتدرج منزلة الانتماء -عنده- من حيث الأهمية بنفس الترتيب المذكور، حيث يقول: «قد يكون أشد ما أنتمى إليه، ليس هو أهم جانب من جوانب حياتى، فربما كانت العقيدة الإسلامية من حيث الأهمية أهم جوانب حياتى ، لكن انتمائى لأسرتى ولقريتى، ولوطنى، ولعروبتى، وللإنسانية جمعاء، يجىء فيه ترتيب الدرجات على أساس آخر، غير أساس الأهمية. . وقد يكون هذا الأساس هو المشاركة الوجدانية، بينى وبين أفراد أسرتى، فهى أقوى ـ بالطبع ـ من المشاركة الوجدانية بينى وبين مسلم الصين، دون أن يغير هذا الموقف الوجدانى من حقيقة كون إسلامى أهم جانب من جوانب حياتى» [3].

كما يرى زكى نجيب محمود أن لكل فرد دربين من الولاء، فولاء للهدف الذى من أجله تعيش مجموعته الصغيرة كالأسرة، وولاء آخر يشترك فيه جميع المواطنين،

---

(١) سعيد إسماعيل على: «سيد قطب يرد على كتاب مستقبل الثقافة فى مصر»، مجلة الهلال، القاهرة ، نوفمبر ١٩٨٦.

(٢) زكى نجيب محمود: «فالق الحب والنوى»، جريدة الأهرام، ١٩٨٥/١١/٢٦.

(٣) زكى نجيب محمود :فى مفترق الطرق، دار الشروق، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٣٥٩.

وهو الولاء للوطن [1]. ومن ثم فتعدُّدية الولاءات تأتى تجاه الثقافات التى ينتمى إليها الفرد، ومن ثم تتحدد أولوياتها وفق عقيدة الفرد وظروفه، وستظل هناك أولويات للدين، والوطن والعروبة، والعالم، والإنسانية، وقد يجسد ذلك المثل الشعبى القائل «أنا على أخويا، وأنا وأخويا على ابن عمى، وأنا وابن عمى على الغريب».

ويرى عبد الحليم منتصر «أن الثقافة تتصل - فى بعض مناحيها - بالأوطان أو القوميات، أما العلم فلا وطن له كما يقولون»[2]، ومن ثم فسوف تظل الثقافة طابعا مميزا للمجتمعات، ولكن العلم ونظرياته سيظل بلا هوية ينتمى إليها، حيث إنه يستخدم فى كل ثقافة بأسلوب معين، فتضع عليه الثقافة بصمتها، فتطلق على تطبيقات العلم مسميات تتفق ولهجتها وتقاليدها، كما نرى مثلا فى الهاتف الحديث المتحرك مع الشخص فى كل مكان، فهو يسمى فى مصر«المحمول»، وفى الكويت يسمى «النقال»، وفى السعودية والإمارات يسمى «الجوال»، وفى الأردن يسمى«الخلوى» .

ويدعو زكى مبارك - كذلك - إلى الاتصال بالعالم، فلا ننغلق، حيث يقول: «الاستقلال - فى علم السياسة - هو السيادة، وهو شىء يختلف عن الانعزال.. فالأمة المستقلة تسود، ولكنها لا تنعزل، لأن العزلة ليست من مذاهب الأحياء، وكذلك نقول فى استقلال الثقافة العربية عن الثقافات الأجنبية، فنحن نريد أن تكون للأمم العربية ثقافة لها خصائص وأصول، ولكننا ننكر انقطاعها عن الثقافات الأجنبية، لأن الانقطاع عن العالم، من علائم الضعف والخمود»[3]، حيث يرى أن فى التواصل الثقافى قوة، وضرورة لتلاقح الفكر والإنتاج الثقافى.

ويرى العقاد أن المواطن العالمى يجب أن يهتم بمشكلات العالم، وينتمى إليه من حيث المشاعر، فيقول :«كذلك كان للناس فى العصور الأولى (عالمية)، غير هذه العالمية التى نتحدث بها فى الزمن الأخير. كان (المواطن العالمى) موجودا، قبل المواطن العالمى الذى نتحدث عنه أحيانا فى هذا القرن العشرين، وكان المواطن العالمى قديما

(1) زكى نجيب محمود، قيم من التراث، دار الشروق، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٣٩٠.

(2) عبد الحليم منتصر: «الثقافة والمثقفون»، مجلة رسالة العلم، العدد الثانى ، يونيو ١٩٦٤، ص٥٣-٥٨.

(3) زكى مبارك: «الثقافة العربية: هل ينبغى استقلالها عن الثقافات الأجنبية؟» مجلة الهلال، نوفمبر ١٩٣٦م، ص ٢٨-٣١.

إنسانا، ليس له وطن يستقر فيه، أو يحب أن يستقر فيه، وإنما كان شعاره هو شعار أمثاله فى الدنيا الواسعة، وهو: بلاد الله لخلق الله!.

أما (المواطن العالمى) فى القرن العشرين، فمختلف كل الاختلاف عن ذلك المواطن العالمى، الذى يرادف حينا معنى الشريد، فالمواطن العالمى فى القرن العشرين إنسان له وطن يغار عليه، ولكنه رشيد، كريم فى الغيرة على وطنه، لأنه يعمل لمصلحته الكبرى، ويعلم أننا فى زمن لا تنفصل فيه المصلحة الكبرى لوطن من الأوطان عن مصلحة العالم كله، أو مصلحة بنى الإنسان، فى جميع الأقوام والأوطان.

ويدين المواطن العالمى (بالوطنية العالمية)، لأنه يدين اليوم بحقيقة لا شك فيها، وهى أن سلام وطنه موقوف على سلام العالم بجميع أجزائه وأنحائه، سواء كان منسوبا إلى أمة صغيرة فقيرة، أو كان منسوبا إلى أمة قد بلغت الغاية فى القوة والثراء»[1].

ويواصل **العقاد** فكرته بقوله: «الوطنية - كما نفهمها اليوم - شعور حديث، لا نظن أنه يرجع إلى أكثر من مائتى سنة، ولكن الناس لم يخلوا قط من شعور يماثل الوطنية الحديثة، فكانوا ينتمون تارة إلى القومية، وتارة إلى الدولة.. إلى الجماعات التى تقوم على العنصر أو الاعتقاد. وكانوا - فى هذه الأحوال - يعرفون (الوطنية) بمعنى العاطفة التى تربط الإنسان بمسقط رأسه وبيئة أهله ومهد نشأته وشبابه .. لأن انتماء الناس إلى قطاعات متعددة، فى قطر واحد، يربطهم بضروب شتى من الولاء، ويعوّدهم ضروبا من المخالفات والمخاصمات، تتغلب فيها الزمرة والطائفة على الأمة أو الدولة نفسها، فى بعض الأمور» [2].

ومن ثم فإن الانتماءات المتعددة، بين ثقافة الفرد الخاصة، والثقافة العالمية، يراها العقاد على النحو التالى: «وستظل (الوطنية العالمية) فكرة يفهمها من يحب أمته ويحب الأمم الإنسانية معها، وتظل ضرورة يذعن لها السياسى الذى يخشى مغبة الغفلة عنها، والاجتراء على حدودها، ولكن لن تصبح (عاطفة) وجدانية، بالفكرة والضرورة ، بل ستصبح كذلك بالعادة التى يألفها الناس - أولا - وهم يفكرون فى أسبابها، ثم ترسخ ألفتها فى طباعهم، بغير تفكير فى تلك الأسباب، ويومئذ يصح أن يقال : إن (المواطن العالمى) قد وُجد على الكرة الأرضية، كما وُجد المواطن القومى

(١) عباس محمود العقاد: «حديقة الأفكار»، مجلة الرسالة ، ص ١٤.

(٢) عباس محمود العقاد: «المواطن العالمى»، مجلة الرسالة ، ٦٣٢٤، ١٩٤٩، ص ٢٤.

من قبله، لأنه يشعر بحب العالم، شعوره بحب القريب والصديق والأليف المرموق[1].

ويضيف العقاد: «إن نجاح المساعى التى تُبذل، للتقريب بين أجزاء العالم، والتوفيق بين الأمم الإنسانية ، وشيك أن يضمن حرية الفرد فى وطنه وفى عالمه، وأن يجعل الاتفاق على هذه الحرية عَمليا، قريبا من الاتفاق عليها علميا، بين سائر الشعوب، فلنلتق اليوم على أن حرية الفرد مقدسة، ما لم تتعرض لما هو أقدس منها، ولنترك التفسير والتطبيق للزمن، فهو وحده الكفيل بتقريب العمليات من النظريات، فى مسائل الضمير ومطالب الحرية» [2].

مما تقدَّم نرى أن التعددية الثقافية قائمة، وستظل قائمة، وأن العولمة لن تلغى الخصوصية، ولكن سؤالنا الآن : هل لدينا الإمكانيات، وهل نحن قادرون على النهوض بمهامّنا، ومستعدون للمواجهة؟ حيث إن الصراع القادم صراع وجود .. صراع حضارى، القوى - فيه - هو الذى يملك العولمة، التى يمكن أن يُضيف للإنسانية - من خلالها - شيئا جديدا - فهل نحن الآن كذلك ؟

تعال لنرى ماذا يقول العلماء والمفكرون؟

ومن الأهمية أن نسأل عن واقعنا الثقافى، وهل نحن على استعداد لمواجهة تحديات العولمة؟

إننا إذا استعرضنا رأى بعض المفكرين فى واقعنا الثقافى، وسلبياته، فسنرى زكى نجيب محمود يقول : «إننى أقولها صريحة ورزقى على الله، وهى أننا على درجة من التخلف، أدعو الله ألا تطول معنا، بحيث ندخل عصرنا هذا، وعقيدتى أننا لو استطعنا أن ندخل القرن العشرين فى آخر أعوامه، لكان ذلك خيرا نحمد الله عليه».. ثم يضيف : «لستُ أعرف فى مصر مؤسسة واحدة، أصابها كل ما أصاب التعليم الجامعى من تدهور، فإذا أردت أن ترسم خطا بيانيا يصور لك التعليم منذ نشأته حتى اليوم، فأغلب ظنى أن الخط المرسوم سينحدر بك انحدارا مطردا»[3]. وهو يأمل أن تحدث نهضتان للأمة العربية، الأولى تعود الأمة العربية بها رائدة كما كانت، والنهضة الثانية : أن نتغير فى أسلوب تفكيرنا.

---

(١) عباس محمود العقاد: «حديقة الأفكار»، مجلة الرسالة ، ص ١٦.

(٢) عباس محمود العقاد: «الفرد والدولة»، مجلة الرسالة، ص ١٣.

(٣) زكى نجيب محمود: عن الحرية أتحدث، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٢٤٣، أيضا الأهرام «كانت بالأمس شجرة خضراء»، فى ١٩٨٥/١/٢٨.

ويقول فؤاد زكريا : «لا يوجد إبداع عربى، ليس فقط عند أنصار التراث الذين يتصورون أنه الحل، وإنما الأمر مُفتقَد أيضا لدى الطرف الآخر - النقدى المستنير»[1].

ويقول حسن حنفى : إن «مستقبل الثقافة العربية مرهون بمن يستطيع أن يُعطى مزيجا عضويا إبداعيا، ويخرج من هذا القفص الذهبى. . أى من هذا السجن الذى تعيشه الثقافة العربية فى هذه الجبهات الثلاث : القديم والحديث .. الماضى والحاضر .. الواقع والمستقبل. . وبالتالى لا حل لمستقبل الثقافة العربية خارج التاريخ «تكلّست . . تجمّدت . . تقدّست، كلام القدماء أصبح مقدسا بالنسبة للسلفيين، وكلام الغرب مقدس بالنسبة للعلمانيين، والسياسى يريد أن يترك الواقع المعاصر كما هو، لا يغيره، للدفاع عن كرسى الحكم . . هناك نوع من تجميد الثقافة العربية، والحل هو إعادتها للتاريخ. . إعادتها لحركة الزمان» [2].

ويرى عبد الله عبد الدايم أن «الثقافة العربية الإسلامية لم تنجح، منذ أكثر من قرن حتى الآن، فى صنع حداثتها» [3].

ومثل هذه الرؤية هى واقع شخّص أبعادَه العلماءُ والأدباء والمفكرون، ووضعوا بعض الحلول العلمية. ويمكن إضافة بعض المظاهر، التى تتصف بها ثقافتنا، كسلبيات تعمل على إعاقة التطوّر، ومواكبة الحضارة ، وتمنعنا من الدخول إلى الألفية الجديدة، منها :

- السلبية واللامبالاة، وعدم القدرة على العمل بروح الفريق، حتى على مستوى البحوث العلمية[4].
- أن حلولنا للمشكلات تتّم كردّ فعل، وليس كمبادرات واستشرافات للمستقبل، للعمل على عدم وقوع مثل هذه المشكلات .

---

(١) فؤاد زكريا: «انكشفنا أمام العالم كأصحاب فكر مهمل»، الحياة ، مقابلة فى ١٩٩٤/٥/٢٦، ص١٦.

(٢) نقلا عن: حسام الخطيب: «أى أفق للثقافة العربية وأدبها فى عصر الاتصال والعولمة؟»، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر ١٩٩٩، ص٢٤٠.

(٣) المرجع السابق ، ص٢٤٢.

(٤) وقد أشار إلى ذلك العالم أحمد زويل، فى كلمته التى ألقاها عندما كرّمته مصر ، فى ١٩٩٩/١٢/١٥.

- أن الحلول التى نقدمها للمشكلات تعتبـر حلولا جزئية، ووقتية، لا تتعمق فى البحث عن جذور المشكلة، وحلها حلا شاملا.

- أن العالم يتغير بسرعة كبيرة، ونحن نقف متفرجين، وقفزاتنا للتطور قفزات ليست متصلة، أو مبنيّة على أُسُس راسـخة، وهناك أمثلة على ذلك كثيرة، مثل فكرة الأمـية الحضـارية التى سعينا إليـها، دون أن نقضى على الأمـية الأبجدية، وكذلك (الهاتف المحمول)، الذى أدخلناه إلى مصر قبل أن نحل مشكلة (الهاتف المشلول) فى المنازل.

- أن المناخ العلمى ليس مهيّأ فى مجتـمعاتنا، وأن أسلوب التعليم ـ فى الكثير من البلاد العربية ـ لا يشجع المبدعين، ولذلك نجد الكفاءات العربية تترعرع فى الخارج، كـما أن الروتين والبطء سمـات كثير مـن الجماعات العـربية، بالإضافة إلى سلبيات كثيرة، توجد فى جامعاتنا [1].

- أن كثـيرا من أساليب الـتنشئة الاجـتماعـية قائمـة على القهـر، والتسلُّط، والطاعة العمياء، فـلا يوجد إبداع، ولا تشجيع على الابتكار، ويؤكد ذلك زكى نجـيب محـمود بقوله: إنـنا «فى ضوء التربـية، وتلك النشـأة، الطامّة لوجود هذا الفرد، نستطيع أن نقـرر أننا لا نخلق ولا نبتكر، لأن لنا أخلاق العبيد»[2].

- أن «أسلوب التدريس ـ فى مـعاهدنا التعليـمية ـ يقـوم على النقل، والحفظ والاستظهار، حيث يخرج الدارس بشىء من الحـقائق العلمية، حفظها دون أن يصبح المنهج العلمى طريقا ينتهجـه فى حياته العلمية ... نُظم التعليم فى بلادنا تخرج شبابا من نوع يقضى حياته فى محفوظاته» [3].

- أن «المشكلة التى تعيشها الأمة العربية، هى فقدان المشروع الحضارى الثقافى العربى، على المستوى القطرى والقومى» [4].

---

(١) محمود قـمبر: «الحرية الأكاديميـة فى الجامعات العربية»، بحث مقـدم للمؤتمر الثالث : **الديمقراطية والتربيـة فى الكويت، والوطن العربى**، فى الفتـرة من ٢٧-٢٩ نوفمبـر ١٩٩٩، كلية التـربية، جامـعة الكويت، قسم أصول التربية، ص ٤١.

(٢) زكى نجيب محمود: **جنة العبيط**، دار الشروق ، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٨٢.

(٣) زكى نجيب محمود: «جملة ينقصها الفعل» ، جريدة الأهرام فى ١٩٨٧/٢/٢٤، ص ١٣.

(٤) المجلة العربية للـعلوم الإنسانية : الثقـافة العالميـة والثقافـات المحلية، ندوة خاصة، العدد ٦٦، ربيع ١٩٩٩م، ص ٢٠٦.

٤-٢-١٢- انعكاسات العولمة على التربية:

وتمثل العولمة ريحا صرصرا عاتية، لا يستطيع تحمُّلها إلا من يملك الصحة والعافية، ولديه الإمكانات والدواء، لمواجهة تياراتها، أو يمتلك آليات ينطلق بها محلقا فى آفاق عالَم الغد، فيؤثر فيه ويتأثر به.

«إن الخطر فى العولمة على لغتنا ـ ليست اللغة كما تُحكى أو كما تُقرأ، وإنما موقفنا نحن من اللغة التى لا نعرفها . . أى أننا لا نعيد إنتاجها بصورة ثقافية، وإنما نأخذها جاهزة وجامدة، ليس لنا منها موقف. إننا ليس أمامنا فرص انتقاء فى العولمة الثقافية، وأن ننقد جانبا، ونحارب جانبا، ونمنع جانبا، فالعولمة كل متكامل، متفاعل فى المجال الثقافى، والحنكة هنا، هى فى فعلنا على تنمية ثقافتنا ونشرها، كى تتفاعل مع العولمة، وتصمد بوجه طغيانها» (١).

«إن ثقافتنا ترقى إلى العالمية، فى الأدب والموسيقى والحضارة، ولكننا لن نصل بها إلى العولمة، ما لم نمتلك الوسائل لذلك، وما لم نعرف كيف نسوِّقه، حتى نصل به إلى مرتبة العولمة» (٢).

أما النتيجة الأخرى لمثل هذا التبادل الحرّ للأفكار والمفاهيم عبر الثقافات، فهى بروز اهتمامات وعادات وأذواق وآمال وأهداف، وربما عقليات مشتركة، لا تعبر عن ثقافة محددة، بل عن مجموع الثقافات الحية فى العالم، فقد تكون تلك بعض المحصلة النهائية للعولمة الثقافية.

ويرى باحثون أن العولمة لا تهدد الهوية ـ أو الهويات ـ الثقافية، بالفناء أو التذويب، بل إنها تعيد تشكيلها، أو حتى تطويرها، لتتكيف مع الحاضر، فالإنسان يتجه الآن نحو إمكانية العيش، بهُويَّات وانتماءات مختلفة متعددة.

إن شكل العالم فى العولمة، أقرب إلى الشبكة منه إلى الهرم، حيث نجد ـ فيها ـ الجار النفسى، وليس الجار المكانى أو الجغرافى.

ويحذرنا البعض من الانبهار بالأساليب التكنولوجية، التى قد يكون من مخاطرها تهميش دور المدرسة، حيث يقول سيد قطب: «تحصيل المعلومات سوف يصبح سهلا، وسيرفع كثيرا من أثقال الطرق القديمة فى التربية، ولكنه قد يتجاوز

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٥.

الحدّ، فيحرم التلاميذ من لذة الجهد، وتقوية الإرادة فى التحصيل المفيد، ويقضى على روح الاحترام والتوقير للمدرسة والمدرس، ويجعل الطلاب يذهبون إلى المدرسة كما يقصدون إلى نزهة خفيفة، ويحسبون العالم رواية من روايات السينما، لا تطالبهم بجهد ولا كدّ» (١).

كما يلفت سيد قطب انتباهنا إلى عدم المغالاة فى الحرية، لكى لا تنقلب إلى فوضى، فيقول: «والحرية التى هى نعمة الحياة الإنسانية، انقلبت عليها نقمة، لأنها أصبحت أشبه شىء بالفوضى، وأصبح همها الانفلات من القيود، التى تعبت الإنسانية فى صوغها مختارة راضية، لأنها قيود نافعة، تفرق بين الإنسان والحيوان، فقد خسرت الإنسانية جهد أجيال وقرون، واحتاجت إلى الشكيمة الرادعة، والصدمة التى تعيد العقول إلى الرءوس» (٢).

«إن المجتمع حين يتحرر من القيم والأخلاقيات والنظم الرفيعة، هو مجتمع متخلف، حتى وإن كان متقدما مدنيا» (٣)، و«إن الشروط المادية والمدنية والمعَاشية التى قد تهيئ للإنسان العمل والوسائل والانتفاع، لا تعنى - بالضرورة - حلا لمشكلة الإنسان الحقيقية، لأن قضية الإنسان هى - فى المقام الأول - قضية حريته وكرامته، وتوازنه الروحى والأخلاقى، وتوفير الأمن والعدالة والمساواة فى حياته، وهذه الأمور تحددها طبيعة النظام الاجتماعى» (٤).

٤-٢-١٣- ماذا نفعل؟:

يرى **العقاد** أن طريق التقدم يبدأ بالاهتمام بالصناعة، فيرى «أن مصر - فى خلال خمسين سنة - ستصبح فى عداد الأمم الصناعية الكبرى.. والصناعة ستفيدنا فى هذه المشكلة، وهى وحدها غُنم عظيم، يستحق ما يُبذل فيه من جهود. ستفيدنا فى عقولنا وأخلاقنا، ومقاييس حياتنا الاجتماعية، ونظراتنا إلى قيم الحياة، لأنها ستنقل المجتمع المصرى من (بنية بسيطة ساذجة)، إلى (بنية مركبة متقدمة)، فلا يخفى أن الارتقاء هو الترقى من البساطة إلى التركيب. ومجتمع يقوم على الزراعة وحدها،

(١) سيد قطب: «العالم الجامح يثوب إلى الرشاد»، مجلة الشئون الاجتماعية، العدد٤، السنة الثانية، ١٩٤١، ص ٥٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٢، ٥٣.

(٣) على القرشى: «مفهوم الحضارة بين مالك بن نبى وسيد قطب»، مجلة الهلال، دار الهلال، القاهرة، سبتمبر ١٩٨٧، ص ١٢٥.

(٤) المرجع السابق، ص ١٢٣.

أبسط من مجتمع يقوم على الزراعة والصناعة، والأعمال الاقتصادية المختلفة، والتجارية المنوّعة. ذلك ارتقاء فى الملكات والهمم، وارتقاء فى تعدّد جوانب الفكر والخلق، وارتقاء فى القدرة على التعاون بين أنواع الأعمال وطوائف العاملين»[1].

«وهذه هى الميزة الاجتماعية النفسية، التى تهيئها لنا الصناعة المتقدمة، وما يقترن بها من أعمال الآحاد والطوائف والجماعات. وغير بعيد على مصر - مع اطراد هذا التقدم - أن تصبح - على شاطئ البحر المتوسط - أقوى دولة فيه، دون استثناء دولة من الدول التى لا يُدرَك شأوها الآن، وغير بعيد كذلك أن نواجه العالم برسالة ثقافية روحية، تتوافر على نشرها فى عالم جديد، كما علمتها بالأمس شيئا فى العالم القديم»[2] .. فهى دعوة للأخذ بالتصنيع، والنهضة الحضارية.

كما نوصى بما يلى:

- ينبغى ألا نعيش فى عزلة عن العالم، بل يجب أن نشارك مشاركة واعية، بإيجابية، ونرشّد استهلاكنا من مظاهر القشرية فى الثقافة السريعة . وهذه المشاركة تجعلنا ننظر إلى العولمة الثقافية على أنها انتقال تركيز اهتمام ووعى الإنسان من المجال المحلى، إلى المجال العالمى، ومن المحيط الداخلى إلى المحيط الخارجى. وفى ظل العولمة الثقافية، يزداد الوعى بعالمية العالم، وبوحدة البشرية، فى مصيرها ومشاكلها الحالية.
- أما عن التعددية الثقافية، فسوف نجد أن هناك انتماءات وولاءات مختلفة، كما يقول العقاد، «ولكن الناس لم يخلوا قط من شعور يماثل الوطنية الحديثة، فكانوا ينتمون تارة إلى القومية، وتارة إلى الدولة، وتارة إلى الجماعات التى تقوم على العنصر أو الاعتقاد. وكانوا فى هذه الأحوال يعرفون (الوطنية)، بمعنى العاطفة التى تربط الإنسان بمسقط رأسه، وبيئة أهله، ومهد نشأته وشبابه»[3].
- فعلينا أن نضع المناهج التى ترسّخ التربية من أجل السلام، والتقدير العالمى، والتقدير الثقافى للمجتمعات المختلفة، والتعايُش مع المتناقضات، بحيث لا نذوب فيها، وأن نحتفظ بهويتنا الثقافية، وعقيدتنا الدينية.

---

(١) عباس محمود العقاد : «يوميات الأخبار»، جريدة أخبار اليوم، ٢٢ يناير ١٩٤٩.

(٢) المرجع السابق.

(٣) عباس محمود العقاد: «المواطن العالمى»، مجلة الرسالة، ص ٢٢.

- أهمية التمسك باللغة العربية ودعمها، من حيث طرائق تدريسها، واستخدامها بشكل صحيح، والاعتزاز بها، فهى وعاء الدين.
- ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة، المبنيّة على التسامح، وانفتاح العقل، وحرية الرأى، واحترام الرأى الآخر، والتعايش مع الآخرين فى سلام.
- ضرورة تغيير أساليب التعليم، فيكون إنسانيا فى طرحه، «إذ لا يزال التعليم مُغلَقا على نفسه» [(١)]، لا يواكب التسارع الحادث فى التغيرات الثقافية المحيطة بنا. ويجب التركيز على شخصية المتعلم، لا على المادة التعليمية.
- يجب أن يتعلم الفرد كيفية الانتقاء والاختيار، من بين المتغيرات والثقافات المتعددة، المطروحة فى سوق الثقافة، بما يتناسب مع قيمه وعاداته وتقاليده، بحيث يستطع التمييز بين الغَثّ والسمين .
- تعريب المناهج، حتى تسير فى اتجاهين متوازيين، مع التدريس بلغتين، مما يمكن أن يخلق تراكما أكاديميا علميا وثقافيا لدى هذا الجيل، فيستطيع ترجمة ما يناسب مجتمعه. ويقول زكى مبارك: «يجب أن نستوعب الثقافات الأجنبية، ويحسن ـ حين يمكن ذلك ـ أن نهضمها، بحيث تصبح عنصرا من ثقافتنا القومية. . و تذكروا دائما أنى لا أوصيكم بالفناء فى الآداب الأجنبية، ولكننى أوصيكم بالتخلق بأخلاق الأقوياء من الأجانب، وعهدى بهم ينقلون إلى لغاتهم ما يملكون نقله من جيد الآراء، ثم يتصرفون فيه تصرف العبقريين، لا تصرف الناقلين» [(٢)].
- يجب أن يكون الغرض الأول من كل جهودنا فى التعليم، أن نضمن للفرد حياة معقولة، قابلة للنمو والترقّى، وأن نضمن للأمة ـ عن طريق هؤلاء الأفراد ـ مجتمعا متناسقا، قابلا للتعاون الإنسانى، مع كافة المجتمعات الإنسانية [(٣)].

---

(١) ندوة خاصة أعدتها المجلة العربية للعلوم الإنسانية: «الثقافة العالمية والثقافات المحلية»، مرجع سابق، ص٢١٢.

(٢) زكى مبارك: «الثقافة العربية: هل ينبغى استقلالها عن الثقافات الأجنبية؟»، مرجع سابق، ص٢٨-٣١.

(٣) سيد قطب: «الأهداف العليا للتعليم فى المجتمع والحياة»، مجلة الشئون الاجتماعية ، العدد التاسع، سبتمبر ١٩٤٥.

- إعادة النظر فى القوانين والتشريعات، المنظمة لقضايا الأخلاق والتربية، لتواكب ما يستجدّ من متغيرات متسارعة، تفرضها علينا العولمة، ومن بين هذه الجوانب - مثلا - عقوبة التسرب، وقواعد استيراد الفاكس، ونظم المتابعة للمطبوعات والأفلام الخارجة على القيم، وغيرها ، فليس (المواطن العالمى) هو الذى ينسى بلده، أو يؤثر عليه بلاد أناس آخرين، ولكنه هو الوطنى الغيور على وطنه، عن رشد فى العقل، وكرم فى الطوية، ومن الرشد والكرم أن يحرص على سلام الأمم قاطبة، ليضمن السلام لأمته، ويعفى غيرها من ضرر يصيبهم ويصيبه، ولا منفعة له ولا لهم فيه(١).
- أو كما يقول الشاعر:

وإنّى لنجم تهتدِى بىَ صُحبتى	إذا حال من دون النجوم سحاب
غنى عن الأوطانَ لا يستفزّنى	إلى بلد سافرت عنه إياب
أعزّ مكان فى الدنا سرج سابح	وخير جليس فى الزمان كتاب
وما كنت لولا أنت إلا مهاجرا	له كل يوم بلدة وصحاب

تلك هى روح الانفتاح العقلى والعاطفى على العالم لفهم العولمة، والتعامل مع التعددية الثقافية.

(١) عباس محمود العقاد: «حديقة الأفكار»، مجلة الرسالة، ص ١٣.

٤-٢-١٤- المراجع

أولا: المراجع العربية:

١- أحمد مجدى حجازى: «العولمة وتهميش الثقافة الوطنية»، **مجلة عالم الفكر**، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ديسمبر١٩٩٩ .

٢- جلال أمين: «العولمة والهوية الثقافية»، **مجلة المستقبل العربى**، العدد ٢٣٤، أغسطس ١٩٩٨.

٣- جلال أمين: **ماذا حدث للمصريين؟ تطور المجتمع المصرى فى نصف قرن، ١٩٤٥-١٩٩٥**، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٨.

٤- الحبيب الجنحانى: «ظاهرة العولمة، الواقع والآفاق»، **مجلة عالم الفكر**، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، ديسمبر ١٩٩٩.

٥- حسام الخطيب: «أى أفق للثقافة العربية وأدبها فى عصر الاتصال والعولمة؟»، **مجلة عالم الفكر**، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر١٩٩٩.

٦- حسن محمد وجيه: «نظرات اللغة ونظريات العولمة، جـ١» **الأهرام فى** ١/ ١٠/١٩٩٩م.

٧- حسن محمد وجيه: «نظرات اللغة ونظريات العولمة،جـ٢»، **الأهرام فى** ٨/ ١٠/١٩٩٩م.

٨- حسنين توفيق إبراهيم: «العولمة: الأبعاد والانعكاسات السياسية»، **عالم الفكر**، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب،الكويت، ديسمبر١٩٩٩م.

٩- حيدر إبراهيم: «العولمة وجدل الهوية الثقافية»، **مجلة عالم الفكر**، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر ١٩٩٩م.

١٠- زكى مبارك: «الثقافة العربية : هل ينبغى استقلالها عن الثقافات الأجنبية؟»، **مجلة الهلال**، نوفمبر ١٩٣٦م.

١١- زكى نجيب محمود: **عن الحرية أتحدث**،دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٦م، أيضا الأهرام: «كانت بالأمس شجرة خضراء»، فى ٢٨/ ١/ ١٩٨٥.

١٢- زكى نجيب محمود: «فالق الحب والنوى»، جريدة الأهرام، ١٩٨٥/١١/٣٦.

١٣- زكى نجيب محمود: فى مفترق الطرق، دار الشروق، القاهرة ١٩٧٨.

١٤- زكى نجيب محمود: قيم من التراث، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٧.

١٥- زكى نجيب محمود: جنة العبيط، دار الشروق، القاهرة، ١٩٧٧.

١٦- سالم يفوت: «هويتنا الثقافية والعولمة»، مجلة فكر ونقد، العدد١١، السنة الثانية، سبتمبر١٩٩٨.

١٧- سامى خشبة: «مصطلحات فكرية»، الأهرام، فى ١/ ١٠/ ١٩٩٩م.

١٨- سعيد إسماعيل على: «سيد قطب يرد على كتاب مستقبل الثقافة فى مصر»، مجلة الهلال، دار الهلال، القاهرة، نوفمبر ١٩٨٦.

١٩- سيد قطب: «الأهداف العليا للتعليم فى المجتمع والحياة»، مجلة الشئون الاجتماعية، العدد التاسع، سبتمبر ١٩٤٥.

٢٠- سيد قطب: «العالم الجامح يثوب إلى الرشاد»، مجلة الشئون الاجتماعية، العدد٤، السنة الثانية ١٩٤١.

٢١- سيد ياسين: «أوراق ثقافية»، جريدة الأهرام، القاهرة، فى ١٤/ ٨/ ١٩٩٥م.

٢٢- طه حسين: مستقبل الثقافة فى مصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٣٨.

٢٣- عباس محمود العقاد: «النظام والتربية القومية»، الرسالة، ع ٥٢٧، ٩أغسطس ١٩٤٣م.

٢٤- عباس محمود العقاد: «مؤتمر الجامعات»، مجلة الرسالة، س١٠، ع٥٢، ١/ ١٩٤٨.

٢٥- عباس محمود العقاد: «اللغات الأجنبية»، البلاغ، العدد ٧٨٥، القاهرة فى يوم الخميس ١١ من ربيع الثانى سنة ١٣٤٤هـ.

٢٦- عباس محمود العقاد: «المواطن العالمى»، الرسالة، ع٦٣٢، ١٩٤٩.

٢٧- عباس محمود العقاد: «الشباب والمستقبل»، جريدة أخبار اليوم، فى ٢٢ يناير ١٩٤٩ .

٢٨- عبد الحليم منتصر: «الثقافة والمثقفون»، مجلة رسالة العلم، العدد الثانى، يونيو ١٩٦٤م.

٢٩- عبد الخالق عبد الله: «العولمة، جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها»، عالم الفكر، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر ١٩٩٩.

٣٠- عبد الخالق عبد الله: «العولمة ومحاولة دمج العالم»، مجلة العربى، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٤٦٥، أغسطس ١٩٩٧.

٣١- على القرشى: «مفهوم الحضارة بين مالك بن نبى وسيد قطب»، مجلة الهلال، دار الهلال، القاهرة، سبتمبر ١٩٨٧.

٣٢- على وطفة: «الثقافة وأزمة القيم فى الوطن العربى»، المستقبل العربى، معهد دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ١٢، ٢٠ فبراير ١٩٩٥.

٣٣- فؤاد زكريا: «انكشفنا أمام العالم كأصحاب فكر مهمل»، الحياة، مقابلة فى ٢٦/ ٥/ ١٩٩٤.

٣٤- فهمى هويدى: الإسلام والديمقراطية، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٣.

٣٥- المجلة العربية للعلوم الإنسانية: ندوة خاصة«الثقافات المحلية»، العدد ٦٦، ربيع ١٩٩٩.

٣٦- محمد عابد الجابرى: «العرب والعولمة : العولمة والهوية الثقافية، تقييم نقدى لممارسة العولمة فى المجال الثقافى»، فى مجموعة بحوث: الندوة الفكرية، تحرير أسامة الخولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ديسمبر ١٩٩٨.

٣٧- محمد عباس: «الثقافة العربية وتحديات العولمة»، مجلة شؤون عربية، العدد٦١ - ربيع ١٩٩٩م.

٣٨- محمــود قمبر، «الحـرية الأكاديمية فى الجـامعات العربيــة»، بحث مقدم للمؤتمر الثالث: **الديمقراطيـة والتربية فى الكويت**، فى الفترة من ٢٧-٢٩ نوفمبر ١٩٩٩، كلية التربية جامعة الكويت، قسم أصول التربية.

٣٩- ندوة خاصة أعـدتها **المجلة العـربية للعلوم الإنسـانية**، «الثقـافة العـالمية والثقافات المحلية»، العدد ٦٦، ربيع ١٩٩٩م.

٤٠- هانس بيــتــر مــارتن، وهارالد ســوفــان: **فخ العـولمة: الاعـــتـداء على الديمقراطية والرفاهية**، ترجمة عدنان عباس على، العدد ٢٣٨ من سلسلة (عالم المعرفة)، المجلس الوطنى للثـقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر ١٩٩٨.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

1- Huntington, **Clash of Civilizations**: Touchstone Book, London, 1996.

2- Robertson, Roland: "Globalization and Social Modernization : A note on Japan and Japanese Religion" in: **Sociological Analysis:** lki 98mnghuy 76, London, 1987.

٤-٣- تعقيبات الحضور:

٤-٣-١- لا خوف علينا من التغريب، الذى هو غير العولمة[1]:

بدأ التعقيبات **الأستاذُ الدكتور بدر الدين على**: الذى بدأ بشكر للدكتور وجيه الصاوى، ولكنه لامه على مـا بدا عليه من انفعـال عاطفى، وتمنى لو أنه كان أكـثر حيادية وموضــوعية. وأظهر الدكتور بدر الدين على استغـرابه من أنهم فى مصر لم يستخـدموا الكمبيوتر فـيما يتعلق بالامـتحانات والدرجات وغيـرها حتى الآن، حيث يظهر له أن المؤســسات الاقتصــادية سبقتنا، مـثل شركات الطيران، التى تعـمل كلها بالكمبيوتر، مع أن الجهاز التعليـمى جهاز هام جدا فى الدولة، إلا أنه يبدو أنه ما زال يحبو، فيما يتعلق باستخدامات التكنولوجيا.

---

(١) من تعقيب الأستاذ الدكتور بدر الدين على، أستاذ علم الاجـتماع بجامعة لويزفـيل بالولايات المتحدة الأمريكية.

وقد أعجبنى كثيرا - يقول الدكتور بدر الدين على - إثارة سياسة ردّ الفعل، التى هى عكس سياسة النظر البعيد، حيث ننتظر المشكلة حتى تحدث، أو الزلزال حتى يقع، ثم نتحرك بعدها، بينما المفروض أن يكـون عندنا تخطيط سليم، وسياسة بعيدة النظر، وهذه كلها نقاط هامة جدا.

إلا أن ثمة مسائل أثارها الدكتـور وجيه، كان للدكتور بدر الدين على بعض التحفُّظ عليها، مثل العولمة، التى يرى أن المثـال الصحيح لها هو أن يتفاعل العالم مع بعضه البعض، وأن يكون هناك اتصال وتفاعل... تفاعل وليس صراعا، ورأيى - يقول الدكتـور بدر الدين - أنه من الصعب جـدا وجود هذا التفاعل بدون صـراع، فالعالم ملىء بالصراعات... بين تركيـا واليونان، وبين الكاثوليك والبروتسـتانت فى أيرلندا، وبين المسلمـين والهندوس فى الهند، وبين العرب وإسـرائيل بطبيـعة الحـال. . فتكاد عملية العـولمة التى فيها تفاعل حقـيقى بين شعوب العالم. . تكاد أن تكون خـيالية، أكثر منها واقعية.

وأخيرا، فـإن ثمة مسألة سوسيـولوجية، أَحَبَّ الدكتور بدر الدين أن يثيرها، وهى مسألة التثقيف Culturalization. . إنه تعبير بيولوجى قديم جدا، يبدو له أن له علاقة كـبيرة بعملية العـولمة، ولكن يُفهم من كلام الدكتـور وجيه أن العولمة مرادف للتغريب Westernization، مع أنهما أمران مختلفـان، فما يجرى فى العالم الآن، من أمثال ماكدونالدز والمحمول وغيرها. . هذا كله تغريب، وليس عولمة.

الأمر الثـانى -عند الدكـتـور بدر الدين على- يتـعلق باسـتـخـدام المحمـول والتصرفات المتعلقـة به مثلا، حيث يرى أنها تطبيق لنظرية الفجـوة الثقافية Cultural Gab، حيث العناصر المادية من الثـقافة تتغير أسـرع من العناصر المعنوية منها، فكون الولد أو البنت اليوم يحمل المحمول. . هذا هو التـغير المادى، ثم يأتى بعد ذلك تغير محتـوى يتعلق بالاستخـدام الأمثل لهذا المحمـول، وكيف يمكن أن نستفـيد من هذا المحمول، دون الإضرار بأحد؟

وأخيرا يعلق الدكتور بدر الدين على بسرعة عن الخوف من مـسألة الاستنساخ والعمـليات. . إلخ، فهـو يعتـقد أنهـا مازالت على مـستـوى محدود، حـتى داخل المجتمعات الغربية، فى أمريكا وغرب أوربا، فـالخوف منها بالنسبة لمجتمعاتنا... أعتقد أنه بعيـد جدا، وإن كان الحرص واجـبا، والصيحـة الإنذارية واجبة، ولكنى أعتـقد-

يقول الدكتور بدر الدين على- أنه لا خوف علينا، لأن لدينا قيما إسلامية، وقيما عربية متينة، تستطيع أن تقف حاجزا قويا ضد هذه التيارات الغربية عنا.

٤-٣-٢- لابد أن نتعامل مع العولمة بموضوعية:[١]

ثم انتقل التعقيب إلى **الدكتور حسن عبد العال**، الذى أراد أن يقف عند ثلاثة مُعطيات فى هذه المحاضرة الشيقة:

المعُطَى الأول: إيجابى، وهو ضرورة أن نتعامل مع العولمة كظاهرة موضوعية الآن، فلا يجوز التقوقع، كما لا يجوز الانسياق وراء العولمة، وإنما أن نقف موقف الناقد من هذه العولمة، مع ضرورة التعامل معها.

ولكنه أراد أن يطرح شيئا يتعلق بالتعامل مع العولمة والحداثة إن جاز التعبير، وهو: هل يمكن أن نبدع نموذجا خاصا بنا، منطلقا من ثقافتنا؟ هل يمكن أن نتعامل دون أن يكون فرض الهيمنة التى تفرضها العولمة الآن، قدَرا على الإنسان، وقدَرا على المجتمعات؟

ويرى **الدكتور حسن** أن لنا تجربة التاريخ دليلا على ذلك، كما نرى فى تجربة اليابان، حيث استطاعت اليابان أن تتعامل، وأن تبدع النموذج اليابانى، الذى تعامل مع آليات الحداثة والعولمة، دون أن تتغرب إلى حد كبير.. وأصبح هذا النموذج نموذجا مطروحا الآن. والسؤال الذى يطرحه **الدكتور حسن** هو: هل يمكن أن نبدع نموذجا حضاريا، ينطلق من أصالتنا، ويتعامل - أيضا - مع العولمة، هذا التعامل البناء، أم أنه قدر على المجتمعات النامية أن تحذو حذو المجتمعات المتعولمة والمعولَمة؟

إن قضية صدام الحضارات - يقول **الدكتور حسن** - قضية واردة، ولكن يرى قضية الحوار قضية شائكة، لأنه حوار مع المهيمن.. حوار مع الذى ينمط.. حوار الغالب القوى، ودائما الحضارات الغالبة لا تقبل أبدا أن تأخذ من الحضارات المغلوبة، وإنما تفرض عليها الهيمنة، وتفرض عليها السيطرة.

وأخيرا، يرى **الدكتور حسن** أن دور التربية يجب أن يسعى إلى تحديث الثقافة، وإلى تحديث العقل العربى، فالقضية تحتاج إلى أن ننمّى الإبداع، وننمّى التحديث- تحديث العقل العربى، إذا اعتبرنا أن العقل هو جملة المبادئ والقواعد التى يكتسبها من ثقافته، ويتعامل بها مع هذه الثقافة، وأن العقل يفكر بثقافته وفى ثقافته.. إذا اعتبرنا

---

(١) من تعقيب الأستاذ الدكتور حسن عبد العال، أستاذ أصول التربية، ووكيل كلية التربية جامعة طنطا -مصر.

ذلك، فإنه يمكن للتربية أن يكون لها فعل، وأن يكون لهـا عمل، فالتربية قادرة على ذلك، وقُدراتها تنطلق من أن التربية تتعـامل مع الإنسان، والإنسان صانع التحديث، وصانع التغيير، ومن ثم فأنا أعتقد أن دور التربية مهم، وخاصة التربية الإبداعية، التى تجعل العقل يركب أجنحـة الخيال، وينطلق للجديد، ويرتاد الآفاق المجـهولة، ويترك الجمود، ويترك التخلُّف، وينطلق للأصالة، التى تشجع كل هذه القيم.

٤-٣-٣- ليس فى التاريخ حتمية إلا عند الماركسيين [(١)]:

ثم عقب الدكتور حامد عمار على ما قيل من حتمية تاريخية، فقال إنه ليست هناك حتمية فى التاريخ، وإنما الحتمية موجودة فى الماركسية وحدها، وليس فى التاريخ حتميـة، وليس فى تاريخ البشر والمجتمعـات البشرية قدَر مقدور، حتـى فى الطبيعة، فقد بدأ الإنســان يتعامل مع الطبيعـة ويتناولها بالبحث والدراسة، ويرصـد ما بها من قوانين تسيّر حركتها.

٤-٣-٤- لابد أن نحافظ على ثوابتنا الثقافية، مع الاستفادة من خبرات غيرنا [(٢)]:

ثم عقب الدكتور صالح الراشـد، فقـال: إن الأديان السمـاوية لم تأت إلا لتـحرير الأرض، وإن الأديان أتت أسـاسا لكى توجـه الإنسان إلى الخـالق العظيم -سبحانه وتعالى- والخالق -سبحانه وتعالى- بيّن لنا أن الصراع شىء طبيعى فى الحياة، إذ إن هذا الصراع مفيد للحياة، بوصفها تفاعلا لصالح الحيـاة، كما نفهم من قوله -سبحانه وتعالى- ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ .. (٢٥١) ﴾ [البقرة].

كما قال الدكتـور صالح: إننا نحمـد الله -سبحانه وتعـالى- لأنه حررنا من الجمود الفكرى، وأمرنا بالتطلع إلى الأحسن، ومن ثم كـانت نصيحة الرسول الكريم ﷺ لهذه الأمة، بأن تتمسك بكتابها، وعندما رأى الرسول ﷺ عمر يأخذ صحيفة من التوراة، قال له: لو كان موسى بين ظهرانيكم، ما كان ليتردّد فى أن يتبعنى، ومن هنا بين الرسول الكريم ﷺ أن هذه الأمـة عليها أن تتمسك بهـذا الكتاب. إن معنى ذلك أننا ـ عند الدكتور صالح ـ مأمورون بالاستفادة من الخبرات والتجارب فى كل مكان،

---

(١) من تعقيب الأستاذ الدكتور حامد عمار، أستاذ أصول التربية بكلية التربية، جامعة عين شمس - القاهرة ـ مصر.

(٢) من تعقيب الدكتور صالح الراشد، المدرس بكلية التربية، جامعة الكويت ـ الكويت.

وهذا ما بينه المصطفى ﷺ حين قال: «الحكمة ضالة المؤمن». إن هناك ثوابت فى ثقافتنا، لابد من المحافظة عليها، وفى نفس الوقت لابد من أن نستفيد من خبرات الآخرين، ولاشك أن للتربية دورا كبيرا فى الاستفادة من التكنولوجيا والتقنيات، الموجودة فى البلاد المتقدمة.

٤-٣-٥-أين مدارسنا من العولمة؟[١]:

ثم انتقل التعقيب إلى الدكتور محمد الدمنهورى، الذى تحدث عن العولمة وتأثيرها على التربية، وتأثيرها على منظومة التعليم، سواء فى ذلك التعليم قبل الجامعى والتعليم الجامعى، من حيث مدخلات هذا التعليم وذاك. . سواء السادة أعضاء هيئة التدريس بالجامعة، وما يسمى بالكتاب الجامعى، والكتاب المدرسى والمقررات الدراسية والأنشطة المصاحبة لها، وغير ذلك من المدخلات، وتوظيفها، لأن المدرسة عبارة عن مصنع، وكذلك الكلية. . كلتاهما عبارة عن مصنع، يحول هذه المدخلات إلى مُخرجَات. . فكيف نطوّع مُدخَلاتنا كى تصبح مخرجات فى ظل العولمة، وفى ظل التحدّيات الكبيرة التى تواجهنا، من حيث الاقتصاد الحر، ومن حيث الجودة، ومن حيث إدارة الجودة الشاملة، بمعنى ألا يكون هناك معلم مهمّش، لا يتعدى دوره أن يكون هو الملقِّن، والتلميذ هو الملقَّن، وطريقه التدريس هى تلقين وحفظ وتكرار. نحن نريد المعلم المبدع - المعلم المبتكر - المعلم الذى يستطيع أن يغرس، ويُكسب طلابه وتلاميذه مهارات البحث، وكيفية التعامل مع الكمبيوتر، والتعامل مع المحمول، وكيف يستخدم التليفزيون فى البيت: أىّ البرامج يستمع إليها ويشاهدها، وكيف يستفيد من الثقافة فى الراديو؟ وكيف لا نهمل الثقافة الإسلامية مع ذلك، سواء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فالرسول -عليه الصلاة والسلام- هو المعلم الأول، وهو الذى قال: إنما بعثت معلما؟

٤-٣-٦- التعليم عندنا مسيّس[٢]:

انتقل التعقيب إلى الدكتور سمير بركات، الذى رأى أن التعليم عندنا مسيَّس، والثقافة مسيَّسة، والمعلم ملتزم بخطة دراسية معينة، وحتى أستاذ الجامعة ملتزم بمذكرة دراسية معينة، لا يخرج عنها، فكيف يمكن أن نطور المعلم؟ وكيف يمكن له أن يتعامل معها؟.

---

(١) من تعقيب الدكتور محمد الدمنهورى، المدرس بكلية التربية بالوادى الجديد، جامعة أسيوط - مصر

(٢) من تعقيب الدكتور سمير بركات، الأستاذ المساعد بمعهد الدراسات التربوية، جامعة القاهرة - مصر

وقد أشار الدكتور سمير إلى أن هناك أشياء مفروضة علينا، فمصر احتفلت فى العام الماضى - عام ١٩٩٨ - باحتلال مصر من قبل الحملة الفرنسية، فكانت هناك احتفالية كبيرة تحت عنوان (مصر - فرنسا: آفاق مشتركة)، وهناك مثقفون كثيرون جدا كتبوا فى الصحف، وهاجموا الوزير، فرد الوزير وقال: إن هذا ليس قرارى، ولكنه قرار سياسى.. بينما كان المفروض أن نحتفل العام القادم - عام ٢٠٠١ - بمرور ٢٠٠ سنة على جلاء الحملة الفرنسية.

٤-٣-٧- المطلوب هو أن يتغير مجتمعنا، كما تغير اليابانيون[١]:

ثم انتقل التعقيب إلى الدكتور السيد محمد ناس، الذى لام على الدكتور وجيه خوفه على المجتمع المصرى من العولمة، وتداعياتها وانعكاساتها على المجتمع، وتساءل: لِمَ الخوف لهذه الدرجة؟ إن العولمة ليست شرا إلى هذا الحد حتى نتحاشاها فى مصر، ففى مفهومنا نحن للعولمة، نجد أن هناك فريقين، فثمة فريق ينظر إلى العولمة على أنها تحرر اقتصادى، وتحرر تجارى، وتحرر سياسى، وثمة فريق آخر ينظر إليها على أنها تعنى فرض ثقافة معينة.. وهنا بدأت تظهر المشكلة بيننا نحن كباحثين، فأين نحن من هذه الأفكار والتوجهات؟

لقد كان اليابانيون أكثر استفادة من الغرب فى تطوير مجتمعهم، ولم تتأثر ثقافتهم كثيرا.

إن هناك خوفا على ثقافتنا وعلى إسلامنا.. وأنا مع هذا الكلام ١٠٠٪، مع أن الإسلام لا يمنع العلم أبدا، بل إنه يحثّ عليه، كما أن الإسلام لا يأمرنا بأن نبعد عن الآخرين، فالرسول ﷺ قال: «اطلبوا العلم ولو فى الصين».

إن الإسلام حثّنا على العلم، وعلى طلب المعرفة، ومعنى ذلك أن المطلوب هو أن يتغير مجتمعنا، كما تغير اليابانيون.

٤-٣-٨- أين النموذج العربى فى التربية؟[٢]:

ثم جاء دور الدكتور أحمد نجم الدين عيداروس، لنراه يقف عند مقولة الدكتور وجيه الصاوى بأن هناك ثقافة عالمية، وثقافة قومية، وثقافة محلية، وثقافة إقليمية.. وليقول: إنه قد تكون هناك ثقافة عالمية مشتركة فى بعض القيم الإنسانية،

(١) من تعقيب الدكتور السيد محمد ناس، مدرس التربية المقارنة بكلية التربية، جامعة الزقازيق - مصر.

(٢) من تعقيب الدكتور أحمد نجم الدين عيداروس، مدرس الإدارة التعليمية بكلية التربية، جامعة الزقازيق - مصر.

ولكن لكل بلد هوية، وهذه الهـوية تقع تحت مسمّى الثـقافة القـومية، وهذه الثقـافة القوميـة تنسحب تطبيقا على جـميع المحافظات، وإن كان هناك تحـيّز وتفرّد فى بعض العادات.

وثمة سـؤال يفرض نفسه على الدكتـور **أحمـد نجم الدين**، ويوجّهـه لكافة التـربويين، وبالأخص أهل المنصـة، وهو: أين النمـوذج العربى فـى التربيـة، الذى استطاع أن يغزو العالم؟ أين هو؟ وما مفرداته؟ .

٤-٣-٩- الإسلام استطاع احتواء شتى الثقافات[١]:

ثم عقب **أيمن عبد القادر عيسى** فقال: إنه يتفق مع **الدكتور وجيه الصاوى** فى أن ثقافتنا الإسلامية استطاعت فعلا أن تحوى جميع الثقافات، وضرب مثلا على ذلك **سلمان الفارسى، وصهيب، وبلال بن رباح** وغيرهم - فهم جميعا من ثقافات مختلفة، ولكن الإسـلام استطاع أن يحـتويهم، ولما حـفر **سلمان الـفارسى** الخندق المشـهور، حاولت كل جمـاعة أن تنسبه إليهـا، على أساس أنه من ثقافتهـا، وجاء الرسول ﷺ وقال: «سلمان منا آل البيت»، لأنه فارسى، وليس عربيا.

٤-٣-١٠- لنبدأ عمل قاعدة البيانات العربية[٢]:

ثم جاء دور الدكتـور **بيومى مـحمد ضـحاوى**، ليقف عند الجـزء الأخير من المحاضـرة، الذى يتعلق بإقامـة قاعدة بيانـات، ويقول: إنه يضع يده فى يد **الدكتور وجيـه الصاوى**؛ وذلك لأن قاعـدة البيانات ليس المطـلوب فيهـا هو البيانات العـربية وحدها، مع أنهـا هى الأساس الذى سننطلق مـنه، ومن ثم فإنه مطلوب من أسـتاذنا **بدر الدين على**، أن يتحمل هذه المسئـولية معنا، فترجمة الرصيـد العربى الموجود أمر مطلوب جدا، لأننا نقـرأ الكتب الأجنبية، الغثّ منهـا والسمين، ما دام مكتـوبا بلغة أجنبية. إن كل ما هو مكتوب باللغة الأجنبية يُعتبر مجهولا، ونحن نريد أن نفتح هذا المجهـول، فإذا استطاع كل منا - بطريقـته الخاصـة - أن يترجم بحثـا أو بحثين، وأن يرسل ما ترجمه إلى ERIC، وهى قاعدة بيانات متاحة للجميع، فى ظل التكنولوجيا المتاحة لنا الآن، فإننا نستطيع أن نخرج من العـزلة إلى العالم، والعالم هنا - كما ذكر

---

(١) من تعقيب **أيمن عبد القادر عيسى**، طالب الماجستير بقسم التربيـة المقارنة بتربية عين شمس بالقاهرة - مصر.

(٢) من تعقيب **الأستاذ الدكتور بيومى محمد ضحاوى**، أستاذ التربية بكلية التربية بالإسماعيلية، جامعة قناة السويس - مصر .

الزميل **الدكتور أحمد نجم** ـ يستطيع أن يبحث عن النموذج العربى، كما ذكر، ويجد هذا النموذج العربى، من كتب مكتوبة.

لقد سبقتنا إلى ذلك بلد كالهند، كما يعرف **الأستاذ الدكتور حامد عمار**، حيث نجد الفكر الهندى، بل ونجد الدراسات الإسلامية التى صدرت فى الهند، هى الأكثر ذيوعا، لأن اللغة الإنجليزية هى السائدة هناك، ومن ثم نُقل فكرهم إلى الغرب، فانتقل إليه ما يعرفه الهنود عن الحضارة الإسلامية، سواء كانوا شيعة أو سنة، مما يمثل العالم الإسلامى كله، ولكن هناك وجهات نظر متناقضة بطبيعة الحال.

ومن ثم فنحن فى حاجة إلى أن نضع أيدينا فى أيدى البعض الآخر، فى هذا المضمار، لتكوين قاعدة بيانات، ثم ترجمة هذه القاعدة للدول الأخرى، وهنا نستطيع أن نقول: إن ثقافتنا العربية صارت عالمية، وإننا نشارك فى العولمة.

٤-٣-١١- نحن نتعامل مع العولمة بمنطق الاستعلاء أو موقف الاستسلام أو موقف الاستلهام[1]:

ثم جاء دور **الدكتور محمد ماهر الجمال**، الذى رأى أن قضية العولمة قد أخذت اهتماما كبيرا جدا من المفكرين والباحثين الشرقيين عموما، والمصريين على وجه الخصوص، وإن المطلوب فعلا هو أن نفهم العولمة، حيث نجد ثلاثة مواقف فى التعامل مع العولمة، هى التعامل معها بمنطق الاستعلاء، أو بمنطق الاستسلام، أو بمنطق الاستلهام، وأعتقد أن المواقف الثلاثة متداخلة فى نموذج **الدكتور الصاوى**.

ثم انتقل **الدكتور محمد ماهر الجمال** إلى الجزئية الثانية، الخاصة بالتعددية الثقافية، ويخيل إليه أن لها بُعدين اثنين: البعد الأول يُقصد به التعددية الثقافية فى المجتمع الواحد، مثل المجتمع الأمريكى والسودان والاتحاد السوفييتى السابق.. وهكذا، ولكن الذى يهمنا هنا هو التعددية الثقافية التى قد ينظر إليها الغرب على أنها ثقافات أخرى، فالغرب ينظر إلينا على أننا ثقافة مشرقية، أو ثقافة عربية، أو ثقافة إسلامية.. مختلفة، ويخيل إلى أن ذلك حق يُراد به باطل، فالمفروض أننا نسلم بمبدأ التعددية الثقافية، بمعنى أننا نقبل الثقافة الغربية فى هذه الجزئية.. إننا نقبل الثقافة الغربية كما هى، ونتقبّلها، ولكن: هل نقبل هذه الثقافة الغربية تحت عنوان العولمة؟.

---

(١) من تعقيب الدكتور محمد ماهر الجمال، أستاذ مساعد أصول التربية بكلية التربية، جامعة حلوان ـ مصر.

إن من حقنا أن نقبل -أو نرفض- الجزئيات التى لا تتناسب مع ثقافتنا، ويجب أن نقبل هذا الاختلاف الثقافى بيننا وبين غيرنا.

٤-٣-١٢- لا خوف على مصر بالذات من العولمة[(١)]:

ثم جاء دور الدكتور محمد عبد السلام حامد ليختتم التعقيبات بقوله: إن معظم المتحدثين يركزون على الناحية السياسية، أكثر مما يركزون على الناحية التربوية، علما بأن الجمعية جمعية تربوية، وبأن المؤتمر أصلا يركز على نواحى تربوية، إما بالمفهوم الواسع للتربية، وإما بالتركيز على نظم التعليم بمفهومها الضيق.

ثم انتقل الدكتور محمد عبد السلام حامد إلى القول بأنه أحس بأن هناك خوفا علينا مما يسمى (العولمة) .. خشية أن نفقد هويتنا، وقال: إننا يجب ألا نتخوف، لسبب بسيط، وهو التجربة التاريخية لمصر، فقد غزا الإسكندر الأكبر مصر، ثم عبد الإسكندر الآلهة المصرية، وانتقلت الآلهة المصرية لتُعبد فى أثينا وبلاد اليونان. وكذلك دار الإنجليز فى فلك المصريين، كما دار الفرنسيون قبلهم، ولم نتفرنس كما تفرنَس غيرنا. لقد استطاع المصريون أن يصبحوا أقوياء بهويتهم وشخصيتهم.

إذن التاريخ يحدثنا بأنه لا خوف من النواحى السياسية إطلاقا.

وبالنسبة للناحية الدينية، يقول الله سبحانه: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ⑨ ﴾ [الحجر]، فالله -سبحانه- هو الذى يحفظ قرآنه ودينه، فيجب ألا نخافَ.

٤-٤- سادسا: وتعقيب المؤتمر على التعقيبات: لابد من تحقيق مفهوم التمرد والمقاومة فى تربيتنا لأبنائنا:

ثم عقب الدكتور حامد عمار بقوله: الحقيقة أن المحاضرة والتعقيبات تضم مجموعة كبيرة جدا من الأفكار:

أولا: العولمة أو الكوكبية ظاهرة موضوعية تاريخية، بمعنى أنها لم تأت فجأة، وإن كانوا قد قالوا لنا: إن هناك عولمة، بدايتها بعد أن انقسم العالم إلى قوتين، وضاعت القوة الشرعية، وانفرد السوق للمجتمع الرأسمالى، وقوته الأساسية أمريكا.. فما المجتمع الرأسمالى؟

إن الرأسمالية مشروعها الأساسى هو الربح، ومَزيد من الربح، بأى شكل من الأشكال، فلا حكم أخلاقيا فى استغلال العمال، وابتزازهم فى الداخل أو فى الخارج

(١) من تعقيب الأستاذ الدكتور محمد عبد السلام حامد، الأستاذ المتفرغ بكلية التربية، جامعة الأزهر بالقاهرة- مصر.

أو فى الدول الأخرى، لأن هناك شيئا اسمه آليّات السوق، ومعناها أن هذه الآليات معيارُها الأساسى أنك تكسب من خلال آليّات السوق، وأنك أنت الذى تحكم قضية العرض والطلب. وحين فشلت الشيوعية، فشلت بشموليتها، ولعدم إتاحة أى رأى أو حُكم، إلا ما يقول به الحزب الشيوعى، حتى فى داخل النطاق الضيق، حين يوجد أناس لهم أفكار معينة، فإنهم يحكمون عليهم، فيهربون إلى أمريكا.

لكن الرأسمالية - على الرغم من مساوئها فى قضايا الاستغلال، والربح بأى وسيلة من الوسائل - تميزت بشىء واحد، وهو الديمقراطية، فهى الميزة الوحيدة هناك، رغم المساوئ الاقتصادية والاجتماعية، فظل مفهوم الديمقراطية، والموازنات، وحرية الرأى، وحرية التجمع، وحرية المصالح.. ظل هذا هو الأساس، وظل هذا هو المفهوم الذى تنبثق منه عملية التعدد، فالتعدد لا يعنى تشتيتا (فركشة)، لأن التعدد يقوم - دائما - على أساس لحن واحد أساسى، مثلما نرى فى سيد درويش فى أغنية «زورونى كل سنة مرة»... هذا اللحن حصل عليه تنوع، فمن الناس مَن نوع هذا اللحن، ولكن اللحن الأساسى يظل كما هو. . إن التنوع طوَّر فى اللحن الأساسى.

وحين نتحدث عن ثقافتنا، فإننا نقول: إن الثقافة العربية أو الإسلامية مُعطى ثابت، متعين فى زمان معين، ومكان معين.

وإذا اتفقنا على أن الثقافة هى ما يصنعه الإنسان فى بيئته، وفى تسيير أمور معاشه، وفى علاقته بغيره، وفى علاقته بالخارج، فإننا يجب أن نقول: إن الثقافة هى أساسا من صنع الإنسان، وهو يتطور، ومن ثم تتطور ثقافته.

وحين نتحدث عن ثقافة عربية واحدة، فإنها ليست ثابتة من الأزل إلى الأبد، فالثقافة أيام الأمويين مُلك عضوض، بعد خلافة راشدة.

إن الثقافة نتاج لحركة الإنسان، وتعامُله مع الطبيعة، ومع غيره من البشر. وهذه الظاهرة متغيرة، لا يمكن أن نجمدها فى صورة واحدة، وبالتالى فى طبيعة هذه الثقافة.

إننا نواجه هذه الظاهرة التاريخية الموضوعية الآن، ولابد لنا أن ننظر إلى ثقافتنا الحالية. . إلى نوع الفكر، ونوع المعاملات، ونوع الممارسات، ونوع السياسات، ونوع السلطة، وعلاقة السلطة بالناس، وعلاقة الشرائح الاجتماعية ببعضها البعض. . كل ذلك أتصور أنه يتغير من فترة زمنية إلى فترة زمنية أخرى.

وعندما نقول: إن ظاهرة العولمة، التى كان من أهم مؤسّساتها فى الهيمنة الاقتصادية: البنك الدولى، وصندوق النقد الدولى، ومنظمة التجارة العالمية، إضافة إلى المؤسسات متعددة الجنسية، التى تملأ العالم من حولنا، والموجودة عندنا.. عندما نقول ذلك، فإنه يكون منطقيا أن تظهر ـ عالميا ـ مواجهة لهذه الهيمنة. ألم تسمعوا ما حدث فى سياتل، حيث قام المجتمع المدنى، وكل المتأذين من الهيمنة، بمظاهرات وإضرابات فى مختلف أنحاء العالم.. سياتل هذه ظاهرة مهمة جدا فى المقاومة، ومفهوم المقاومة، مفهوم مهم جدا، يجب أن نخلقه، ونولّده فى التعليم.

إننا يجب أن نحقق مفهوم التمرد والمقاومة، كما قال إريك فروم (التربية من أجل العصيان) Education for Disobedience . لقد تعلم هؤلاء القوم من الجو المحيط، ونحن فى حاجة إلى أن نواجه عنصر المقاومة والتمرد على السلطة، والسلطة ضاغطة على المواطن، على مختلف المستويات، بما فى ذلك المؤسسة التعليمية، بدءا من الكتاب إلى الامتحان، وهذه المفاهيم السلطوية التى تناقض مفهوم الديمقراطية، ومفهوم حرية الفكر وإعمال العقل.. هذه هى المشكلة الكبرى فى العولمة الآن.

إلى جانب حركة سياتل، هناك أفكار جديدة، تحاول أن تزعزع هذا المفهوم، وقد سمعنا وقرأنا ما قاله السيد ياسين عن (الطريق الثالث)، حيث نرى نوعا من الكفاءة الاقتصادية، إلى جانب العدل الاجتماعى.

لقد صرنا نقرأ الآن عما يسمّى القرية الكونية Global Village، حيث لا نجد هيمنة البنوك ولا الرأسمالية، وإنما نرى أن نبض الشارع العام هو الذى ينبغى أن يحكم مسيرة العالم، وهو الذى يعطى التصوّرات المجتمعية.

كل هذه الأمور سياسية واقتصادية، ولكن لها انعكاسات تربوية، بمعنى أنه لا يمكن أن يكون التعليم منفصلا عن هذه الأمور.

وأريد أن أقول: إن العولمة عندما تفرض نفسها .. لماذا نلومها؟

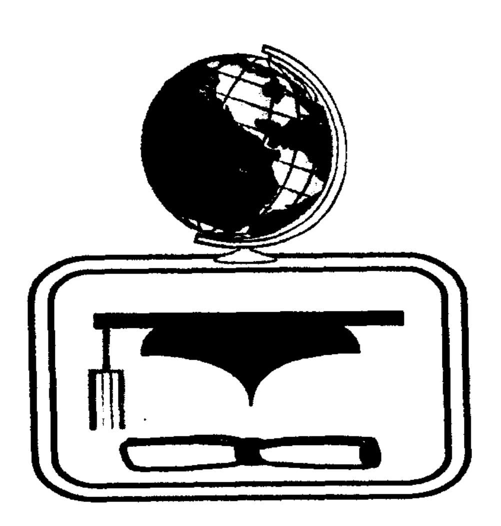
كيف نلوم إنسانا يستطيع - فى نظام رأسمالى ـ أن يستغلك، ويأخذ أحسن ما عندك لمصلحته؟

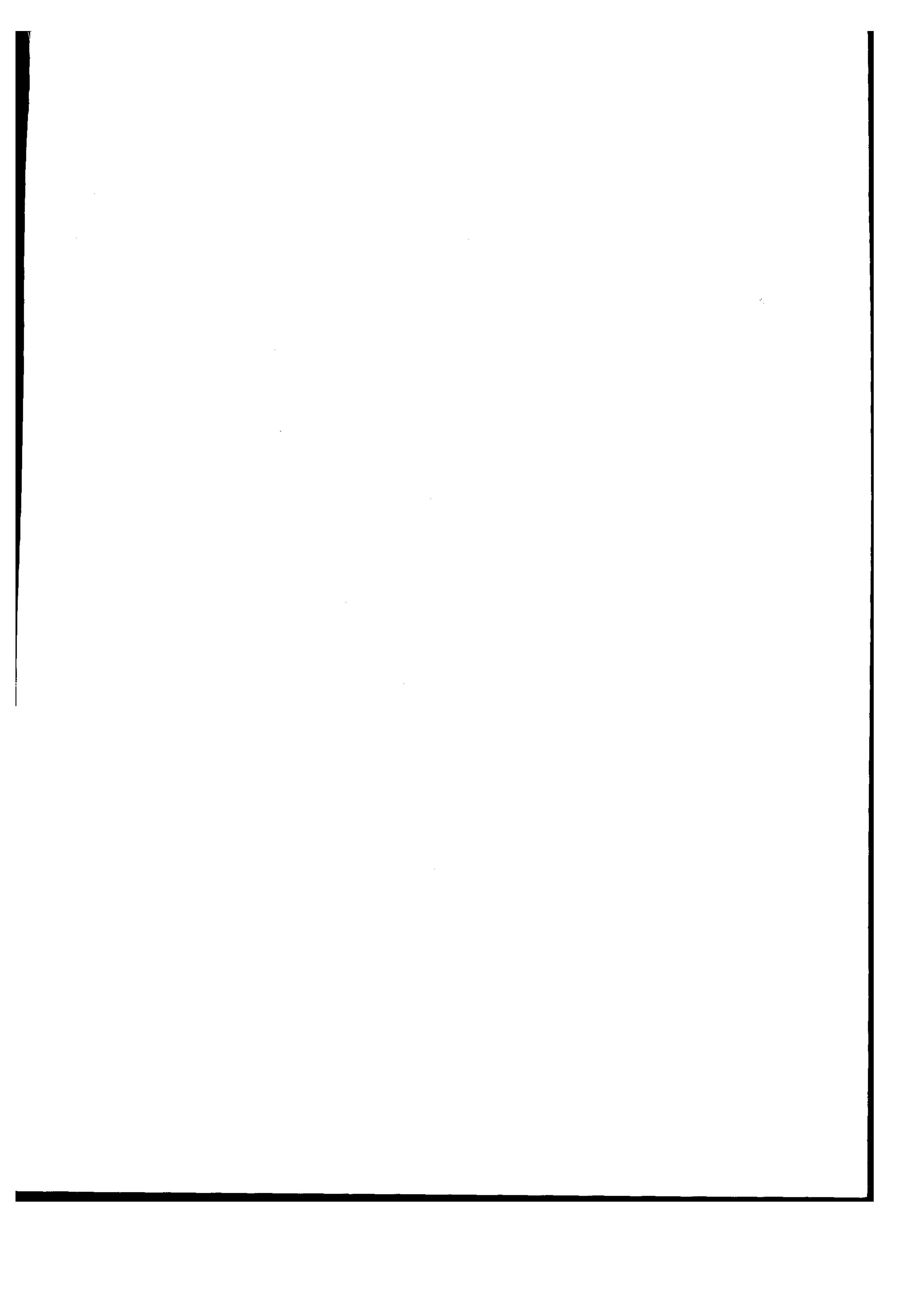
إن القضية الأساسية هى مسئوليتنا نحن، فى المحافظة على مصالحنا القومية الحقيقية، وفى مواجهة التحدّيات الخارجية.

٥

الفصل الخامس

سياسة التعليم
والتعددية الثقافية فى
الألفية الثالثة





الفصل الخامس
سياسة التعليم والتعددية الثقافية فى الألفية الثالثة[1]

تقديم المحاضرة: فرق بين تربية الإنسان وتربية الحيوان[2]:

٥-١- بدأ الأستاذ الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار تقديمه للأستاذة الدكتورة منى أبو سنه ومحاضرتها بقوله بعد حمد الله سبحانه:

إن الفرق بين الإنسان والحيوان هو أن للإنسان فكرا، والفكر معناه أن يتوصل الإنسان بواسطة المعلوم إلى المجهول، فيعلم الإنسان شيئا، فيرتبه بطريقة مخصوصة، وبهذه الطريقة يستطيع أن يصل إلى أمر مجهول ... هذا الأمر المجهول يصبح معلوما، يرتبه الإنسان مرة أخرى، ليصل به إلى مجهول آخر.

وهكذا يرتقى الإنسان، بخلاف غيره من الحيوانات، فإن الله -سبحانه وتعالى- خلق كل حيوان وحدّد له: كيف يعيش؟ فالنحل له طريقة مخصوصة فى بناء عشه، والثعلب له طريقة مخصوصة فى حفر جحره. . وهكذا، من أول الحياة إلى آخرها.

الحيوان لا يرتقى، وعلى فرض أننا علّمنا بعض الحيوانات، فإنها لا تستطيع أن تعلم أبناءها، بل يجب أن نعلم نحن هؤلاء الأبناء من جديد.

وإذا كان الإنسان فكرا، فإن السابقين هم الذين يصنعون أفكار الذين يأتون بعدهم، وهذا فى العموم.

فإذا جئنا إلى كليات التربية، فإننا نجد أن عملها هو التعليم، ومعنى ذلك أنها تصنع الإنسان من جديد. ومن حسن الحظ أن الدكتورة منى هى التى تتكلم فى هذه الجلسة، وهى تمثل الأم الفكرية. . الأم التى تلد الطفل، والإنسان دائما له شخصيتان: شخصية رضعها مع لبن أمه، وشخصية أخرى ثقافية، تأتى بعد ذلك، حيث يتصرف الإنسان بالطريقة التى تعلّمها، ولكن شخصية الأم - فى الحقيقة - هى التى تؤثر فيه، من أول الحياة إلى آخرها، فهى صانعة الطفل فكرا وسلوكا، وعلى

---

(١) محاضرة الأستاذة الدكتورة منى أبو سنة، رئيس قسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية، جامعة عين شمس، ومدير مركز تطوير تدريب اللغة الإنجليزية بها، ظُهر يوم الأحد ٢٣/ ١/ ٢٠٠٠م.

(٢) من تقديم الأستاذ الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار ، الأستاذ بكلية أصول الدين، جامعة الأزهر، للمحاضرة.

هذا الأساس يكرمهـا الله -سبحانه وتعالى- أكثـر من الأب، حيث نرى الرسول ﷺ يقول: «أمك، ثم أمك، ثم أمك».

إنهم كثيرا ما يشغلوننا بمعركة بين الرجل والمرأة، والحقيقة أنها معركة لا أعرف من أين بدأت، وإلى أين ستنتهى؟ فـأنا شخصيا ـ بعـد هذه الحياة ـ أرى أن المرأة تحل مشاكلها بطريق واحـد: إذا كان عندها طفلان، فلتعتبر زوجـها الطفل الثالث، وعلى هذا الأساس تبنى حياتها، وتربيه علـى هذا الأساس، وكما تتحمل من الابن كل هذه المشاكل، فلتـتحمل من الزوج هـذا أيضا، لنجد أسـرة مسلمة حـقيقـية، ترعى الله سبحـانه وتعالى، فيكون ذلك خيـرا لها فى الحياة الدنيـا وفى الآخرة، ولا داعى أبدا لهذه المعركة الطويلة، التى لا طائل بعدها إلا تخريب البيوت.

٥-٢- محاضرة الأستاذة الدكتورة منى أبو سنه:

٥-٢-١- عنوان المحاضرة مشتق من عنوان المؤتمر ذاته:

عنوان هذا البـحث مـشـتق من عنوان المؤتمر، وهو عنـوان ينطوى على ثلاث قضايا، وهذه القضايا ـ بدورها ـ تنطوى على ثلاثة مفاهيم:

القضية الأولى: هى التربية كمفهوم، وما تفرزه من نظام ـ أو نسق ـ تعليمى.

والقضية الثانية: وهى القضية المحورية التى تـدور عليهـا أعمـال مؤتمرنا. . هى التعددية الثقافية، بما تشتمل عليه من مـفاهيم متنوعة عن الثقافة، قد تُفضى ـ وقد لا تُفضى ـ إلى تحقيق مبدأ التعددية.

أما القضيـة الثالثة: فهى الألفية الثـالثة كمفهوم، وكواقع مستـقبلى، لم يتحدد بعد، ولكنه فى سبيله إلى التحديد.

٥-٢-٢- نبدأ بمفهوم الثقافة، وما يتصل به من مفاهيم:

وحيث إن القـضية المحـورية فى هذا المؤتمر هى قضـية التعـددية الثقافـية، فى علاقتـها بالتربية ونـظام التعليم، فإنه من المنطقى أن أبدأ بتناول مـفهوم الثقـافة، وما يرتبط به من مفاهيم مشتقة منه، مثل الهوية الثقافية والهوية القومية.

يعرف جون لوك John Locke الهوية فى كتابه (**رسالة فى الفهم الإنسانى**)، فيقول: «إن الوعى ملازم دائما للتفكيـر، وفى هذا ـ وحده ـ تكمن الهوية الشخصية، بمعنى أنها تكمن فى نفس الكائن العاقل ذاته».

ويعرف ت.س.إليوت T.S.Eliot الثقافة فى كتاب (نحو تعريف الثقافة:١٩٤٨) Notes Towards The Definition of Culture بربطها، أو بالأدقّ، بردّها إلى الدين، فيقول: لا يمكن أن تظهر أية ثقافة أو تنمو، إلا وهى متصلة بالدين، ثم يضيف: «فإن نمو الثقافة، ونمو الدين فى مجتمع، لا تؤثر فيه عوامل خارجية. إنهما أمران لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر».

ثم يتساءل إليوت: «أليس ما نسمّيه ثقافة شعب ما، ودين هذا الشعب، إلا مظهرين مختلفين لشىء واحد؟».

ويختتم إليوت تعريفه للثقافة بقوله : «إن الثقافة - فى جوهرها - تجسيد لدين الشعب».

وعلى الضد من هذا المفهوم، كان ماثيو أرنولد Matthew Arnold، غريم ت.س. إليوت الفكرى، فقد اعتبر أرنولد الثقافة أعمّ وأشمل من الدين، واعتبر الدين أحد مكونات ثقافة شعب ما، أو مجتمع ما.

وأيا كان الأمر، فقد كان هذان المفهومان عن الثقافة، هما السائدين فى منتصف القرن العشرين، وبالتحديد فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. وتتسم هذه الحقبة التاريخية بسمتين: الأولى أنها تنتمى إلى ما يسمى بالموجة الثانية، على حد تعبير آلفين توفلرAlvin Toffler «رائد علوم المستقبل، والتى قصد بها المجتمع الصناعى، بشقيه الرأسمالى والاشتراكى».

هذا من الزاوية الاقتصادية الاجتماعية.

أما السمة الثانية، فهى تعبّر عن البعد السياسى لهذه الحقبة التاريخية - أى حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وأعنى بها حقبة الحرب الباردة، وما صاحبها من انقسام العالم إلى معسكرين أيديولوجيين متناقضين.

ففى حقبة الحرب الباردة، ازدهر مفهوم الهوية الثقافية، باعتبارها الوعى الفردى والجمعى، الذى يلازم العقيدة الدينية لدى شعب ما. وقد حرص كل من المعسكرين المتناحرين على تقوية هذا المفهوم لدى شعوب ما أطلق عليه اسم (العالم الثالث)، من أجل استخدام هذه الشعوب فى الصراع على امتلاك القوة، أثناء فترة الحرب الباردة.

والسؤال الآن: ماذا بعد انقضاء حقبة الحرب الباردة. . بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، وانفراد العالم الرأسمالى بالقوة، سواء تمثلت هذه القوة فى الولايات المتحدة الأمريكية، أو فى دول أوربا الموحدة؟

٥-٢-٣- الهوية فى مجتمع المعرفة:

لقد شهد الثلث الأخير من القرن العشرين، بزوغ ما يسميه **توفلر بالموجة الثالثة** The Third Wave، وهو ما يطلق عليه بيتر برجر Peter Berger، عالم الاجتماع الأمريكى، **مجتمع ما بعد الصناعى** Post- Industrial Society، أو ما سماه بيتر دركر Peter Drucker، عالم الإدارة الحديثة، **مجتمع المعرفة** Knowledge So- ciety. وأيا كانت التسمية، فهذا المجتمع هو المحصلة الطبيعية للثورة العلمية والتكنولوجية، التى حدثت فى النصف الثانى من القرن العشرين، وأنتجت مجتمع التكنولوجيا المتقدمة.

ويقوم هذا المجتمع الجديد على منتجات الثورة العلمية والتكنولوجية، التى أفرزها القرن العشرون فى العقد الأخير من الألفية الثانية، وهى على النحو التالى: انفجار المعرفة، وثورة الاتصالات، المتجسدة فى تكنولوجيا الكمبيوتر والإنترنت.

وهذا الانفجار فى المعرفة، الذى أفرز الطفرة الهائلة فى تكنولوجيا الاتصالات، مردود إلى ظاهرة الإبداع، باعتبارها «قدرة العقل الإنسانى على تكوين علاقات جديدة، من أجل تغيير الواقع»، على حد تعبير مراد وهبه للإبداع (**منفستو الإبداع فى التعليم**، دار قباء، ٢٠٠٠م).

وفى تقديرى أن العقد الأول من الألفية الثالثة، سيشهد الترجمة الحرفية لهذا التعريف، فى كل مجالات النشاط الإنسانى.

٥-٢-٤- القرن القادم قرن حضارة الوعى التكنولوجى:

ومن أجل توضيح هذه العبارة، ينبغى أولا فهم أسلوب إنتاج المعرفة الجديدة، وهو أسلوب الإنتاج الذى سيسود فى الألفية الثالثة.. ووسيلة الإنتاج هى المعرفة الجديدة، وهذا الأسلوب سيحلّ محلّ أسلوب الإنتاج الذى ساد فى المجتمع الصناعى وما بعد الصناعى فى الألفية الثانية، والذى كانت وسائل إنتاجه هى : رأس المال، والأرصدة، والعمل.

والسؤال الـذى يفرض نفـسه هو : ما نـوع الهوية التى سـتسـود فى مجتـمع المعرفة؟

وإذا كانت الهوية مـرتبطة بالوعى، على حد تعريف جون لوك John Locke للهوية، فالسؤال الأكثر تحديدا هو: ما هى طبيعة الوعى فى مجتمع المعرفة؟

يقول جيـروم جلن Gerome Glenn، أحد روّاد علوم المسـتقبل، فى كـتابه المعنون (عقل المسـتقبل) : «إن ثمة اتفاقـا غير واع بين شعوب الدول الصناعـية حول تصور المستقبل».

ويدور هذا التصور على أن الـبشر سيكونون فى حالة تكامل مع الـتكنولوجيا، كما ستكون التكنولوجيا فى حـالة تكامل مع الوعى الإنسانى. ومغزى هذا التصور أن الفواصل بين ما هو إنسانى وما هو آلى، سوف تضعف، وربما تزول تماما.

وعندما يتحقق هذا فى القرن الواحد والعشرين، سيبزغ عصر النهضة العالمى، الذى يمكننا أن نطلق علـيه حـضارة الوعـى التكنولوجى Technology Conscious Civilisation.

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو: هل سـيُفضى هذا الوعى التكنولوجى إلى الهوية التكنولوجية؟ وهل ستحلّ هذه الهوية التكنولوجية محل الهويات الثقافية؟

للإجابة عن هذا السؤال، ينبغى ـ أولا ـ التعرُّف على السـمة الأساسية لمجتمع المعـرفـة، الذى سـيـسـود فى عـالم فـضـاء المعلومـات أو Cyper- Age العـصـر السيبرنطيقى.

إن مجتمع المعـرفة الذى تفرزه وتغذيه تكنولوجيـا فضـاء المعلومات Cyber - Technology أو (التكنولوجيا السيبرنطيقية)، هو السمة البارزة لعصر الكوكبية Glo- balization. وتتميـز هذه الظاهرة التاريخية (الـكوكبية) بالطابع الاقـتصادى والمالى، بمعنى أنها تسعى إلى تحقيق التكافل بين شعوب وثقافات العالم، من خلال الاقتصاد. ووسيلة تحقيق هذا التكافل والهدف منه، فى الوقت نفـسه، هو بزوغ مجتمع المعرفة، الذى سيسود فى (حضـارة الوعى التكنولوجى)، والذى سيُفـرز ـ فى نهاية المطاف ـ الهوية الكوكبية Global Identity، والتى يمكن أن نطلق عليها الهوية السيبـرنطيقية Cyber Identity.

ومن أجل توضيح هذه النقطة، أشير إلى أحدث كتاب من تأليف **آلفن توفلر**، وهو كتاب بعنوان (**تحول القوة**) **Power Shift**، الذى صدر عام ١٩٩٢، حيث يقول **توفلر** فى الفصل المعنون (القاهر المتشرذم) **The Disperser Oppressor**: إن تحرير المال قد شجع على نمو حوالى ستمائة شركة عملاقة، كان يطلق عليها (الشركات متعددة القوميات). وتشكل هذه الشركات الآن حوالى خمس القيمة المضافة فى مجال الإنتاج الزراعى والصناعى فى العالم. إن مصطلح (متعدد القوميات) قد أصبح عتيقا، لا يناسب هذا الزمان، لأن الشركات العملاقة هى - فى جوهرها - شركات لا قومية.

وحتى وقت قريب، كانت هذه الشركات التى تجوب أنحاء كوكب الأرض، تنتمى إلى دولة بعينها، والمثال على ذلك شركة IBM، التى كانت - إلى عهد قريب - شركة أمريكية خالصة. ولكن فى إطار النظام الجديد لخلق الثروة من خلال التعاون مع شركات أخرى من مختلف بلدان العالم، نشأ ما يسمى **بالتحالفات الكوكبية Global Alliances**. ومن العسير تحديد الهوية القومية لهذه الشركات أو التكتلات، فمثلا ٢٥٪ من أسهم شركة مازدا Mazda، وتقوم شركة هوندا Honda اليابانية بتصنيع سياراتها فى الولايات المتحدة الأمريكية، ثم تشحنها إلى اليابان. وشركة جنرال موتورز General Motors تعتبر أكبر مالك للأسهم فى شركة إيسوزو Isuzu اليابانية. ثم يتساءل **توفلر**: «إلى أى قومية ينتمى كارت الفيزا الدولى؟»، ويجيب: «إن مقرها الرئيسى قد يكون فى الولايات المتحدة الأمريكية، ولكنها تتكون من ملاك أسهم وسندات، يصل عددها إلى ٢١ ألف مؤسسة مالية، فى ١٨٧ دولة ومنطقة. أما مجلس إدارتها والمجالس الإقليمية، فتقوم بدور هام، لمنع أية قومية منها من امتلاك ٥١٪ من الأصوات».

٥-٢-٥- التعليم المنشود للهوية الكوكبية هو التعليم الذى يُنتج عمّال المعرفة:

والسؤال الذى أود أن أختتم به هو: ما هو نسق التعليم المنشود لتحقيق الهوية المستقبلية.. أى الهوية السيبرنطيقية؟ أو بعبارة أدق: ما هى الخصائص الذهنية المؤهلة لممارسة الإبداع، بمعنى القدرة على إنتاج معرفة قادرة على تغير العالم وقيادته؟ وأى نوع من التعليم قادر على تنمية وتدريب مثل هذه الذهنية المبدعة المطلوبة فى الألفية الثالثة؟ وما هو نظام التعليم الذى سينتج عُمال المستقبل.. أى عمّال المعرفة Knowledge Workers؟

إن عُمَّال المعرفة هم الذين سيُنتجون المعـرفة الجديدة، التى ستحدد ميزان القوة فى عالم الغد القريب. . وهذه العمالة الجـديدة تعمل طبقا لأسلوب إنتاج جديد، هو الإبداع. . أما وسائل الإنتاج فهى الكمبيوتر والإنترنت.

٥-٣- تعقيبات الحضور:

٥-٣-١- ما التعريف الحقيقى للثقافة؟[١]:

بدأ عنتر **أحـمد عبـد العال** التعـقيبات على مـحاضرة **الدكتـورة منى أبو سنه** بقوله: إن الدكتورة منى عرفت الثقافة تعـريفين، ردتها - فى أولهما - إلى الدين، ثم تساءل - فى الثانى: هل الدين هو المكون الثقافى الوحيد؟ ومن ثم يرى أنها لم تعرّف لنا الثقافـة، ولم تقل: هل هى تراث حضارى؟ هل هى تراث اجتـماعى؟ هل هى ما أنتـجـه الإنسان بـيده أو بعـقله؟ هل هى ذلـك النسيـج الكلى المتكامل من العـادات والتقاليد والقيم والأخلاق والمبادئ والعرف والقانون. . وما إلى ذلك؟

٥-٣-٢- هناك تهرّب من مواجهة التعددية الثقافية فى مصر[٢]:

ثم انتقل التـعقيب إلى **الدكتـور بدر الدين على**، الذى يرى أن **الدكتـورة منى** ركزت - فى أمـثلتها - على النمـوذج الاقتصـادى، وعلى الأسلوب التكنولوجى، فى تحقيق تلك العـولمة الاقتصادية، فيـما يتعلق بالكمبـيوتر والإنترنت... إلخ، وقال: إنه يعتـقد أن هناك فجـوة، ليست فى محـاضرة **الدكتـورة منى** فحـسب، بل فى معظم المحاضرات التى سمعناها بالأمس واليوم، حيث يرى - من وجهة نظره - أن هناك شبه تهرب من واقع التعددية الثقافية فى المجتمع المصرى، الذى هو أهم شىء بالنسبة لنا، خصـوصا عندمـا نتكلم عن السيـاسـة التعليـميـة، أو إعداد أذهان الصـغار للحـياة المستقبلية.

وقال **الدكتور بدر الدين**: إن التعددية الثقافية - فى المجتمع المصرى - من وجهة نظره - لا تمثل الثقافات الفرعية التى نسميها Subcultures، فهناك التعددية الدينية لا شك فى ذلك. . ولها مشاكلهـا، ولها صراعاتها، ولها مقاومـتها، ولكن هناك أيضا تعددية نسـتطيع أن تسميهـا (إقليمية)، بالمعـنى الجغرافى، وبالمعنى الثقـافى الفرعى،

(١) من تعقيب عنتر أحمد عبدالعال، المدرس المساعد بكلية التربية بسوهاج، جامعة جنوب الوادى -مصر.
(٢) من تعقيب الأستاذ الدكتور بدر الدين على، أستاذ علم الاجتماع بجامعة لويزفيل بالولايات المتحدة الأمريكية.

فعندنا صعايدة فى صعيد مصر، وعندنا (بَحارْوة) من أهل الدلتا . . أى أن عندنا فكرا صعيديا، وفكرا حضريا، وفكرا قاهريا، وهذه - فى اعتقاده - تعتبر تعددية داخلية. وختم الدكتور بدر بقوله: إن الأخبار ساخنة فيما يتعلق بالصراعات فى قرية الكُشح، ولكن الذى يراه من الأجهزة المسئولة - فى الوقت نفسه - هو أنهم ما زالوا يستخدمون أسلوب التسكين، ولا أريد أن أقول أسلوب التخدير، وأنه يرجو من المؤتمرات العلمية والمؤتمرات الثقافية، التى تتسم بشىء من المجابهة والصراحة والحوار الحر المفيد. . أن تتناول تلك الموضوعات بشكل إيجابى، وخاصة فيما يتعلق بالسياسة التعليمية، وبناء العقل المصرى.

٥-٣-٣- التبايُن الثقافى بين الأمم إثراء للوجود الإنسانى(١):

ثم انتقل التعقيب إلى الدكتور إبراهيم عيد، الذى تساءل : هل الاستقطاب الأيديولوجى الذى كان قائما قبل انهيار حائط برلين سنة ١٩٨٩، وأعقبه انهيار الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى، واندلاع الثورة فى أوربا ووسط أوربا، مطالبة بالحرية والديمقراطية والمساواة . . هل تبع كل هذا وجود نزعة نحو العرقيات، ونحو التنازعات الثقافية، فى أنحاء شتى من العالم. . أم لا؟

ثم انتقل الدكتور إبراهيم إلى تساؤله الثانى :

هل نقول الانفجار المعرفى ، أم الأفضل التفجُّر المعرفى ؟ إن التفجر المعرفى له طابع التواصل والاستمرارية، بينما الانفجار يعنى كما لو أن شيئا كان قد حدث فجأة.

ثم توجه الدكتور إبراهيم إلى تساؤل ثالث وأخير عن التباين الثقافى بين الأمم، أو التباين العرقى، هو: أليس فى هذا إثراء للوجود الإنسانى، وفرصة تقديم خبرة مبدعة، من خلال الالتقاء الثقافى، وليس الصراع الثقافى أو الحضارى؟

٥-٣-٤- الثقافة العالمية تثريها التعددية الثقافية(٢):

ثم يجىء دور الدكتور حسن عبد العال، ليعلن أنه لم يفهم أشياء كثيرة من محاضرة الدكتورة منى، ويعود باللائمة فى ذلك على عقله، وليس على محاضرة

(١) من تعقيب الدكتور إبراهيم عيد، أستاذ الصحة النفسية المساعد بكلية التربية، جامعة عين شمس بالقاهرة - مصر .

(٢) من تعقيب الدكتور حسن عبد العال، أستاذ أصول التربية، ووكيل كلية التربية، جامعة طنطا - مصر.

الأستاذة الدكتورة منى أبو سنه، فالذى فهمه أن هناك ثقافة عالمية ستسود، وأن هذه الثقافة ستُنسخ أو ستُنسخ فيها الهويات الثقافية، وأنه لا تميّز ثقافى ولا تعددية ثقافية، وأن هذه الثقافة العالمية ستملى على المجتمعات المختلفة، والثقافات المختلفة، معطَياتها، رضيت هذه المجتمعات أم لم ترض. ويرى الدكتور حسن أن الواقع ودراسة التاريخ يؤكدان خلاف ذلك تماما، فهناك تعددية ثقافية، وهناك تمايز ثقافى، فإذا سلمت بأن الثقافة هى وليدة معطى محلى ومعطى تاريخى، وأن الثقافة - فى أساسها - هى إجابة على مشكلات يثيرها التاريخ، ويثيرها الواقع المحلى، وأن قدرة هذه الثقافة على الاستجابة لحل هذه المشكلات، هى التى تمنحها هذا التميُّز.. فإن الثقافة العالمية ليست جديدة، ولكن الجديد فيها أنها ثقافة تكنولوجية، ومعنى ذلك أن الثقافة العالمية موجودة، وأن التعددية الثقافية تثرى هذه الثقافة العالمية، لأن الثقافة العالمية تمثل وجهة نظر متواضعة، للمشترك الإنسانى العام، الذى يجب أن يكون له معطى فى كل ثقافة.

إن الثقافة العالمية - يقول الدكتور حسن - هى نتاج كل هذه الثقافات، فعندما نتكلم عن الحضارة الأوربية، أقول إنها ليست من صنع أوربا فقط، وإنما إسهام المسلمين فيها وارد، وكذا إسهام الهندوس واليابانيين وغيرهم.

٥-٣-٥- الإنسان لا يمكن أن يكون حيوانا أبدا[(١)]:

ثم ننتقل إلى تعقيب الدكتور سمير بركات، الذى يدور حول تعريف الثقافة، وتحديد علاقتها بالدين، ويرى من أشمل التعريفات للثقافة أنها هى الكل المعقد المتداخل المتشابك، من العادات والتقاليد والأعراف، وما إلى ذلك، وأن بعض التعريفات يضع معها الدين، وأن هذا التعريف فى رأيه خاطئ، لأن المفترض أن الدين هو الإطار الذى تعيش بداخله الثقافة، فهو الذى يحكم على العادات والقيم والتقاليد والسلوكيات، أو كما قال رسولنا الكريم ﷺ: «تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به، لن تضلوا بعدى أبدا»، وذلك فى خطبة الوداع. وهذا الضلال الذى نعيش فيه، راجع إلى أننا تركنا ما تمسك به المصطفى ﷺ.. فالدين ليس مكونا ثقافيا، ولكنه معيار صلاحية الثقافة.

الأمر الثانى الذى أشار إليه الدكتور سمير، يتعلق بكلمة (حيوان)، فهذه الكلمة فى القرآن الكريم ليست خاصة بالإنسان، ولكنها - وكما قال الشيخ الشعراوى

(١) من تعقيب الدكتور سمير بركات، الأستاذ المساعد بمعهد الدراسات التربوية - جامعة القاهرة - مصر.

رحمة الله عليه ـ صيغة مبالغة من حياة . إن الحياة التى نحياها ليست هى الحياة الكاملة، ولكن الحياة الكاملة فى الآخرة ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ... ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت] . . والدار الآخرة حياة مختلفة، ليس فيها عَرَق ولا إخراج أو تعب . . إنها حياة أخرى.

إن الحق سبحانه وتعالى يقول فى سورة البقرة: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً .. ﴿٣٠﴾﴾ صدق الله العظيم. ولا يمكن أن يكون خليفة الله حيوانا بأى حال من الأحوال، لأنه سبحانه يقول فى كتابه الكريم: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ .. ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء] صدق الله العظيم. ولا يمكن تكريم بنى آدم بأن يكون الإنسان مجرد حيوان ناطق، فالإنسان إنسان، والحيوان حيوان، ولا جدال فى هذا.

٥-٣-٦- الإبداع لا يعمل إلا ضمن منظومة رباعية[(١)]:

ثم جاء دور الدكتور **إميل فهمى**، الذى أشار إلى ما يسمى برباعية المستقبل، وهى الكوكبية ـ والعولمة ـ والاعتماد المتبادل ـ والإبداع، حيث لاحظ فى المحاضرة أنها تركز على الإبداع، مع أن هذه منظومة لابد أن تعمل معا فى ظل مفهوم الثقافة، لأنها أسلوب حياة، وطريقة تفكير، فلا يمكن عزل الإبداع عن هذه الرباعية فى المستقبل.

٥-٣-٧-كيث واطسون رفض جوانب من العولمة فى المجتمع الإنجليزى[(٢)]:

ثم ننتقل إلى الدكتور **عبد الجواد السيد بكر**، الذى تساءل: فى إطار هذه التعددية والعولمة : كيف نحافظ على شخصيتنا القومية فى إطار العولمة؟، وأشار إلى مقولة **الدكتور كيث واطسون** Keith Watson عن العولمة، التى رفض جوانب عديدة منها فى المجتمع الإنجليزى، وخاصة ما يتصل منها بتغيير مجموعات القيم، أو نسق القيم الموجود داخل المجتمعات الغربية، فما حالنا نحن فى المجتمع الإسلامى؟

٥-٤- تعقيب المؤتمر: لن تزول الفوارق بين الشعوب. وهناك صراع ثقافى لا مهرب منه:

ثم عقب **الدكتور بركات دويدار** ـ أخيرا ـ بتساؤله: هل تحل التكنولوجيا محل الشخصية، لتنتهى الفوارق بين الإنسان والآلة؟

---

(١) من تعقيب الأستاذ الدكتور إميل فهمى ـ الأستاذ المتفرغ بكلية التربية، جامعة حلوان ـ مصر .

(٢) من تعقيب الدكتور عبد الجواد السيد بكر، رئيس قسم التربية المقارنة بكلية التربية بكفر الشيخ ـ جامعة طنطا - مصر.

وأجـاب بقـوله: لا، لن تزول هذه الـفـوارق؛ لأن الفـرق بين الإنســان وبين الحيوان، أن الإنسان يستعمل الآلة، وما التكنولوجيا إلا آلة من الآلات التى يستعملها الإنسان، وحينما يتوقف الإنسان عن إنتاج هذه التكنولوجيا، ستنتهى التكنولوجيا.

إذن سوف يظل الإنسان هو سيّد الموقف، ولن تغنى عنه التكنولوجيا، بأى حال من الأحوال.

الأمر الثانى: هل ستنتهى الفوارق بين شعوب العالم؟ لا، لن تنتهى، لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ.. (119)﴾ [هود].

إن من الممكن أن تنتـهى أمة، وأما أن تنتـهى الفوارق ، فـلا يمكن أن يحدث ذلك بأى حال من الأحوال.

وهل هو تفاعل ثقافى، أم صراع ثقافى؟

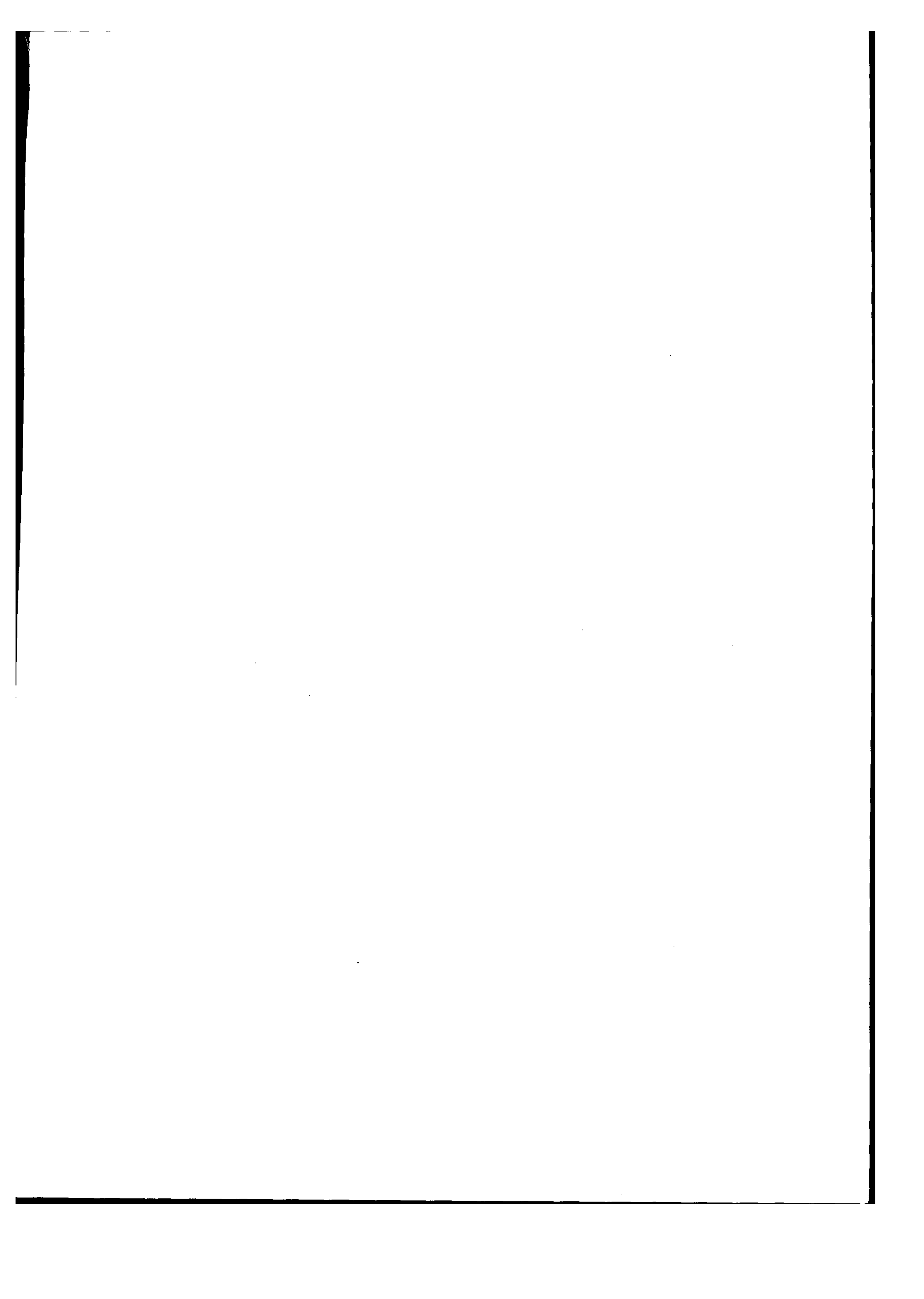
فى رأيى أنه صراع ، فهناك حرب الجيوش، وهناك حرب اللغات، فلغة تنتهى لتظهر لغة أخرى، وهناك حرب أفكار.. فأفكار تنتهى، لتخرج أفكار أخرى، إذن هو صراع.

ثم سؤال آخر: هل هو انفجار أم تقدُّم؟

إننا نستطيع التفرقة، باعتبارهما مصطلحين، والعبرة بالمفهوم، وليس اللفظ.

وأريد أن أدخل فى كلمة حيوان أو إنسان، فأقول: إن أرسطو حل لنا المشكلة، كما قالت الأستاذة **الدكتورة منى أبو سنه**، فقد جعل **أرسطو** الجوهر هو الأعلى، فإذا أضيف له (متحيز) كان الجسم، وإذا أضيف له (نام) كان النبات، وإذا أضـيـف إليه (متحرك بالإرادة) كان الحيوان، وإذا أضـيـف إليه (ناطق) كان الإنسان، فيكون الإنسان حيوانا ناطقا.. أى مفكرا.

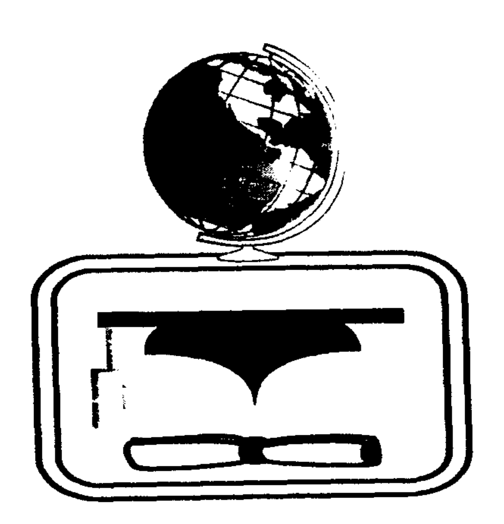
وهذه شـجرة الأجناس، وهى مـعـروفة فى المنطق، وفـى الوقت نفسـه نحن أخذناها بعد ذلك، فالعبرة بالمضمون.

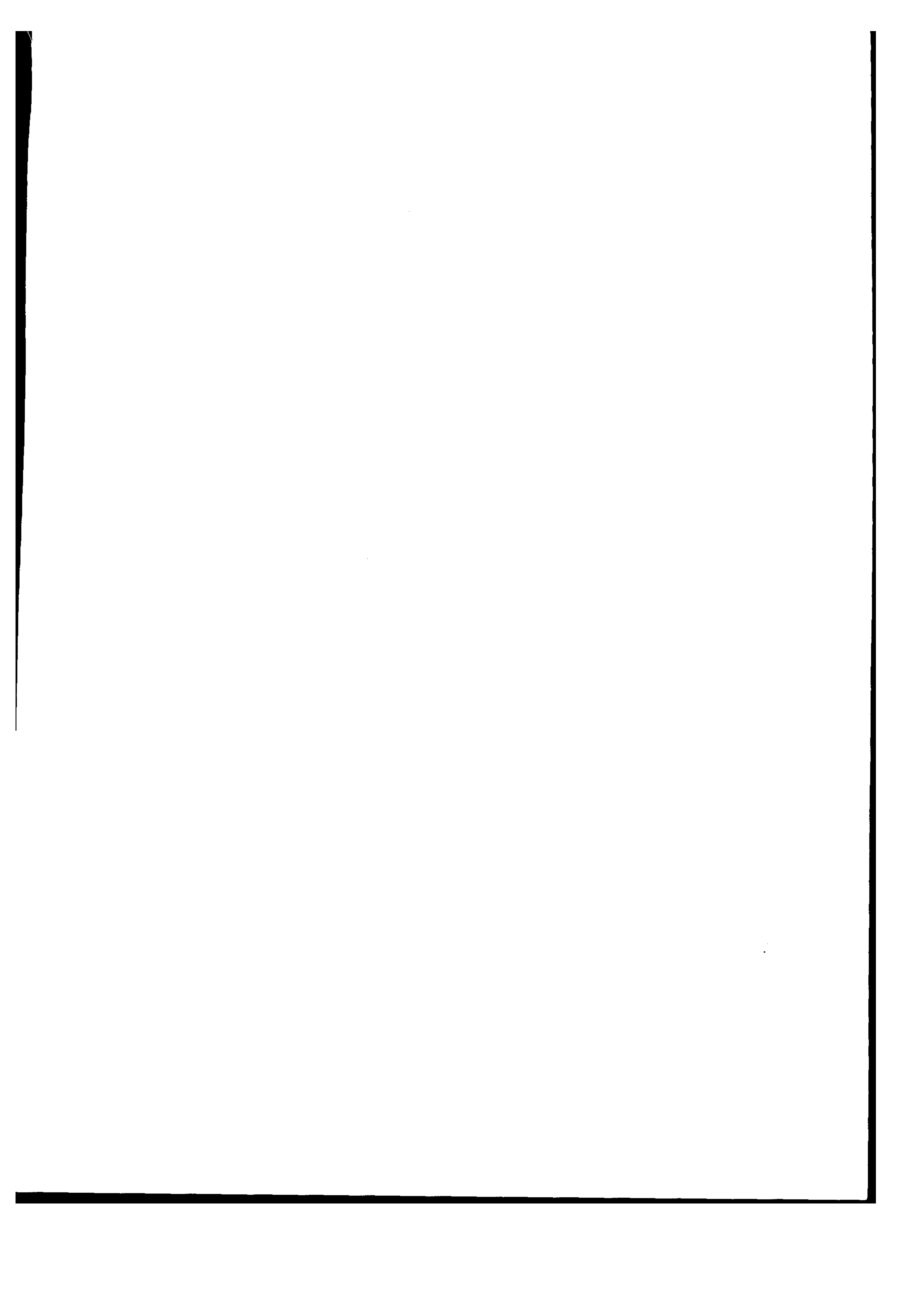




الفصل السادس

التعليم وإدارته فى مواجهة الهيمنة الثقافية





الفصل السادس
التعليم وإدارته فى مواجهة الهيمنة الثقافية[١]

٦-١- ملخصات الدراسات :

٦-١-١- د. مريم إبراهيم الشرقاوى[٢] : أساليب تعزيز الهوية فى مواجهة الهيمنة الثقافية، رؤية معاصرة لإدارة التعليم[٣] :

إن سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على الواقع الدولى، وتفرّدها بالزعامة بعد تفتُّت الاتحاد السوفيتى، وتكثيف الدعاية بقبول هيمنة الحضارة الغربية من خلال النظام العالمى الجديد، الذى يرى ضرورة الانفتاح على تلك الحضارة الغربية، من أجل اشتراك الجميع ـ بصورة متزايدة ـ فى نموذج واحد.. أصبحت - هذه السيطرة الأمريكية - واقعا ملموسا.

والهوية الثقافية جزء أساسى من الهوية القومية، وهذا ما يعنيه مفهوم الأصالة الثقافية، ومع هذا فإن كثيرا من القيم الثقافية فى حاجة إلى التطوير والتجديد، حتى لا تصبح سندا للجمود والاستسلام لمعطيات التخلف، وهذا ما يعنيه مفهوم المعاصرة.

ومن الضرورى لحركة التنمية، أن يتفاعل الجانبان، حتى تصبح الهوية الثقافية أصيلة ومعاصرة فى نفس الوقت.

والهيمنة الثقافية تعنى السيطرة على الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات والقيم، وأساليب التفكير والمنجزات المادية.. وما شابه ذلك، كما تعنى المراقبة الثقافية لكل ما يصنعه الإنسان فى البيئة الاجتماعية.

وتحاول الولايات المتحدة الأمريكية ـ فى ظل ما يسمونه النظام العالمى الجديد New World Order ـ فرض هيمنتها ونفوذها وثقافتها على شعوب العالم.

---

(١) يدور العمل فى هذا الفصل حول الدراسات الأربع التى تم عرضها فى هذا المؤتمر، وذلك فى الجلسة السادسة من جلساته، التى كانت آخر جلسة من جلسات اليوم الثانى - يوم الأحد ٢٣ يناير سنة ٢م.

(٢) مدرس الإدارة التعليمية بكلية التربية ببنى سويف، جامعة القاهرة - مصر.

(٣) ملخص البحث.

وفى ضوء ذلك يقترح البحث ما يلى:

أولا: أن تكون الوحدة الثقافية العالمية قائمة على التنوع، وأن تعكس قدرات المجتمعات واختياراتها ومشاركتها وعطاءها، لا محو هويتها، وأن تعمل المجتمعات البشرية على تنمية نموذج للعولمة، يعترف بتعدد الثقافات، ويحترم الثقافات الفرعية.

ثانيا: بناء هوية ثقافية ذات ثوابت راسخة، تقوم على الإيمان بالله، والشرائع السماوية، والقيم الدينية.

ثالثا: احترام التفاوت داخل الإطار الثقافى الواحد، أو احترام الثقافات الفرعية، والعمل على تقوية عوامل الوحدة والتقارب بين هذه الثقافات الفرعية، والقضاء على العوامل التى تعوق حركة التغير الثقافى، وتنمية وانتخاب بدائل الثقافة أو متغيراتها، بحيث لا يسمح إلا بقبول العناصر التى تتفق مع فلسفة المجتمع.

رابعا: أن تتحمل إدارة التعليم مسئولية الحفاظ على الهوية الثقافية وتعزيزها من خلال:

أ- تنشئة التلاميذ على أيديولوجية الجماعة ومقوّماتها.

ب- الاهتمام بالإعداد الثقافى للمعلم عند إعداده.

جـ- أن تفسح المناهج مكانا أكثر للدين الإسلامى واللغة العربية، باعتبارهما جوهر الهوية الثقافية.

د- دراسة تأثير المخرجات الثقافية على البيئة المحيطة.

٦-١-٢- د. السيد عبد العزيز البهواشى[١] : التعليم وإشكالية الهوية الثقافية فى ظل العولمة:

الهوية - من المنظور الاجتماعى - هى الشعور بالانتماء إلى أمة ما، والاندماج فى تفاصيل طابعها القومى، وفى الحياة اليومية للفرد والجماعة. والهوية - بذلك - شعور عقلى ووجدانى، بتحقُّق الذات فى الوجود الجماعى للأمة كلها، دون انفصام

(١) أستاذ التربية المقارنة المساعد بكلية التربية بالعريش - جامعة قناة السويس - مصر.

أو انفصال عنه. ويناط بالهوية - فى هذه الحال - مسئولية المحافظة على القيم والعادات والتقاليد والموروثات والتراث والفنون والآداب والسلوكيات. . أى المحافظة على القيم الثقافية التى تحدّد قيم المجتمع، وتشير إلى مستواه الحضارى، وتجعله قادرا على الحوار بندِّيَّة مع الثقافات الأخرى، وكذلك المحافظة على مجموعة الصفات والخصائص التى تميز مجتمعا ما، وتجعله مختلفا ومتفردا عن غيره من المجتمعات الأخرى.

وفى صحبة الانتشار الأوربى الذى هيأت له الكشوف الجغرافية الكبرى، حدثت ضراوة اقتصادية وسياسية على الصعيد العالمى، ومن ثم هبت ريح الحضارة الأوربية عاتية، وفى جعبتها الدعوة إلى العلمنة وحتمية تطبيقها. وقد أفلح هذا التوجه - فى ظل التسلط الأوربى - فى غرس بذور العلمنة فى ربوع الأرض والأوطان التى شهدت الاستعمار الاستيطانى فى أمريكا، شمالها وجنوبها، وفى أستراليا. كما أفلح هذا التوجه الأوربى فى نشر العقيدة المسيحية فى ربوع المستعمرات التى كانت خاضعة لسيطرته.

لذلك تشير دراسات كثيرة إلى أن العولمة نظام كونى مفروض من الولايات المتحدة على دول الشمال والجنوب على حد سواء، فالحكومة الأمريكية تتصرف حاليا وكأنها الحكومة العالمية الوحيدة، والرئيس الأمريكى يتصرف وكأنه رئيس العالم، والاقتصاد الأمريكى يبدو وكأنه هو المحرك الأساسى للاقتصاد العالمى، والثقافة الأمريكية تسعى لتكون الثقافة العالمية الوحيدة. ومعنى هذا أن الولايات المتحدة تسعى جاهدة لأمركَة العالم، وتحاول بكل الوسائل المتاحة لها نشر ثقافتها وقيمها ومعاييرها ونموذجها الحياتى والفكرى على الصعيد الدولى.

ومن ثم ساد الاعتقاد بأن العولمة هى حركة استعمارية، أو إمبريالية فى قالب جديد، صنعته وفرضته قوة عالمية، ذات نظرة مستقبلية، عرفت كيف تستغل ظروفا دولية معينة، لتفرض أيديولوجيتها ونظرتها إلى مستقبل معولم، من يتأخر عن الولوج إلى بوابته الكبرى المُحكمة الحراسة، من طرف سلطة كونية تملى شروطها على جميع الأصقاع، عبر قنوات المؤسسات المالية والتجارية والاقتصادية والسياسية الدولية. . من يفعل ذلك يهمَّش، ويتجاوزه القطار. ومن ثم، فإن هذه العولمة التى تقودها الولايات المتحدة، لا تختلف كثيرا فى سياستها وأهدافها عن السياسات التى ميزت البدايات الأولى للنظام الرأسمالى فى مرحلة الثورة الصناعية . . ذلك النظام الذى تحول فى كل

مرحلة منها إلى آلية جديدة، تبعا لطبيعة أزمات النظم الداخلية، وتبعا لمتغيرات التطور فى العالم، فـالنظام واحد، والهـدف واحد، ولا فرق بينهـما إلا فى القـالب الجديد المعولم، الذى يبرز مبادئ الإنسانية والعدالة، التى تظل كلمات أكثر منها أفعالا.

يضاف إلى ذلك أن العولمة لا تختلف كثـيرا عن النظام العالمى، فكلاهما تقوده الولايات المتحدة، وكـلاهما يستهدف تحقـيق الهيمنة الخارجيـة والسيطرة على العالم. ومن ثم، فـإن العولمة تدل علـى أن الاستـعمـار قد تحـوّر، ولبس ثوبا جـديدا يلائم التداعيات العـالمية الجديدة، فالمنظومة الدولية منذ قـرون وحتى الآن، تسير على منوال واحد، هو أن الدول القوية تفرض سيطرتها وإرادتها على الدول الضعيفة.

وتشير أدلة كثـيرة إلى أنه لا يمكن لأية دولة، مهما كان نظامـها السياسى، أن تنفلت من إسار التفاعل مع متغـيرات الزمن، سلبا أو إيجابا، بل إنه لابد أن تشتبك - فى حركة جـدل وتفاعُل - مع معطيات التطور، بدلا من أن تـنعزل، لأن الانعزال هو بداية طريق الموت البطىء للشـعوب.. وبالتـالى فمن المُفـيد لأية دولة ألا تـخاف من الانفتاح على العالم والتفاعل معه، بل إنها يجب أن تسارع الخطى، وتعد نفسها ليس لمواجهة هذا الانفـتاح أو مقاومتـه، ولكن للتفاعل الإيجابى مـعه. وإذا كان لابد من المقاومة، فلماذا لا تكون من خلال الانفتاح نفسه، تفعل فـيه وتتفاعل معه.. تستفيد من كل إمكاناته وإنجازاته، وفى الوقت نفسه تحرص على هويتـها.. تتعايش معه مادام هذا الانفتاح يؤكد احترام كل أطراف الانفتاح لبعضهم البعض؟ .

ومادامت العـولمة تتطلب الانفـتاح على الآخريـن، وترفض العزلة والتـقوقع، فلابد من الخروج من مـرحلة الانكفاء على الذات، والمساهمة فـى أطروحات العولمة، بدلا من الخضوع لها كقدَر قاهر، خـاصة وأن العولمة هى بمثابة جرس إنذار بأن العالم المتقدم لن يترك الدولة الضعيفة وشأنها.

لقد فتحت اليابان أبوابها للأفكار الغربية مع تمسكها بتقاليدها وقيمها، وأرسلت مئـات الطلاب اليابانيـين إلى إنجلترا وفرنسـا وألمانيا والولايات المتـحدة، ودعت آلاف الخبراء الأجـانب إلى اليابان، لمساعدتها فى إنشـاء كل ما تحتاج إليه الحيـاة المعاصرة. وظلت اليابان بذلك على وفائها **للإمبراطور ميجى**، حين طالب شعبه بأن يبحث عن المعرفة ويقتفى أثرها فى كل أنحاء العالم.

٦-١-٣- د. جمال محمد أبو الوفا[١] : تأثير التعددية الثقافية على النظم التعليمية فى كل من بلدان المغرب العربى وأمريكا اللاتينية (دراسة مقارنة):

أصبح ينظر إلى التعددية الثقافية فى عالم اليوم على أنها مشكلة ناجمة عن تعايش قوميات مختلفة داخل المجتمع الواحد، ولكن انعدام التجانس الثقافى والاجتماعى، الناتج عن وجود ديانات أو طبقات اقتصادية مختلفة، هو الذى شكل - من وجهة نظر تاريخية - الجانب الأساسى للمشكلة.

وثمة من يرى أن التعددية الثقافية تعنى التباينات الثقافية بين المجتمعات، فثمة اختلاف عميق وواضح بين مجتمعات يكون لجميع أعضائها ثقافة واحدة ولغة واحدة، وأشكال مشتركة من التنظيم الاجتماعى والسياسى، ووسائل عيش، وأساليب حياة وديانة مماثلة من جهة. . ومجتمعات تتكون من مجموعتين أو أكثر، تختلف فيما بينها على جميع هذه الأصعدة، وتحافظ على تبايُنها وتمايُزها على مر السنين، من جهة ثانية.

وقد ظهر مصطلح التعددية الثقافية أول ما ظهر فى المجتمعات المستعمَرة، التى كانت تضم مجتمعات سكانية قبَلية، مزودة بمؤسسات إلزامية، وفد عليها أوربيون مستعمرون، تحولوا إلى سكان بعد نهاية الاستعمار، وكانوا يمثلون نظاما اقتصاديا وسياسيا جديدا، ومجموعة حضارية وسيطة مختلفة ثقافيا، كالهنود. وهذه الفئات الاجتماعية والثقافية المختلفة، كانت مندمجة فى داخل نظام اجتماعى ثقافى موحد، تحكمه نخبة مهيمنة من خلال جهاز الدولة.

وقد وُلد اتحاد المغرب العربى فى ١٧ فبراير ١٩٨٩م فى مراكش، ليضم كلا من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا.

وفى المجال التربوى، ركزت لائحة الاتحاد المغربى على إقامة تعاون يرمى إلى تنمية التعليم فى مستوياته المختلفة، والحفاظ على القيم الروحية والأخلاقية، المنبثقة من تعاليم الإسلام، وصون الذاتية القومية العربية، واتخاذ الإجراءات الضرورية لتحقيق هذه الركيزة، التى فى ضوئها تحددت الأهداف التربوية للنظام التعليمى فى بلدان المغرب العربى على النحو الآتى:

التعريب - التوحيد - التأميم - التعميم.

---

(١) أستاذ التربية المقارنة المساعد بكلية التربية ببنها، جامعة الزقازيق - مصر.

وفى مجتمعات أمريكا اللاتينية، بدأ قطاع التربية يعكس جميع التعدديات المكونة للمجتمعات المركبة، الحضرية، والصناعية. وتتخذ الحداثة فى تلك المجتمعات شكل تعددية ثقافية مبنية على قاعدة اجتماعية مجزأة، تخترقها قوى تنطلق من المراكز، حيث تبقى هناك فجوات عميقة بين الطبقات الاجتماعية، فى الوقت الذى تظهر فيه توترات جديدة، ناجمة عن تطور الأسواق، واتجاه نحو تخصيص الأنشطة الاجتماعية، وتفكك الدولة التقليدية، والتدويل المتسارع لوسائل الاتصال، وترسيخ الأنظمة الديمقراطية الليبرالية، التى تسمح للتعددية بالتعبير عن نفسها.

وعلى هذا، تُعتبر التعددية التى تعيشها بلدان أمريكا اللاتينية تجسيدا للنظام الاقتصادى، الذى يقف وراء النظام التعليمى، والذى ساعد على قيام أنماط مدرسية، متمحورة حول تكوين النخبة، وتلبية الطلب، والاختبار والتجريب، والصعود والترقى، واستيعاب الطبقات الشعبية.

ومن خلال العرض السابق لموضوع البحث، تُوجَد مجموعة من أوجُه التشابه والاختلاف بين بلدان المقارنة، يمكن أن نجملها فيما يلى:

١- أن اللغة الفرنسية تهيمن على جميع مستويات التعليم ومجالات الحياة فى بلدان المغرب العربى.. وترتَّب على ذلك انعكاسات ثقافية وسياسية على مستوى التربية، فلا يوجد فرق بين الاحتلال العسكرى والاستعمار اللغوى.

٢- بالرغم من أن قانون التعريب فى بلدان المغرب العربى ينص على أن يتم التعليم - وكذلك التربية فى جميع القطاعات وفى مختلف المراحل والتخصصات - باللغة العربية، مع مراعاة تعليم اللغات الأجنبية، إلا أن هناك اتجاها يدافع عن اللغة البربرية واللغة الفرنسية، ويحث على استعمالهما، حتى تتحقق التعددية الثقافية والسياسية واللغوية فى هذه البلدان، فى حين أن بلدان أمريكا اللاتينية لا يوجد بها مجال للتعريب، ومن ثم تعانى الأقليات العربية والمسلمة بها من عدة مشكلات.

٣- أن دول المغرب العربى تمارس التعددية اللغوية على أوسع نطاق، حيث تستخدم اللغة البربرية فى الحياة الواقعية، على اعتبار أنها ترتبط بواقعها الاجتماعى، فى حين تقرر المدارس فى مناهجها الدراسية اللغة العربية واللغة الفرنسية، كما تدرس الأسبانية والإيطالية بدواعى الجيرة، والإنجليزية والألمانية بدواعى الانفتاح. وتتشابه بلدان أمريكا اللاتينية مع بلدان المغرب العربى فى مثل هذه التعددية.

٦-١-٤- د. فؤاد العاجز[1]، د. عطية محمد العمرى[2] : الإدارة المدرسية والتعددية الثقافية:

شهد القرن العشرون أحداثا سياسية واقتصادية وعلمية وفكرية، غيرت الكثير من الأوضاع والمعلومات والأفكار، التى كانت سائدة فى أوائله، تغييرا يكاد أن يكون جذريا.

فمع نهاية القرن العشرين، زالت الهيمنة البريطانية والفرنسية عن كثير من دول العالم، وحلّت محلّها الهيمنة الأمريكية، وتلاشت قوة أحد قطبى العالم، وهو الاتحاد السوفيتى، لتنفرد الولايات المتحدة بسيادة العالم، محاولة خنق كل من يرفع رأسه أو يفكر ـ مجرد تفكير ـ فى التخلص من هذه الهيمنة، أو يفكر فى تطوير نفسه عسكريا أو اقتصاديا أو علميا، لكيلا يكون منافسا لها فى المستقبل، ومن ثم قامت بالتدخل العسكرى السافر فى كثير من المناطق، كالعراق مثلا، تحت ذريعة تحقيق السلام العالمى.

ومن الناحية الاقتصادية، نجد الفقر المدقع فى كثير من دول العالم، مقابل الغنى الفاحش فى مناطق أخرى، كما نجد انهيارا للنظرية الشيوعية فى الاقتصاد، بانهيار الشيوعية سياسيا، حيث تبنّت معظم الدول الاشتراكية اقتصاديات السوق الحر، وقلدت النموذج الغربى فى جميع المجالات السياسية والاجتماعية، وعندما حاولت دول أخرى غير اشتراكية، كاليابان ودول شرقى آسيا، الاستقلال عن التبعية الاقتصادية الأمريكية، تلقت ضربات مُوجِعة جزاء هذه المحاولات، وكان المقصود هيمنة أمريكية اقتصادية على العالم، تدعم الهيمنة السياسية للولايات المتحدة الأمريكية.

---

(١) أستاذ مشارك بكلية التربية بالجامعة الإسلامية بغزة ـ فلسطين.

(٢) مساعد باحث بكلية التربية بالجامعة الإسلامية بغزة ـ فلسطين.

وفى المجال العلمى، هناك ثورة علمية وتكنولوجيـة مذهلة، يشهدها العالم فى نهاية القـرن العشرين، وبداية الـقرن الحادى والعـشرين، تمثلت فى الحواسـيب الآلية المطورة، وشـبكات الإنتـرنت، وبنوك المعلومـات، وثورة الاتصـالات، وكل ذلك له فوائده التى لا ينكرها أحد، ولكن هذه الثورة العلمية أصبحت تُستخدم لنقل الثقافات الغربية - بما فيـها الثقافة الأمريكية، بحلوها ومرها - إلى أرجـاء العالم، حتى صارت تقتحم كل بيت دون اسـتئذان، وحتى أننا فى الشرق، أصبـحنا نرى ونسمع ونقلد ما لم يكن يخطر على بالنا قـبل عدد قليل من الـسنين، وأصبحـت هذه الثورة العلمـية عاملا مساعدا فى الهيمنة الأمريكية على سائر بقاع الأرض.

ومع كل هذه التحولات السياسية والاقـتصادية والعلمية، كان لابد من تحوُّلات فكرية، تتبع هذه التـحولات السياسـية والاقتصادية والعـلمية، ولذلك فإننا نجـد ميلا متـزايدا فى الشرق نـحو الأخذ بالأفـكار والنظريات والنظم الغربيـة، وأصبـحنا نقلد الغرب - أكـثر من أى وقت مـضى - فى كل شىء، فى المأكل والملبس وطريقة الحـياة وفلسفة الأمور ومنطـق الأشياء، وأصبحت صلاتنا بتراثنا وديننا وقـيمنا تضعف رويدا رويدا، حتى أصبح الحليم حيران، كما تنبأ الرسول ﷺ.

وإزاء كل هذه التطورات، وقـفت فـئات من المفكرين والعـلماء والمصلحـين، الذين عزّ عليهم أن يروا هذه التحولات التى تسـير فى طريق إحكام الهيمنة الأمريكية على العالم عامة، وعلـى بلادهم خاصة، فوجدت أن التيار جـارف، وأن من العسير مواجهته.

وتلعب الإدارة المدرسـية دورا كـبيـرا فى هذا المجال، فلمـدير المدرسة مـوقع إستـراتيجى هام، بالنسـبة لكل ما يجـرى فى مدرستـه، فهو الرئـيس المباشر لجـميع العاملين فى المدرسـة، وهو المسئول الأول عن نجاح المدرسـة فى تحقيق أهدافهـا. لقد اتفقت الدراسات جمـيعها على أن للمدير دورا حاسما فى إنجـاح - أو فشل - العملية التربوية.

وقد تلقى العالم العربى والإسلامى فى القرن العشرين ضربات موجعة، وعانى من هزائم ونكسات متلاحـقة، بدءا بوأد الخلافة الإسلامية، ومرورا باتفـاقية سايكس بيكو، ووعد بلفور، وقيام إسرائيل، وهزيمـة عام ١٩٦٧م، واجتياح إسرائيل لجنوب

لبنان عام١٩٨٢، وحرب الخليج ـ الأولى والثانية، إلى آخر هذه الهزائم والنكسات والإحباطات، مما جعل الفرد العربى والمسلم يصاب بنوع من الهزيمة النفسية، جعلته يفقد الثقة بكل ما هو عربى أو إسلامى، ويتطلع إلى كل ما هو أجنبى. من هنا ظهر كُتَّاب ومفكرون وأدباء، ينادون بوجوب الأخذ بكل ما هو غربى، وكان فى مقدمتهم **الدكتور طه حسين** فى أول عهده، **وأحمد لطفى السيد، وسلامة موسى**. وقد تمثلت آراؤهم فى دعوتهم إلى الحرف اللاتينى، وفى الدعوة إلى الأدب الإقليمى، والانفصال عن التراث العربى والإسلامى، والدعوة إلى ثقافة غربية، تخدم المصالح الأجنبية.

ومن الطبيعى ـ فى ظل هذه الظروف ـ أن يجد هؤلاء من يتبنّى هذه الأفكار، وينادى بها وينشرها على الملأ، من أبناء الشعوب العربية والإسلامية، فى حين وقف آخرون ينادون بنبذ مثل هذه الأفكار والآراء، مما نتج عنه ازدواجية فى الفكر العربى والإسلامى، نتجت عنها ازدواجية ثقافية، عند تطبيق هذه الأفكار فى عالم الواقع.

ولعل أشمل تعريف للإدارة المدرسية، الذى تتبنّاه الدراسة الحالية، هو أنها عملية اجتماعية، تهتم بحُسن استغلال الموارد البشرية، من معلمين ومتعلمين وتنظيم جهودهم، بالشكل الذى يمكنهم من تحقيق الأهداف المنشودة، بالكمّ والكيف الذى يتمشى مع أهداف المجتمع وطموحاته، شريطة أن يتمّ ذلك كله فى جوّ تسوده العلاقات الإنسانية الطيبة، عن طريق التعاون والمشاركة بين أفرادها، وإشراكهم جميعا فى اتخاذ القرارات، وخاصة تلك التى لها علاقة مباشرة بهم، وبما يقومون به من أعمال.

الإدارة المدرسية والتعددية الثقافية:

وفى ضوء المعطيات السابقة حول التعددية الثقافية وإيجابياتها وسلبياتها، وفى ضوء الأهمية المتزايدة للإدارة المدرسية، نرى أن هناك مسئوليات جساما تقع على عاتق مدير المدرسة، للأخذ بأيدى الطلبة والمعلمين فى مدرسته، نحو التعامل المحكم مع التعددية الثقافية، للاستفادة القصوى من إيجابياتها، والحدّ من سلبياتها بقدر الإمكان.

ويمكن للإدارة المدرسية أن تقوم بحثّ المعلمين وإرشادهم إلى كيفية استخدام التفكير الناقد فى المواقف الصفيّة، حتى يعودوا تلاميذهم على مثل هذا النوع من

التفكير، الذى يمكن أن يكون حصنا حصينا لصاحبه، فى مواجهة الغزو الفكرى، وسلبيات الثقافات الوافدة. كما يجب على الإدارة المدرسية ـ بالتعاون مع معلمى المدرسة ـ إحياء المناسبات التاريخية فى المدرسة، حتى ينشأ الطالب وهو واثق من تاريخ أمته، معتزٌ بها وبالثقافة التى تمثلها، ومن هذه المناسبات موقعة بدر، وحطين، وعين جالوت، وفتح مكة، وفتح بيت المقدس، وفتح الأندلس، ومعركة ٦أكتوبر ١٩٧٣م.

إن المدرسة – بما تتمتع به من دور تاريخى فى الحفاظ على ثقافة الأمة وتعزيزها وتطويرها ـ يقع عليها عبء كبير فى التصدّى للتعددية الثقافية داخل المدرسة وخارجها، على نطاق المجتمع.

٦-٢- تعقيب المؤتمر على الدراسات الأربع:

٦-٢-١- تعقيب المؤتمر[1] على البحثين الأول والثانى:

أعرف أننى لم أفهم –حقيقة– معنى النظام العالمى الجديد إلا بعد أن قرأت هذين البحثين، واستمتعت بعرضهما، فكنت أفهم النظام العالمى الجديد على أنه (سمك ـ لبن ـ تمر هندى)، لأن المصطلح غير واضح، (فالنظام العالمى الجديد)، لا هو نظام ، ولا هو عالمى، ولا هو جديد.

إن العولمة نبت شيطانى، ولو كانت نبتا بشريا قابلا للتلقيح أو التطعيم أو التصويب، كأى نباتات أخرى تخضع للتجربة العلمية، لكان هذا ممكنا أن نهذبه، ولكن العولمة شىء طارئ، فرضته إرادة القوة، وفرضته غطرسة القطب الأوحد فى العالم، وهو ليس بحاجة لأن يهذب نفسه، ولا أن ينمذِج نفسه، بحيث يسمح بتعدد الثقافات. إنه لا يريدها إلا ثقافة واحدة، فنحن لا نطلب منه، ولا نستطيع أن نتخطاه أو نتجاهله، إلا إذا استطعنا فعلا ـ كما أرادت **الدكتورة مريم** ـ أن نضع لأنفسنا أساليب محددة لتعزيز هويتنا الوطنية، فقد نستطيع ـ بذلك ـ أن نفرض على مروّجى العولمة ومؤيّديها، وعلى الداعين إليها ومؤيديها وأنصارها، أن تنمذج نفسها، وأن تسمح بتعدد الثقافات.

---

(١) عقب على البحثين الأول والثانى نيابة عن المؤتمر، الأستاذ الدكتور **مصطفى رجب**، عميد كلية التربية بسوهاج، جامعة جنوب الوادى ـ مصر.

البحث الثانى بحث الأخ الدكتور السيد عبد العزيز البهواشى، وفى رأيى - أيضا - أنه يمثل فوضى النظام العالمى الجديد، من حيث النتائج التى توصّل إليها، حيث الجمع بين الأصالة والمعاصرة فى مناهج التعليم، وهذا لا يصح أن يكون نتيجة، فمن غير المعقول أن نكتب صفحة طويلة، أكثرها تعريفات للذاتية والعولمة والنظام الجديد.. أن نجمع مجموعة تعريفات، ثم نستنتج منها نتائج، منها:

- الجمع بين الأصالة والمعاصرة فى مناهج التعليم.
- تغيير طرق التعليم التى تقوم على التلقين تغييرا جذريا.
- إنتاج مناهج تعليمية جديدة، تستهدف إعداد المتعلمين المصريين.

حتى هذه الصياغة نفسها مضحكة: إنتاج مناهج تعليمية جديدة، تستهدف إعداد المتعلمين المصريين.. إذن: ماذا تفعل المناهج الحالية؟

هل هى تهدف إلى تجهيل المتعلمين المصريين؟!

أعتقد أن التوصيات والنتائج التى توصل إليها الدكتور البهواشى أيضا، عادية جدا، وقيلت بأشكال كثيرة، فى كثير من البحوث فى مجال أصول التربية فى القرن الماضى.. القرن العشرين، ثم ينتهى البحث، وينادى - فى سطوره - بتفعيل التعليم المصرى لتعزيز الهوية، ولكن: كيف يتمّ هذا التفعيل؟

٦-٢-٢- وتعقيب المؤتمر[1] على البحثين الثالث والرابع:

أنا أؤيد تماما ما قاله الأستاذ الدكتور مصطفى، من أن الباحثين تعرضوا لقضايا عامة وتعمقوا فيها، وفى أنه كان من الأولى أن يفسحوا المجال للموضوع الجديد الذى يتحدثون عنه، وأنا أجد بعض الزملاء يتحدث عن معنى الثقافة، والتعريف اللغوى وتعريف كذا.. وكذا.. ومكونات الثقافة وعناصرها.. إلخ، مما كان يمكن - بل ويجب - أن يُستغنى عنه، ليدخل فى الموضوع الحقيقى الذى يتناوله.

وأحبّ أن أوضح أننا حين ننقد، لا ننقد من أجل النقد، وإنما ننقد لنتيح فرصة للباحث، إذا وجد وجهة نظر سليمة، أن يأخذ بها، حتى يُحسب البحث لك - لا عليك - عندما تقدم للترقية مثلا.

---

(١) وعقب على البحثين الثالث والرابع نيابة عن المؤتمر، الأستاذ الدكتور على الشخيبى، أستاذ أصول التربية، جامعة عين شمس بالقاهرة - مصر.

وقد لاحظت - يتمّم الدكتور على - أن الدراستين كان العمق النظرى فيهما ضعيفا، ونحن نتمنى أن يكون للباحث ذاتية، فلا ينقل كلاما عاما، بل يقول كلاما يعبر به عن ذاته كذلك.

وقد ظهر مصطلح التعددية الثقافية، فى بلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من المجتمعات الجديدة مثل كندا وأستراليا، فما معنى هذا المصطلح؟ إن معناه أن مجموعات من أبناء الشعوب المختلفة، تعيش فى مكان واحد، له عاداته وتقاليده وعنصره ولونه، ولو أنك ذهبت إلى أمريكا، ونيويورك، فسترى الحى الصينى، والحى الهندى، والحى الإيطالى، والحى المكسيكى.. وستجد اختلافات فى اللغة والعادات والتقاليد، مما تسبّب فى مشكلة للجميع فى أمريكا، ولذلك حاولوا حل المشكلة، عن طريق إذابة هذه التعددية الثقافية فى ثقافة واحدة، وهو تعميم اللغة الإنجليزية، والثقافة الأمريكية، على جميع هذه الشعوب، حتى لا تضعف الأجيال القادمة.

وقد كان من المفروض أن يأخذ **الدكتور جمال أبو الوفا** مجتمعا واحدا به تعددية، لا أن يأخذ مجتمعا مثل تونس أو موريتانيا أو المغرب أو الجزائر أو ليبيا، فهذه الدول ليس لها علاقة بالتعددية، ونفس الوضع فى أمريكا اللاتينية.

لقد كنتُ أتمنى أن يتحول المنهج المقارن إلى خطوات.. وكيف ينتقل من الخطوة الأولى إلى الثانية، ونخرج بالنتائج .

أما الزميل **الدكتور فؤاد العاجز** والزميل الأستاذ **عطية العمرى**، فقد قدما دراسة عن (الإدارة المدرسية والتعددية الثقافية)، وقد ركز **الدكتور فؤاد** على الثقافة ومعناها ومضمونها، وكيفية انتقالها... إلخ، وفى الإدارة المدرسية ركز على تعريفها وميادينها.. إلخ نفس الكلام. الدراسة جيدة، إلا أنها دراسة مكتبية، وليست هناك دراسة مكتبية، وإنما هى دراسة نظرية تحليلية نقدية، فالمكتبية ما هى إلا وسيلة، وليست منهجا أو طريقة.

وكما قلنا: الدراسة نظرية عامة.. أى أنها قائمة على التحليل النظرى للعلاقة بين الإدارة المدرسية والتعددية الثقافية بصفة عامة، وكنت أتمنى - يتابع **الدكتور على**- أن أرى المجتمع الفلسطينى المعاصر، لأن المجتمع الفلسطينى هو الذى فيه تعددية ثقافية، ففيه عرب إسرائيليون، وربما ذهب الطفل إلى المدرسة، فيتعلم شيئا غير الموجود فى البيت.

٦-٣- رابعا: تعقيبات الحضور:

٦-٣-١- الخلط بين الأساليب والعمليات فى الإدارة[١] :

بدأ الدكتور عادل عبد الفتاح سلامة التعقيبات بعدد من الملاحظات، منها أنه وجد تشابُها كبيرا جدا بين البحث الأول والبحث الثانى، حيث اختار البحث الأول كلمة أساليب، واختار الثانى كلمة آليات، ولكن المضمون يكاد أن يكون واحدا.

كذلك فإن الدكتورة مريم أشارت إلى التنبؤ بالمستقبل، ولما جاء الحديث عن المستقبل، تعاملت معه على أنه مستقبل واحد، مع أنه ليس مستقبلا واحدا، وإنما مستقبليات. لقد تعاملت مع المستقبل المحكوم بالماضى، وهى إسقاطات خطية للأمام، وهناك سيناريوهات بديلة.

أما بحث الدكتور فؤاد فى موضوع الإدارة المدرسية والتعددية الثقافية، فأرى أن فى هذا البحث جهدا كبيرا، ولكنه أعطى وزنا كبيرا جدا للتعددية الثقافية، مع أن موضوعه ليس أكثر من أنه إدارة مدرسية.. وهو عندما تحدث عن التخطيط، سماه التخطيط والتنظيم، ثم انتقل لاتخاذ القرار باعتباره أمرا آخر، مع أنه عملية كبيرة، ثم بعد ذلك دخل فى الأساليب، فى خلط كبير بين الأساليب والعمليات.

٦-٣-٢- رفقا بالباحثين أيتها المنصة[٢] :

ثم انتقل التعقيب إلى الدكتور عبد الغنى عبود، الذى قال فيما قاله:

ذكّرتنى هذه الجلسة بما كان يجرى فى جامعة الملك سعود، وأعادتنى عشر سنوات للوراء، لا لعيب فى الدراسة، ولا فى الدكتور مصطفى، ولا فى الدكتور على.. ولكن دعونا ننطلق من مسلمات هذه الورقة المقدمة: لقد كتبها زميل، أليس فيها شىء طيب؟ طبعا فيها جهد، وكان لابد ـ لذلك ـ من الرفق بالباحثين .. كلمة طيبة يا سادة، فهم إخواننا الصغار، ويجب أن نعلمهم برفق.

وأريد أن أقول لإخواننا الباحثين هنا: إن المحكّم أو المعقب صديق لك، وهم مُتعَبون، ومع ذلك يتطوعون لمناصرتك، فلهم الشكر.

---

(١) من تعقيب الدكتور عادل عبد الفتاح سلامة، أستاذ التربية المقارنة المساعد بكلية التربية، جامعة عين شمس ـ القاهرة، مصر.

(٢) من تعقيب الأستاذ الدكتور عبد الغنى عبود ـ أستاذ التربية المقارنة بكلية التربية، جامعة عين شمس بالقاهرة ـ مصر، رئيس المؤتمر.

٦-٣-٣- المدرسة ليست معزولة عما يجرى فى المجتمع من تغيرات[١] :

ثم انتقل التعقيب إلى **الدكتور محمد حسن رسمى**، الذى أراد أن يلقى الضوء على جزئيتين، هما جزئية التعددية الثقافية، وهذا متغير، والجزئية الثانية هى ما يطلق عليه التغير التربوى، الذى يُدخلنا فى الإدارة، أو التغير التنظيمى، والمؤثرات التى تحكمه وتوجه مساراته.

وفيما يتعلق ببحث **الدكتور فؤاد** عن المدرسة ودورها، يقول **الدكتور محمد رسمى**: إن المدرسة ليست معزولة عن متغيرات المجتمع، وليس لدى ناظر المدرسة القدرة الكاملة على اتخاذ القرار، لإحداث تغيير أو تعديل، فالمسألة مربوطة بسياسة عليا، والسياسة العليا هذه هى التى تحدده.

٦-٣-٤- الإدارة التعليمية لها مداخلها البحثية، المختلفة عن إدارة الزراعة والصناعة[٢] :

ثم انتقل التعقيب إلى **الدكتور بيومى ضحاوى**، الذى بدأ بشكر كل من الأستاذ **الدكتور مصطفى**، والأستاذ **الدكتور على**، اللذين تمعنا فى القراءة العميقة جدا، وعلى هذا النقد الطيب، الذى لم نجد فيه شيئا يدل على التجريح.. إنه نقد موضوعى، وجميل جدا، وبالنسبة لبحث **الدكتور فؤاد** كان فيه شىء من التقليدية، ولكنها كانت تقليدية رائعة فى العرض، وكانت جميلة جدا، ومن ثم جاء عرضه موفقا، وقد كنا محتاجين لأن نزواج بين هذه التقليدية، وعناصر جديدة، تكون مرتبطة بطبيعة نظمنا التعليمية، وبعيدة عن المداخل Approaches الموجودة فى التجارة والزراعة والصناعة. إن التربية تستفيد من كل هذا، ولكن بهدوء، فالتربية لا تحتاج لتغييرات مفاجئة، ولا تحتاج إلى قفزات سريعة، وإنما هى تحتاج إلى أن نعدّل، وبهدوء، بما يتناسب وطبيعة النظم التربوية.

٦-٣-٥- أين بحوث التربية من أجل السلام والتفاهم الدولى فى المؤتمر؟[٣] :

ثم انتقل التعقيب إلى **سامح أبو الحسن**، الذى لفت نظره أنه لم يتمّ التركيز على بحوث التربية من أجل السلام والتفاهم الدولى، ولم يتم تناولها فى متن البحوث

(١) من تعقيب الدكتور محمد حسن رسمى، أستاذ الإدارة التعليمية المساعد بكلية التربية ببنها - جامعة الزقازيق - مصر.

(٢) من تعقيب الأستاذ الدكتور بيومى ضحاوى، أستاذ التربية المقارنة بكلية التربية، بالإسماعيلية - جامعة قناة السويس - مصر.

(٣) من تعقيب سامح أبو الحسن، طالب الماجستير بقسم التربية المقارنة والإدارة التعليمية بكلية التربية - جامعة عين شمس بالقاهرة - مصر.

التى تم إلقاؤها، حيث إن التربية من أجل السلام والتفاهم الدولى تُعتبر صيغة من صيغ التعددية الثقافية، ولم يتم الحديث عن دور المعلمين فى تدريس تلك الصيغة.

٦-٣-٦- أغلبية الأبحاث عن العولمة، التى هى إفراز لثقافة الغرب[١]:

ثم جاء دور **الدكتور السيد ناس**، الذى رأى أن عنوان المؤتمر (التعددية الثقافية)، ويعنى أن هناك أكثر من ثقافة موجودة، وأغلبية الأبحاث التى أجريت عن العولمة ومفهومها، فالعولمة هي نتاج لثقافة غربية، والذين قاموا بهذه الأبحاث كلهم معذورون فى أن نتائجهم معممة؛ وذلك لأن عنوان المؤتمر أصلا «التعددية الثقافية» ومن ثم فإننا إذا كنا نريد الاستفادة من مثل هذا المؤتمر، فيجب أن يكون عنوانه «الثقافة الغربية، وانعكاساتها على الثقافة العربية أو الإسلامية».

٦-٣-٧- كان لابد من تقديم نموذج للإدارة المدرسية القادرة على مواجهة التعددية الثقافية[٢]:

أما طلعت آدم، فإنه يرى فى بحث **الدكتور فؤاد** عن الإدارة المدرسية والتعددية الثقافية فى الألفية الثالثة.. أن الإدارة المدرسية بُعد لا يستطيع أن يقف أمام رياح التعددية الثقافية، ولذلك يرى أنه كان يجب أن يقدم لنا فى النهاية نموذجا أمثل للإدارة المدرسية، لمواجهة ـ ومجابهة والوقوف ضد ـ التعددية الثقافية.

٦-٣-٨- العوامل السياسية والاقتصادية جزء من القوى الثقافية، وليست كل هذه القوى[٣]:

ثم يجيء دور **عنتر أحمد عبد العال**، ليرى -فيما يتصل بدراسة **الدكتور جمال أبو الوفا**- أن اختيار العينة فى التربية المقارنة مسألة حساسة، ولابد من التدقيق فى اختيارها، بحيث تكون مرتبطة ارتباطا وثيقا بالموضوع ومشكلة البحث. كما يرى - فيما يتصل ببحث **الدكتورة مريم**- أنها اقتصرت على القوى الاقتصادية والقوى السياسية فقط، إذ إن القوى الثقافية هى قوى اقتصادية وسياسية وأيديولوجية وفكرية واجتماعية وعنصرية ودينية، وما إلى ذلك.

---

(١) من تعقيب **الدكتور السيد ناس**، مدرس التربية المقارنة بكلية التربية، جامعة الزقازيق ـ مصر.

(٢) من تعقيب **طلعت آدم**، بكلية التربية بسوهاج ـ جامعة جنوب الوادى ـ مصر.

(٣) من تعقيب **عنتر أحمد عبد العال**، المدرس المساعد بقسم التربية المقارنة بكلية التربية بسوهاج ـ جامعة جنوب الوادى ـ مصر.

وأخيرا، يقول عنتر أحمد عبد العال: إن مفهوم الهيمنة الثقافية ليس مفهوما جديدا، بل هو مفهوم قديم منذ الأزل. . من أيام الإغريق، وحتى الإمبراطوريات الحالية، مثل روسيا وفرنسا، فلقد كانت الهيمنة الفرنسية أشد وطأة من الهيمنة الأمريكية الحالية.

ويختم عنتر تعقيبه بالسؤال : هل نحن حاليا نواجه الهيمنة، أم أننا نعيش فى ظل الهيمنة؟

٦-٣-٩- لابد من تمصير-وتعريب- لغة الخطاب التربوى[١]:

ثم جاء دور الصحفى رأفت الشرقاوى، الذى يلفت نظره استخدام مصطلحات غربية، مثل الكويتة والأمركة والسعودة والعولمة، أو الهيمنة الأمريكية. والذى أحَبّ أن يلفت نظر التربويين إلى استخدام مصطلحات مصرية وعربية، وإلى الابتعاد عن الألفاظ، مثل Education - analysis.

٦-٣-١٠- بدلا من التباكى على الغزو الثقافى، دعونا نبنى شبابنا[٢]:

أما الدكتور ثابت كامل حكيم، فإنه يرى أننا فى حاجة إلى مواجهة المجتمعات المعاصرة، بدلا من التباكى على الغزو الثقافى وعلى أمريكا ودورها، وأنها تهيمن على العالم، لأن موضوع الهيمنة، وموضوع من يملك زمام الأمور. . هذه حقائق واقعة، لا داعى لكثرة الكلام فيها، لنولّى وجوهنا شطر دور التعليم، فأبناؤنا يجب أن يتفهموا الأبعاد الثقافية والاقتصادية والإبداع والإنتاج والمهارات الأساسية المطلوبة للعالم المعاصر، ومتغيراته، والاهتمام باللغات الأجنبية، مع الاهتمام بمقومات الشخصية المصرية والعربية.

٦-٣-١١- السعودة مصطلح سعودى، وسيظل سعوديا[٣]:

ثم يعود التعقيب إلى الدكتور على الشخيبى، الذى يردّ على الصحفى الأستاذ رأفت الشرقاوى فى مسألة ما سماه المصطلحات التى أتى بها المصريون من الخارج، مثل السعودة وغيرها، فيرى أن هذه المصطلحات سعودية وستظل سعودية، مثل سَعوَدة الوظائف وسَعوَدة المناهج. .إلخ.

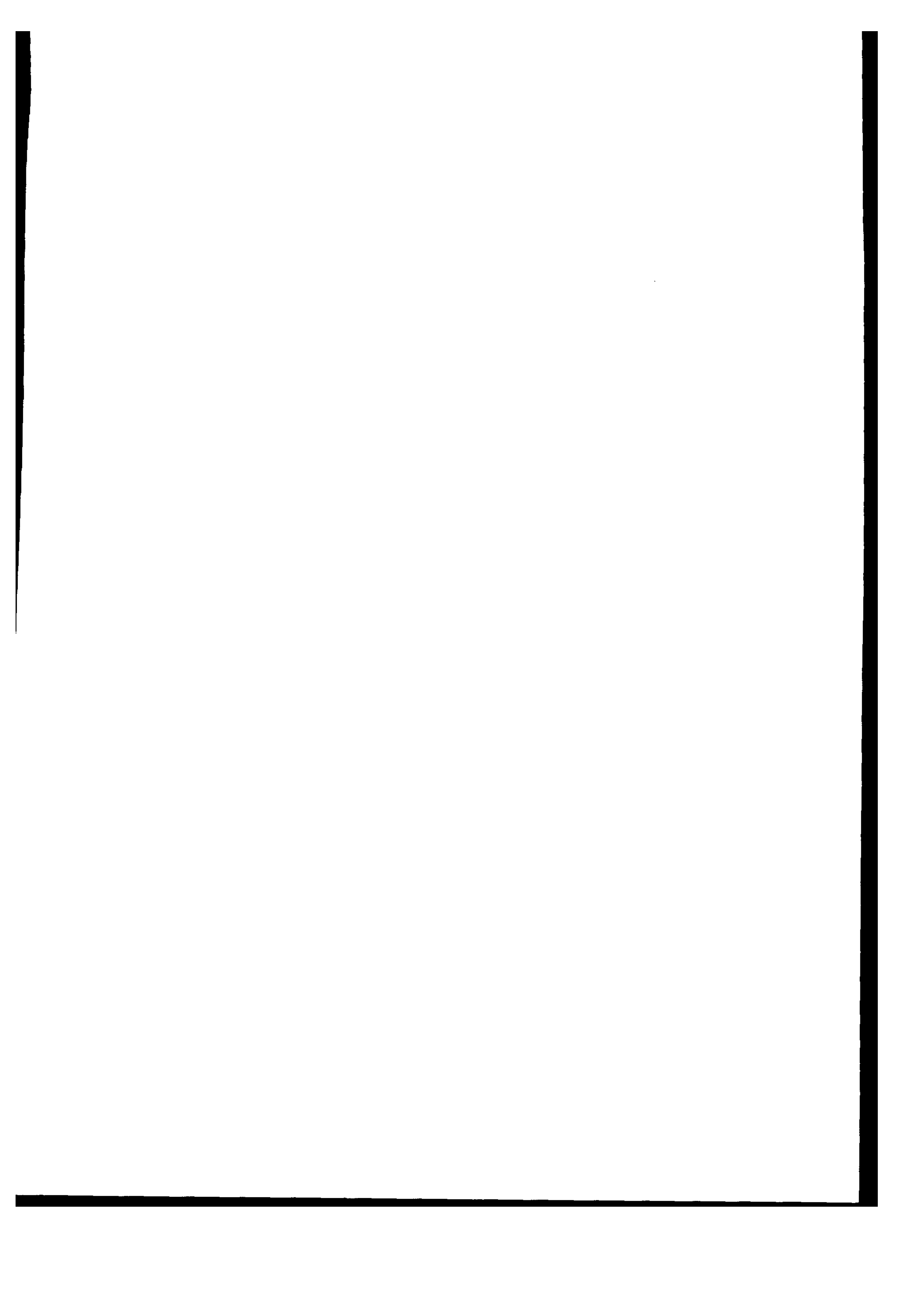
(١) من تعقيب الصحفى رأفت الشرقاوى.
(٢) من تعقيب الأستاذ الدكتور ثابت كامل حكيم، أستاذ أصول التربية بكلية التربية، جامعة حلوان ـ مصر.
(٣) من تعقيب الأستاذ الدكتور على الشخيبى على التعقيبات.

٦-٣-١٢- لابد أن نعتز بلغتنا كتربويين[1]:

ويختم الأستاذ الدكتور مصطفى رجب التعقيبات بالرد على الصحفى الأستاذ رأفت الشرقاوى بقوله: لقد استخدمنا مصطلح التمصير فى العشرينات، بمعنى تمصير الشركات، وتمصير الاقتصاد، وتمصير التعليم، حينما كنا فى حاجة إلى ذلك، كما أن دول الخليج تستخـدمه الآن. ولكنى أؤيدك - يواصل الدكتـور مصطفى - أننا مادمنا نتحدث عن العولمة، فـلا يصح أن يقول واحد منا analysis، وعنده كلمة (تحليل)، أوApproach وعنده كلمة (منظور)، فـإن حشر كلمـة أجنبية فى الكلام، من كـبائر المخالفات الثقافية، لأن أبسط شيء هو أن تعتز بلغتك.

وقد تحـدث أحد البـحوث عن أن أخطر مـوضع تدخل العولمة منه هو الـلغة، فليس أقل من أن نكون نحن الذيـن نتحـدث فى الموضوع، ملتـزمين بلغـتنا إزاء هذه الهـجمـة.. ولا يعنى ذلك مطلقـا النفـور من العولمة، أو التـخـوف منها، أو عـدم التجاوب معها، وإنما هو يعنى ـ على الأقل ـ الاعتزاز بشيء من ثقافاتنا.

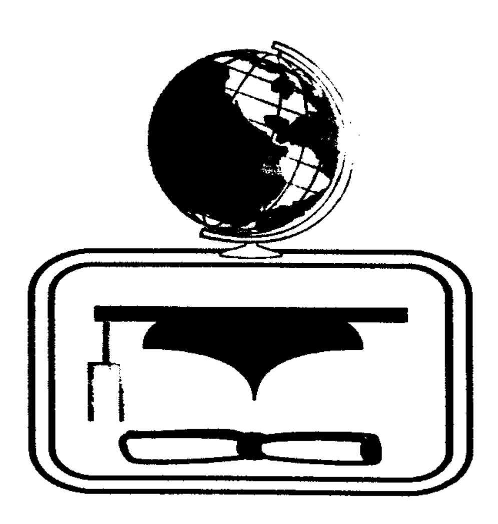
(١) من تعقيب الأستاذ الدكتور مصطفى رجب على التعقيبات.

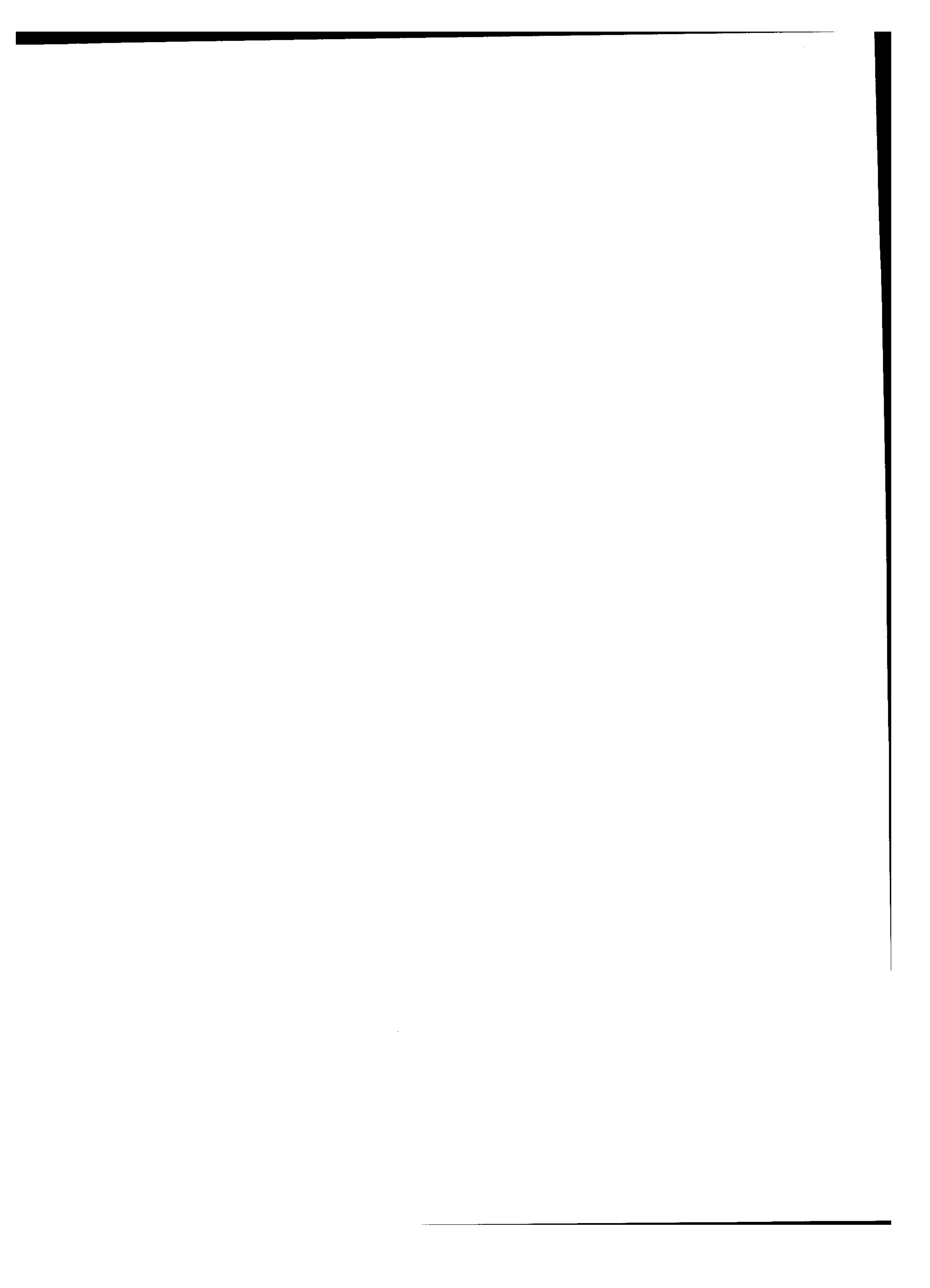




الفصل السابع

لغة الحوار





الفصل السابع
لغة الحوار

٧-١- تقديم الجلسة: نحن نودع الفية دامية[١]:

بدأ الأستاذ الدكتور **محمد سيف الدين فهمى** تقديمه للندوة[٢] بقوله:

الحقيقة هى أننا نعيش الآن فى عالم متعدد الثقافات، وأن الصراع الموجود الآن صراع ثقافى، ونحن ـ الآن ـ فى بداية الألفية الجديدة.. وعندما نقيم الألفية، نراها كانت ألفية دامية جدا، ففى بداية هذه الألفية، كان هناك صراع على مستوى الأديان، والعقد الأخير من القرن الأخير.. سنواته دامية جدا، وقد تمت فيه حربان عالميتان، الحرب العالمية الأولى والثانية، وضاع فى هاتين الحربين عشرات الملايين من الناس، ونأمل أن تكون هذه الألفية الجديدة ألفية أفضل.. ألفية سلام.

وإذا ما كنا نتحدث عن السلام، فلابد أن نتحدث عن اللغة ولغة الحوار، فنحن محتاجون لهذا الحوار القائم على أساس اللغة، والقائم على أساس تعدد الثقافات، حيث يكون أخذ وعطاء.. عطاء من ثقافة، وأخذ من ثقافة أخرى.

وأرجو من مقرّر الجلسة أن يجمع الخيوط بعد ذلك، لنستخلص بعض الاتجاهات العامة فى المحاضرات المختلفة.. أدعو الأستاذ الدكتور **حسن عبد العال** أن يقدم محاضرته، بعنوان **(التربية وحوار الثقافات)**.

٧-٢- التربية وحوار الثقافات[٣]:

سوف أتحدث بسرعة شديدة، حول محورين اثنين:

المحور الأول: يتعلق بثقافتنا وثقافة الآخر، أو الثقافات الأخرى.

المحور الثانى: يتعلق بدور التربية فى تحديث الثقافة، لتتمكن ثقافتنا العربية من الحوار ـ والتواصل والتفاعل ـ مع الثقافات الأخرى.

---

(١) الإثنين ٢٣ يناير سنة ٢٠٠٠ م ثالث أيام المؤتمر، وكانت بنفس عنوان الفصل.

(٢) من تقديم **الأستاذ الدكتور محمد سيف الدين فهمى**، الأستاذ المتفرغ بكلية التربية، جامعة الأزهر بمصر، وعميد الكلية الأسبق.

(٣) موضوع مقولة **الأستاذ الدكتور حسن عبد العال**، أستاذ أصول التربية، ووكيل كلية التربية، جامعة طنطا فى الندوة.

لن أقـدم عن مفـهوم الثقـافة بحـثا أكـاديميـا رصينا، حـول المفهـوم وتطوره التـاريخى، والنظريات المتعلـقة بالمفـهوم، ولكنى سـأحاول أن ألقى الضـوء بسرعـة شديدة، على مفهوم الثقافة، لأن هذا هو المدخل الطبيعى لموضوع حوار الثقافات.

الثقـافة لها معنى ضـيِّق، يتعلق بالإنتاج الذهنى الـعالى المستوى، ولهـا معنى واسع.

وقد عـرّفهـا تايلور Taylor ـ بعـد ذلك ـ بأنها الكُـلِّىّ المعقَّـد، المكون من المعتقدات والعادات.

وهذه الثقافة ـ كما تعرفون جمـيعا ـ نتاج محلى، ونتاج ظروف تاريخية، ومن هنا تتعدد الثقافات وتتمايـز. . وهذه الثقافة يمكن أن تنهار، بمعنى أن شبكة التواصل الاجتماعى التى تربط مؤسسات الثقافـة ببعضها البعض، يمكن أن يحدث لها خلل، وأن تنقطع الحركة التواصلية بينها.

ومن أهم عوامل انهـيار الثقافـات الغزو الأجنبى بكل صوره وأشكاله، فـحين تغزو دولة دولـة أخرى، تبدأ هذه الدولة بتـفكيك منظومـة القيم، التى تربط عـملية التواصل الاجتمـاعى بعضها مع البعض، وتبـدأ باللغة أساسا، فتدخل لغـتها فى لغة الإدارة. . ويُعتبر إهمال اللغة أول مسمار يُدق فى نعش هذه الثقافة.

ولابد أن ألقى بعض الضوء على مفهوم الهوية الثـقافية، فأقول: إن الهوية هى الجزء الثـابت والراسخ من هذه الثـقافة، الذى يسـاير العصـور جمـيعا، ويبـقى مع الإنسان. . ولكن ثبات هذه العناصر الثقافيـة لا يعنى أن الثقافة جامدة، وإنما هو يعنى أن الثقافة تتطور مع الزمن، وتتفاعل مع الزمن، وتتفاعل مع غيرها من الثقافات.

صحيح أنها العناصر الراسخة فى تراث الإنسان الثقافى، إلا أن هذا الرسوخ لا يعنى أن الثقافة جامدة، وأنها شىء منغـلق، ومشروع ناجز، ينبغى أن نعود إليه، لأن هذا الكلام يعنى تجميد الثقافة، وتجميد التاريخ، وتجميد المجتمع.

إن الثقـافة مـشروع منفتح، يتـطور مع الزمن، نتيجـة للتفـاعل مع الثقـافات الأخرى. وأسـتطيع أن أقول ـ وأنا مطمـئن ـ أن لكل مرحلة تاريخـية هوية ثقافـية، تتضمن عناصر الثقافة، والمتغيرات التى دخلت عليها.

والهوية الثـقافيـة هى التواصل واللاتواصل. . الاسـتمرار والانقطاع، فـالهوية الثقـافيـة ليست مكونة من مقـوم واحد، وإنما هى تتكون من مـجمـوعة مقـومات.

وتواصُل هذه المقومات جميعا هو الذى يعطينى هوية ثقـافية. . وتفاعل هذه الثقافة مع غيرها من الثقافات، هو الذى يعطى هذه الهوية الاستمرارية والتجدُّد الدائم.

وأحب أن أؤكد أنه ليس هناك مفهوم ثابت للهوية، ناجز عبر التاريخ، وإنما هو مشروع منفتح، فيه ثوابت، ولكنه يتقبل المتغـيرات الدائمة، ويتجدد فى تعامل الثقافة مع غيرها من الثقافات. . إن فيه تجددا واستمرارية.

والثقـافة حصـيلة مكونات كثـيرة، ولكننى أقتـصر على الحـديث عن الأصالة والمعاصـرة، لأنه موضوع مرتبط بالحـوار أيضا، ولكنى سأوجزه بالقـول: إن الأصالة ليست فى مقابل المعاصرة، لأن المفـروض أن كل أصيل ينبغى أن يكون معاصرا، وأن كل معاصر ينبغى أن يتفق مع الأصالة، والمجال مـتسع لأشياء كثيرة، فبعض المفكرين يرى أن القـضيـة لا تُطرح هكذا (أصالة ومـعاصـرة)، وإنما يجب أن تُطرح فى شكل قضية إنتاج وإبداع.

إن ثقافتنا العربية مأزومة، فلو أننا نظرنا إلى أزمة الثقافة لوجدناها:

١- يعجز الواقع عن ملاحقة الفكر فيـها، لأن الفكر يكون أكثر مرونة، وأكثر انطلاقا، أو العكس.

٢- يعـجـز الفكر فيـهـا عن مـلاحـقـة الواقع، كمـا هو حـادث فى الدول المتقدمة.

فى ثقافتنا العربية، تتجلى مظاهر الأزمة فى أمور كثيرة، أبرزها هو تخلفها عن الإبداع، وعـجـزها عن اللحـاق بالآخـرين، والدخـول إلى عـصـر العلم والتـقنيـة والتكنولوجيا.

وتتجلى مظاهر الأزمة أيضا فى أشـياء كثيرة جدا. . فى الانسحـابية والهروبية والمشروعـات الاستقلاليـة البذخية، وغـياب كثيـر من المبادئ التى عُهدت فى ثقـافتنا العربيـة الإسلامية، وهذه الأزمـة فكر بعض المفكرين فى حلولها، أو بدأوا يتـساءلون عن أسبابها.

وقد رأى البـعض أن الأزمة تعـود إلى شخصـية الإنسان العـربى ذاته، ومنهم الدكتور حـسين مؤنس، عندما قال: إن الأزمة الثقافـية تتعلق بالإنسان العربى، الذى لا يأمل فى شىء فى المستقبل، وإنما نظرته تقع فى نفس اليوم الذى يعيش فيه. . أى أنه يفتقـد الرؤية المستقبلية، حسب كلام الدكتـور حسين مؤنس، وهـذا كلام مردود عليه.

والبعض رأى أن الأزمة تتعلق بالعقل العربى نفسه، وبجزئية هذا العقل، وعدم قدرته على الرؤية الكلية للأشياء، ومنهم ـ للأسف الشديد ـ محمد عابد الجابرى، الذى نحا هذا المنحىَ، وأورد ـ فى مشروعه لتكوين العقل العربى ـ أن العيب يكمن فى العقل العربى، وعدم قدرته على التفلسف والرؤية الكلية. . وهذا مردود عليه كذلك.

والبعض رأى أن هذه الشخصية متبعة وليست مُبدِعة، مثل أدونيس فى الثابت والمتحول، وهذا يخالف حقائق التاريخ بطبيعة الحال.

والبعض رأى أن الأزمة تتصل بهيمنة الخطاب الإسلامى، وهذا شىء غريب جدا، كما رأى محمد أركون، الذى بنى مشروعه كله على هيمنة الخطاب الإسلامى، وتفكيك الأصولية الإسلامية. . وقد نسى هذا الرجل وغيره من المفكرين أن الإسلام هو جوهر ثقافة هذه الأمة، وأنه هو العامل الأساسى المحرك للحياة كلها.

سوف أتجاوز ذلك كله وأقول: إن التعددية الثقافية موجودة الآن، ومن الخطأ إنكار أن هناك ثقافات متعددة، وأن كل ثقافة لها روح ولها طبيعة، وأن هذه الثقافة ـ لو درست منظورها للإنسان وللكون ولله وللغيب ومعايير الذوق والجمال، وللحلال والحرام ـ لتَبين لك أن هناك تعددا ثقافيا، وتمايزا ثقافيا.

أما عن موقف ثقافتنا من الثقافات الأخرى، فينبغى أن يكون موقف حوار وتفاعُل، وليس موقف تصادُم. . وأنا أؤكد على هذا، لأن درس التاريخ يقول: إن الحضارة أو الثقافة لا يمكن أن تنعزل عن غيرها من الثقافات، فلابد أن تتصل الثقافات ببعضها البعض، ليكون بين هذه الثقافات حوارات متداولة، وحوارات دائمة.

والحوار الثقافى يشهد به التاريخ، لأن الحضارات تتفاعل، وتستفيد من بعضها البعض، ومنها الحضارة الأوربية على سبيل المثال، فحياتها أخذ وعطاء طوال مسيرة التاريخ. والذين يقولون إن الفلسفة اليونانية أتت من العدم، وأنهم هم الذين خلقوها، يعيشون حالة من الوهم دائما. لقد ظهرت الفلسفة اليونانية نتيجة لاتصال الإغريق بالشرق، عن طريق الفراعنة، ثم أخذ الإغريق هذه البنود الفلسفية، ثم عاد العرب فى عصر المأمون ليأخذوا منهم فلسفة أرسطو وأفلاطون وغيرهما، ثم احتضنت الفلسفة العربية أصول الفلسفة الإغريقية فترة طويلة من الزمن، ثم ردتها مرة ثانية إلى أوربا، عن طريق شروح ابن رشد وغيره.

وها نحن قد عدنا بعد ذلك لنأخذ من الحضارة الأوربية، منذ عصر النهضة وحتى الآن. . فالتفاعل وارد، والتفاعل جيد، وتواصل الحضارات شىء لا خلاف عليه.

وأنا أؤكد أن التاريخ العربى يشهد بذلك، **فعمر بن الخطاب** الخليفة الراشد ـ حين فتح بلاد الفرس ـ استطاع أن يأخذ نظام ضرائب الأراضى، وينفذه فى الدول العربية والإسلامية، وكان يسمى حينذاك **(ودائع كسرى)**. ولما اتصل ببلاد الشام، أخذ الدواوين من الدولة البيزنطية، وأصبحت هذه الدواوين جزءا من الثقافة العربية. وعندما اتصلنا بالهند، أخذنا منها الحساب والفلك وغيرهما. . ولما اتصلت بنا أوربا، أخذت منا هذه النظم. . فالتواصل موجود، وأنا أقول هذا الكلام لأنكر قضية صدام الحضارات، لأن الغرب هو الذى روج لهذا الصدام فى الحقيقة.

وقد بدأ بعض المفكرين الاستراتيجيين، فى فترات قريبة، منهم **فوكوياما** اليابانى المتأمرك وغيره. . بدءوا يقولون إنه بعد انهيار النظام الشيوعى، صارت هناك قوتان فى العالم، هما الإسلام، ثم القوة الآسيوية، فى مقابل القوة الغربية. . وينبغى أن يكون لنا موقف من هذا الكلام، فبعض المسلمين فرحوا بهذا الكلام، كما قلت فى مداخلتى بالأمس، لأن معناه أن الإسلام صار قوة مساوية لقوة الغرب، وهذا موقف تعويضى، يعوض به العرب والمسلمون عن سنوات كثيرة من القهر والتخلف.

الحقيقة أننا لا نملك مقومات الصدام الحضارى، ولا نملك إلا التفاعل مع الحضارة الغربية، لسببين:

السبب الأول: هو أننا ـ فى ظروفنا الحاضرة ـ عاجزون عن تقديم النموذج الحضارى، الذى يقف أمام النموذج الغربى المطروح الآن، ولن نضحك على أنفسنا، ونقول: إننا قادرون على إعطاء النموذج الآن.

والسبب الثانى: هو أن الصدام نتائجه السلبية، أكثر من نتائجه الإيجابية.

وقد كان القرآن ذاته واضحا فى هذا الأمر، حينما قال إن ذلك هو سنة الحياة، وسمَّاه الدفع أو التدافع، حيث قال سبحانه: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ**﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقال سبحانه: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا**﴾ [الحج: ٤٠].

والقضية قضية تفاعُل وتحاوُر، ينبغى أن نؤكد عليها، وصِلَتنا بالثقافات الأخرى هى صلة تفاعل وحوار وتواُصل بشكل مستمر.

وأنتقل - بسرعة شديدة - إلى التربية، وهى ما نفقده كثيرا فى هذا المؤتمر، وهو البعد التربوى، والثقافة التربوية المتعلقة بهذا الكلام.. وأنا أتصور أن دور التربية يتعلق بثلاثة أبعاد رئيسية، هى إعداد الأجيال القادمة، إما لمواجهة الثقافات الأخرى، أو للحوار معها، أو للتواصل معها.

البعد الأول هو تحديث الثقافة الغربية، وينبغى أيضا أن أتفق مع حضراتكم فى أن الحداثة الآن لسنا أمامها فى موقف اختيار، فنأخذ بها أو لا نأخذ، فالدول تحدِّث نظمها وفق ما هو موجود فى العالم.. رضيت هذه الدول أو كرهت.

فنحن لا بد أن نأخذ بالحداثة، ولا يمكن لنا أن ننعزل عنها، بأى شكل من الأشكال، والسؤال هو: أى نوع من الحداثة، أو أى نموذج من الحداثة، ينبغى أن نتمثله؟ هل نقتفى النموذج الغربى بكل أزماته، وبكل ما فيه من معايب ومثالب؟ أم أننا يمكن أن نُبدع نموذجا حضاريا يتفق مع أصولنا الثقافية؟

الحقيقة أن هذه المسألة انقسم الناس تجاهها فريقين: فريق يقول: إننا ينبغى أن نبدع نموذجنا الثقافى من واقعنا الثقافى ومن تراثنا، وقد استند فى ذلك إلى تجربة اليابان، فاليابان اتصلت بأوربا، ولكنها حين اتصلت بها، استطاعت أن تخلق النموذج اليابانى المتفرّد، تأخذ منه وتقتبس، ولكنها - فى اقتباسها - امتلكت مهارات الحداثة، وآليات الحداثة، ولم تقتبس اقتباس مريض. والسؤال مطروح ولا أملك الإجابة عليه، وهو:

هل يمكن لنا أن نُبدع نموذجا حضاريا يتفق وأصولنا الإسلامية؟

وأنا أستشهد - مرة أخرى - بالتاريخ، فلقد استطاع الإسلام أن يعرض نموذجا للحضارة وللتمدُّن.. نموذجا فريدا، فى فترة معينة من التاريخ، أثبتت جدارتها، وانطوت - تحت لوائه - كثير من القوميات والفلسفات.

الرأى الثانى فى هذه القضية يقول: إننا لن نستطيع أن نفعل ذلك، ومن ثم يكون علينا أن نأخذ النموذج الغربى، بمعنى ألا ننقل النموذج الغربى شبرا بشبر، وذراعا بذراع، وإنما نأخذ الإطار العام للحداثة.. ونأخذ آليّات الحداثة، نتمثلها، ثم نهضمها، ثم نُبدع من خلال هذا الهضم، أو من خلال نموذج الحداثة المطروح.

والدكتور محمد جابر الأنصارى له تعبير ظريف أكرّره، يقول فيه إن للأمم والثقافات مَعِدات.. إذا استطاعت معدة الأمة أن تهضم ما يَرِدُ إليها، كان ذلك سبيلا إلى تقويتها.

فإذا كانت الأمة لها مَعِدة قوية هاضمة، كان ما تستورده من الخارج سبيلا لحضارة هذه الأمة. وقالوا: إنَ اليابان ـ فى القرن التاسع عشر ـ والصين، مثلان لهذه المعدة الحضارية المريضة والمعدة الحضارية القوية، فكانت اليابان ذات مَعِدة قوية، استطاعت أن تستلهم الحضارة الأوربية وتهضمها، وأن تأخذ من ذلك زادا يدفعها نحو مزيد من التقدم.. والصين ـ فى وقت التحلل ـ كانت معدتها ضعيفة، فكان كل ما تأخذه يؤدى بها إلى مرض. ومن ثم فإننا يمكن أن نأخذ من الغرب، ولكن لا نأخذ كل شىء، وإنما نأخذ الإطار العام، ثم نتمثل هذا الإطار، بما يتلاءم مع واقعنا الثقافى.

والحقيقة أن القضية قضية شائكة، حيث سيقولون: إنه من غير المعقول أن نلغى الحضارة الغربية الآن، ونلغى النموذج الحداثى الموجود، وأن نبدأ من عصر البخار وعصر الكهرباء.. وإنما الممكن هو أن أستفيد من المعطى الحضارى، فأنا لا أبدع من خلال هضمى لأشياء منه، تتفق والنموذج الحضارى الغربى، ثم أتجاوز هذه المراحل كلها، وأطوع ذلك كله لثقافتنا.

ولكن يأتى السؤال:

هل يمكن أن تملك التربية تحديث الثقافة؟

وهل تملك التربية تغيير المجتمعات؟

إن كثيرا من العلماء والتربويين يقولون: لا، وأولهم **دوركهايم**، من علماء الاجتماع، الذين قالوا: إن التربية نظام تابع، وهذا النظام يخلق ما تريده السلطة الحاكمة، حيث يتم إنتاج الإنسان كما يريده النظام، وبالتالى لا تملك التربية أن تبدع أو تغيّر.

إلا أن هناك مَن قال: إن التربية تملك أن تغير؛ لأن التربية تتعامل مع الإنسان، وتكوّن الإنسان، فالإنسان صانع التغيير، وصانع الحداثة.

وللجمع بين الأمرين، أقول: إن التربية وحدها عاجزة عن التغيير، وإنما لابد أن ينضم للجهد التربوى جهد سياسى واقتصادى واجتماعى وغيره، بحيث يشمل التربية بأشكالها المختلفة، فقد أصبح فى المجتمع اليوم تربية نظامية وتربية غير نظامية،

وتربية شبه نظامية وتربية عفوية. . وكل هذه المؤسسات تسرى فى شرايين التربية، وأى تغيير فى التربية عن طريق هذه المؤسسات، يسرى فى شرايين المجتمع.

فالفصل الآن بين التربية والمجتمع صعب جدا، والتربية تملك ـ من خلال ذلك- أن تغيّر، لأن منطلقها هو الإنسان صانع التغيير، فإذا تعاونت التربية مع غيرها، فإنها تستطيع أن تغير، عن طريق المؤسسات التربوية المختلفة.

ولكن : كيف أحدِّث الثقافة عن طريق التربية؟

إننى أحدِّث الثقافة ـ من وجهة نظرى ـ عن طريق تحديث العقل العربى، وتحديث العقل العربى مرتبط بالثقافة ارتباطا كاملا، إذا سلمنا بأن العقل هو مجموعة من المبادئ والقواعد والقوانين، التى تمنحها الثقافة للإنسان، ليواجه مشكلات ثقافته. . فالإنسان يفكر بثقافته وفى ثقافته، وإذا سلمت بأنه يمكن أن أحدث العقل العربى لينتقل هذا العقل العربى من صناعة الكلمات إلى صناعة الأفعال. . من نظم الأراجيز والشعر، إلى نظم الكون والحياة. . أحتاج إلى تحديث العقل، ليتفاعل مع الأشياء، وهذا له آليات تربوية كثيرة جدا، تتعلق بالتربية الإبداعية، ومن أهمها :

- تأكيد النظرة العلمية فى عمليات التحليل.
- تنمية وإرهاف حواس الطفل ليتفاعل بيده. . وأنا أستعير مقولة غاندى: إن فى اليد عقلا يفوق العقل الذى فى الرأس. وقد تمنى غاندى يوما أن تكون لديه قدرة شعرية، لينظم شعرا فى أصابعه الخمس، وقال: إن الولد يجب أن ينمو عن طريق العمل، وينمو أيضا عن طريق إبداع الخيال، لأن التربية الإبداعية قائمة على الخيال الحر المنطلق، فيركب الإنسان أجنحة الخيال، وينطلق ويوجد أشياء أخرى... ويكون العمل والخيال عن طريق المسرح والقصة وغيرهما.

ولابد أن نؤكد على المنهجية العلمية فى دراستنا، وأنا هنا أقول: إن المسألة تتعلق بأننا ـ فى تعليمنا ـ نسلخ المادة العلمية عن المنهج العلمى، فلا بد أن تدرس المادة العلمية بمنهجها العلمى، وتكون النظرة العلمية هى الأساسية لدى هؤلاء المتعلمين.

وهناك نوعان من الذكاء، كما يقول أهل علم النفس، هما:

- الذكاء المقارب، وهو الذى ينصبّ على حل مشكلة من المشكلات.

- الذكاء المباعد، وهو الذى يبتكر حلولا لمشكلات مطروحة، وهو الذى يبتكر ويُبدع، ويتطرق لآفاق جديدة.

إننى محتاج لهـذه التربية الإبداعية، لأنه بغير التربيـة الإبداعية، لن أستطيع أن أتوصل إلى تحديث العـقل، ولن أتوصل إلى تحديث الثـقافة، فـإن التربية الإبداعـية يمكن أن تنشأ فى البيت أو فى المدرسة، وكما قرأنا، فإن التربية من المهد إلى اللحد.

نحن فى مؤتمر الإدارة والتـربية المقارنـة، وأوصى بأن نقوم بتوعـية المدير، وإذا وعت الإدارة أن تطبق مقـاييس الإبداع، وأن تحتضن التلامـيذ المبدعين، وأن تحـتضن المواهب، وأن يقوم المعلم بدوره، بعد أن تتغير وظيـفته، من ناقل للمعرفة إلى مدرس أو معلم أو مرشد أو موجه أو قائد مشروع أو غير ذلك.

وأختتم هذا الكلام بالقول: إن التربية يجب أن تحدِّث الـثقافة، وتحديث الثقافة يتم عن طريق تحـديث العقل العـربى، ويتم تحديث العـقل العربى عن طريق التـربية الإبداعية، وأقول قولة الغزالى يوما، حين وقف وسط الناس وهم يفـسرون، فقال: «يا أيها الناس، أنتم ثرثارون فى عالم الغيب، وخُرس فى عالم الشهادة».. وأرجو أن نتحـول نحن من خُرس فى عالم الشهـادة إلى ثرثارين فى عالم الشهـادة كذلك، ولا أريد أن أقول (خُرس) أيضا فى عالم الغيب.

٧-٣- لغة الرياضة فى عالم متعدد الثقافات[١]:

أهلا بكم فى لغـة الريـاضة فـى عالـم متـعـدد الثـقـافـات، حـيث الحـرية والديمقـراطية.. حيث الـقيم والخبـرات المربّية الفاعلة، التـى نسعى جمـيعا إليـها، فالرياضة نشاط ثقافى، ولغة عالمية مـتعددة الوجوه، فهى أحد أهم الأشكال والقوالب الثقافية لحركة الإنسان.. ولقد فطن الإنســان مبكرا إلى ما يمكن أن تضيفه الحركة من إسهامـات قادرة على إثراء حياته، وتجـميل عالمه، والتواصل مع الآخـر، أيا كان هذا الآخر.

ففى بحثه الدؤوب عن لغـة أكثر تواصلا وملاءمة.. لغة تمكّنه من التـعبير عن مـشاعـره وأفكاره.. اندفع الإنســان إلى كل مـا هو مُـتاح حـوله من مـوادّ وظواهر

(١) موضوع مقولة الأستاذ الدكتور أمين أنور الخولى، أستاذ أصول التربية، ووكـيل كلية التربية الرياضية جامعة حلوان، فى الندوة.

وعناصر، فراح يعالج الأسطح بالأصباغ، وابتدع التصوير والرسم، وعالج الأحجار بمَطارِقه فابتدع النحت، وعالج الأصوات فيما بينها فابتدع الموسيقى والغناء، وجاء إلى الحركة ونسَّقها وبرع فيها، فابتدع الرقص والرياضة.

إن ما تجسده الرياضة المعاصرة من مظاهر اجتماعية واضحة، ينطوى على قدر من التناقض، فبينما نجد للرياضة بناء هيكليا متماسكا، من القواعد الأساسية والنظم، نجد - على الطرف الآخر - اختلافات واسعة فى التوجّهات والمضامين النظرية.

وحتى بدايات القرن التاسع عشر، ظل التهوين من شأن البحث الرياضى، والتقليل من أهميته، هو السائد. ولقد ساعد على ذلك تفشّى الأفكار اللاهوتية، التى كانت تحطّ من كل ما هو بدنى، ومن كل ما يتصل بجسم الإنسان، فضلا عن انتشار التربية الليبرالية، وإعلائها من شأن العقل على حساب البدن.

ولكن الصورة تغيرت تماما فى العصر الحديث، فلم تصبح الرياضة مجالا للبحث المنهجى فى سعيها لأن تكون نظاما أو حقلا أكاديميا فحسب، وإنما أصبحت من أحدث موضوعات البحث العلمى والفلسفى المعاصر، وكان ذلك لأسباب، أهمها بحث الإنسان المعاصر، وسعيه نحو الصحة واللياقة، ولأن الملعب الرياضى هو العالم الصغير Micro، الممهّد للعالم الكبير Macro.

فما هى المداخل المناسبة لدراسة الرياضة؟

كانت هناك حيرة حول أى المداخل أجدر بأن نأخذ بها فى دراسة الرياضة؟

فعندما ظهر علم نفس الرياضة، أخذ يتجاذب الأطراف مع مجال التربية البدنية، وهو المجال والمظلة الحامية للنظام الأكاديمى.. وبظهور الطب الرياضى، تنافس كل من الطب والتربية البدنية على احتوائه، ولكن أمكن تحديد مسارين أو مدخلين أساسيين لدراسة الرياضة، هما:

١- **مسار علوم الرياضة:** ومن أمثلة مباحثه: بيولوجيا الرياضة - وظائف أعضاء النشاط البدنى، الميكانيكا الحيوية - إصابات الملاعب - التغذية.

٢- **مسار إنسانيات الرياضة** : ومن أمثلة مَباحِثه : علم النفس الرياضى - الاجتماع الرياضى - فلسفة الرياضة- أنثروبولوجيا الرياضة- فنون وأداب الرياضة(٩).

ولقد سار المساران فى خطوط متوازية فترة طويلة، استمرت حتى منتصف القرن العشرين، حيث تمت محاولات ناجحة للعمل على تلاقيهما، تحت مسمى المدخل التكاملى، ويرجع الفضل فى ذلك إلى باحثين من خارج مجالات التربية والرياضة، وقد توّج هذا الاتجاهَ باحث مصرى، هو المرحوم **عبد الرحمن حافظ إسماعيل** وتلاميذه.

وفى المؤتمر العلمى الذى يسبق **أولمبياد برشلونه** بأسبانيا، لاحظنا أن ثلث المشاركين بأبحاث فى المؤتمر (وهو رياضى محض)، من باحثين فى مجالات مختلفة، فمنهم مؤرخون واقتصاديون وتربويون وأطباء وجراحون بل وأدباء وشعراء وفنانون.. فهل يمكن أن نعتبر ذلك دعوة لحضراتكم لإثراء الرياضة العربية، بأبحاثكم القيمة؟

نرجو ذلك.

وفى كتابه القيم **(الرياضة بحث فلسفى)**، أشار مؤلفه المفكر **بول ويز Paul Weiss**، إلى أن كتابه ـ كمؤلف ـ فى الفلسفة، وليس فى الرياضة، ولكن كتابه أفاد من يهتم بالرياضة أكثر مما أفاد فى الفلسفة. وتعتقد الباحثة **فلشين Felshin** أن ذلك أوفى لثراء البناء المعرفى للرياضة، فلنا أن نتوقع كل فترة ضيوفا جددا، ودروبا مستحدثة للبحث والتقصّى المتصل بالرياضة، فربما كان ذلك أدعى لظهور علم جديد، هو علم الرياضة، أو استكمال جوانب نظرية الرياضة (٧).

وعموما فالشواهد إيجابية ومبشرة، ولكنى أرى أن المدخل الاجتماعى التربوى سيظل هو الأقوى والأوضح، فى تناوله للشأن الرياضى إجمالا، لاعتبارات أهمها أن الرياضة ظاهرة اجتماعية.

والشكل التنظيمى للرياضة فى أقدم صورة يتمثل فى الألعاب الأولمبية القديمة، فى الحضارة الإغريقية قبل الميلاد، ثم استمرت ردحا طويلا حتى الحضارة الرومانية، ثم ألغيت، وكانت أحد المهرجانات ذات الطابع الرياضى، التى تقام للاحتفال بذكرى ملك أسطورى، أو طقس من الطقوس الدينية، أو لتكريم ضيف عظيم، كما ذكر **هوميروس فى الإلياذة والأوديسة** (٤).

وتشير بعض المصادر إلى أن أصول هذه الألعاب، إنما يرجع إلى المصريين القدماء، الذين عرفوا هذه الألعاب قبل الإغريق بأكثر من ألف سنة، كما أن بعض

المصادر أشار إلى أن أصلها هو ألعاب جلجاميش فى العراق القديم، وهناك رأى ثالث يرى أن الفينيقيين هم نقَلة هذه الألعاب إلى بلاد الإغريق، من كل من المصريين والآشوريين، فهم أهل تجارة وسفر (٣).

ولقد عرفت أغلب حضارات الشرق الأدنى والأقصى أشكالا من الرياضة، مثل الهند وفارس وتركيا والصين.

وعرف المسلمون ألوانا عديدة من الرياضة، مارسوها قبل بعث الرسول وبعده، وارتبطت بمراسم ونظم وآداب معينة، كما فهموا معنى قواعد اللعب ورسوخها، وأكدوا عليها.

وقد أوضح جرافز Graves «١٩٠٠»، أن الأصل الإيتومولوجى للرياضة Sport، هو Disport، بمعنى التحرك من مكان إلى مكان، وتعنى كذلك اللهو والتسلية.. ثم اختُصرت . كما استعرض جرافز التعريف المعجمى للرياضة، وأوضح أن المعانى تكاد تتعارض، ابتداء من فكرة التسلية أو الترويح، وحتى أنشطة المقاتلة فى المجتمع الرومانى، حتى استخلص أن الترويح البدنى هو أساس فكرة الرياضة، مع وضع المنافسة فى الاعتبار.. رغم أنها كثيرا ما تُفضى إلى التكسب والاحتراف، مما يُفقد الرياضة خصائصها (٢).

ويعتقد لورنز Lorenz أن الرياضة نوع من التعبير النفسى اللاشعورى للفرد، بينما يرى سيمونز Symons أنها فرص متاحة، يدرك - من خلالها - الفرد إمكاناته وقدراته، على نحو صحيح.

ويحدد شميتز Shmetze أهم خصائص الرياضة المعاصرة، فى المبالغة فى الفوز.. وتبريرات فنية تصل إلى حد الكفاية فى المهارة.. وأخيرا حضور المشاهدين(٣).

وأخيرا، عرفها رائد الاجتماع الرياضى لوشن ساج Lushen Sage بأنها (نشاط مفعم باللعب التنافسى، ذو مردود داخلى خارجى، يتضمن أفرادا أو فرقا تشترك فى المسابقة، حيث تتقرر النتائج فى ضوء التفوق فى المهارة البدنية أو الخطط).

وقد اعتُبرت الرياضة - عبر تاريخها الطويل - إحدى الوسائل الاجتماعية المقبولة، لتفريغ الدوافع والنوازع المكبوتة، وتخفيف مشاعر المعاناة والتوتر، التى يستشعرها الفرد حيال ضغوط الحياة أيا كانت، ولذلك كثيرا ما استخدمها الأخصائى النفسى الاجتماعى، كما ينصح التربويون الآباء بأن يدفعوا أولادهم للعب، للتخلص

من العدوانية، وللتنفيس عن بعض الدوافع والحاجات بشكل مقبول اجتماعيا. وتتمثل هذه الآلية فى أن النشاط البدنى يستلزم طاقة، فيعمل على تخليص الجسم منها، بدليل أن مظاهر التعب - بعد النشاط البدنى - هى أحد مظاهر استنفاد الطاقة، ومعروف أن هناك تلازما بين كل من الطاقة النفسية والبدنية(١). . فضلا عن التخلص من العدوانية، فقد تكون هناك مساحة ما للعدوانية فى الرياضة، ولكنها محكومة بقواعد لعب وجزاءات ولوائح، وكثيرا ما نسمع التربويين يشبهون ضرب الكرة بالمضرب أو بالعصا، بآلة تسمح بتخريج قدر كبير من العدوانية، حتى إن بعض أقسام الشرطة الأمريكية كانت تنظم مباريات فى كرة السلة مع شباب المناطق (الداخلية) الفقيرة بالمدن، من أجل تأسيس علاقات اجتماعية طيبة، وسلام اجتماعى مستقر، وهو ما أكدته دراسات **مظفر وكارولين وشريف**(٢).

كما استُخدمت الرياضة كآلية للتوافق بين البيض والأمريكيين من أصل أفريقى، فى سبيل إزالة التفرقة العنصرية، أو التخفيف من حدّتها، وكذلك استُخدمت فى الاتحاد السوفيتى السابق، كآلية لإزالة التناقض بين الثقافات المتعددة، التى كان يتكون منها قبل انفراط عقده. . وهو نفس ما عمدت إلى فعله إسرائيل، ولنفس السبب، لمجابهة التعددية الثقافية بها.

يضاف إلى ذلك استخدام الرياضة كآلية لحل الصراع الدبلوماسى، حيث استُخدمت فى العصر الحديث لحل الصراع بين أطراف متصارعة دوليا، وذلك لكونها تُعَدّ وسطا ممهدا وملائما ، لتخفيف حدة هذه الصراعات(٢).

ويعتقد **بوكوالتر** Bookwalter - مفكر التربية البدنية الأمريكى - أن التربية البدنية تقدم معملا فريدا متميزا لبث قيم الديمقراطية، بشرط توافر المناخ التربوى المتفهم(٣).

إنه - من خلال أنشطة الفريق - يثق الفرد فى اشتراك مفاهيمه مع مفاهيم الجماعة، ويتفهم الأنشطة التطوعية. . أى العمل لأجل المجتمع، دون مردود مادى، كما يتعلم القيادة من خلال توافر فرص بشكل عريض وعفوى، كما يتفهم ويتشرب مبادئ المساواة وتكافؤ الفرص.

ولذلك فالكلام يطول عن دور الرياضة فى تحقيق الانتماء، الذى هو مطلب وحاجة نفسية اجتماعية لا ينبغى تجاهُلها، والبديل لهذا الإنسان المنتمى، هو

اللامنتمى، أو المغترب، ومن خـلال الجماعة الصغيرة ـ متمثلة فى الفريق الرياضى ـ تنمو بذور الانتمـاء، وتتأكد مفاهيم التوحّد والاندماج والهوية. فـإذا كانت الرياضة متوافقـة مع مقتضيات الثقافـة فى المجتمع، ظهرت لنا الشخصيـة القومية، التى رآها **إسحاق كاندل** المفتاح الأساسى لفهم الأمم والشعـوب، وبذلك تسهم الرياضـة كواحدة من أهم القوى الثقافيـة ـ فى الارتقاء بنظم التعليم، وتحقيق أهدافه فى خلق المواطن الصالح(٥).

ولم يغال **هربرت ريد H. Read** عندما كتب:

«أنا أوافق بشدة عـلى أن التربية الرياضـية تمدنا بتـهذيب للإرادة، كـما أنى لا آسف على الوقت الذى يخصص للألعاب فى مدارسنا، بل إنه ـ على النقيض ـ يكون هو الوقت الوحيد الذى يمـضى على أحسن وجه. لقد أصبحت الأخـلاق الرياضية، وروح الفريق، تقليدا يضاف للتقاليد الاجتماعية الأخرى»(٦).

ولقد تأسست الرياضة ـ عبر تاريخها ـ على أسس من القيم الاجتماعية، بل لنا أن نعتبـر ذلك أهمّ أسُسها على الإطلاق.. إذا مـا نشدنا عوائدها ومردودهـا الثقافى والتربوى. وقد تساءل مفكر الوجودية **سارتر J. P Sarter**:

«ما حقـيقة اللعب والرياضة.. إن لم تكن ذلك النشـاط الذى يعود أصله إلى الإنسان نفسه، فهـو الذى وضع لها قواعدها، وصبغها بقـِيَمه، وكان يرمى إلى هدف معين واضح، وهو أن يحقق ذاته»(٨).

وإذا أردنا وضع أيدينا على داء الرياضة المعاصرة، سواء فى مصر أو فى غيرها، فهـو لا شك داء الأخلاق.. فقـد كانت الروح الريـاضية واللعب النظيف والتسـامح ـ دوما ـ هى الإطار القيـمى، الذى حفظ الرياضة عبـر مسيرتها الإنسـانية الطويلة.. وتجاهُل هذه الحقيقة كفيل بهدم النظام الرياضى من أساسه.

إن للرياضة وجهـا اتصاليا وتعبيـريا، عالى القيمة، فـهى تنطوى ـ فى التحليل النهائى لـها ـ على معـانى عميـقة، حـيث الأداء البدنى لا يعـدو أن يكون جزءا من كل.. ولهذا وصف **مارش Marsh** ملاعب كـرة القدم الإنجليزية، بأنها «مـجالات صالحة للتعبير الطقوسى عن الحرمان أو العدوان»(٢).

ويعتقد لارسون Larson أن «الرياضة تقدم وسطا شخصيا، مع أقل حد ممكن من القيود. . فيتخفف الإنسان من قيود النسق الاجتماعى كالمكانة، وتردّه الممارسة الرياضية إلى النسق الطبيعى فى إطار تطهُّرى» (١٠).

كما يعتقد مانجان Mangan أن «للرياضة مظهرين أساسيين، الأول طقوسى Ritualistic ـ والثانى درامى Dramatic»(٧)، حيث يتمثل المظهر الطقوسى فى المظاهر الاحتفالية المصاحبة للمنافسات، افتتاحا وختاما، ومراسم توزيع جوائز، واحتفاء بالأبطال. . إضافة إلى الالتزام بقواعد اللعب وقوانينه، فالرياضة تُعدّ من أكثر النماذج الاجتماعية التزاما بقانون، كأنه التابو. . كما أن هناك دلائل إثنوجرافية، تؤكد المعنى الطقوسى، كالزى الأبيض الذى لازم الرياضة طويلا، وكالتميمة أو التعويذة Mascot، وكتسمّى الفرق بأسماء الحيوانات، كآثار طوطمية، على نحو ما أشار رالف لينتون R. Lenton.

وأما المظهر الدرامى فيتبدّى فى مظاهر التعبير، التى تبدو واضحة جليلة فى المسابقات الرياضية، حيث يتجاوز الأداء مجرد الموصوف، إلى أداء نفسى حركى، مَشُوب بالمشاعر، ومُفعَم بذاتية الرياضى، معبرا عن رؤيته الشخصية للأداء، كما أنه درامى من منظور اللاعب، عندما يتلقى مظاهر الإعجاب من الجمهور، شأنه شأن أى ممثل يجيد (لعب) دوره على المسرح. كما أنه درامى من منظور المشاهد، الذى يتقمص شخصية اللاعب، ويتوحد معه، حتى ولو أمام التليفزيون، وما يتبع ذلك من خيال وإثارة، ترفع من الذروة الدرامية للمشاهدين، ثم تدخل عقدة الدراما، وتنتهى أحداث المباراة، أو يُرفع الستار. . ويخرج الناس إلى بيوتهم وأعمالهم وهم أكثر تطهرا ونقاء.

إن ما سبق تناوُله إنما هو قطرة من غيث، إذا ما أردنا أن نعطى الرياضة قدرها التربوى، وحقها الثقافى الاجتماعى. . فأوجزتُ قدر ما استطعت. . لكن سيظل أمر نجاح لغة الرياضة فى عالم متعدد الثقافات مرهونا ـ دوما ـ بمدرس التربية الرياضية أو الأخصائى، المؤهل . . مدربًا أو منظما أو حكَمًا، ممن يتبنَّون المدخل التربوى للرياضة، ويؤمنون بها كثقافة. . فهم سدَنَة بيت الرياضة الحقيقيون.

المراجع

أولا : المراجع العربية:

١- أسامة كامل راتب: **علم نفس الرياضة**، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٥.

٢- أمين أنور الخولى: **الرياضة والمجتمع**، سلسلة عالم المعرفة، العدد «٢١٦»، الكويت، ١٩٩٦.

٣- أمين أنور الخولى: **أصول التربية البدنية والرياضة : المدخل - التاريخ - الفلسفة - المهنة - الإعداد المهنى - النظام الأكاديمى**، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٥.

٤- عبد الغنى عبود: **التربية المقارنة فى نهايات القرن**، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٣.

٥- كمال عبد الحميد، وأمين الخولى، وأسامة راتب: **موسوعة الثقافة الأولمبية**، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠.

٦- هربرت ريد: **التربية من أجل السلام**، ترجمة حمزة الشيخ، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٤.

ثانيا : المراجع الأجنبية :

7- Felshin. Jan: More Than Movement: **An Introduction to Physical Education** .Lea & Febiger Phi. 1972.

8- Haag. H: **Theoretical Foundation of Sport Science as a Scientific Discipline**. Sport Science Studies. ICSSPE. NO. 6. Verla Karl Hofmann. 1994.

9- Larson. L: **Foundations of Physical Activites**. Macmillan. N.Y. 1976.

10- Vanderzwaag H.J: **Toward a Philosophy of Sport**. Addison-Wesly CO. Massachusetts. 1972.

٧-٤- دراسة مقارنة لتدريس المواد العلمية باللغة العربية [١]:

قد يبـدو عنوان الورقة مختلفـا عن عنوان الجلسة، ولكن اسمحـوا لى -يقول **الدكتور محمد الحَملاوى**- أن أشير إلى أن هذا يبدو فقط للوهلة الأولى، لأن التعليم ليس تلقيـا فقط، وإنما هو حوار بين كل من المدرس والوسيلـة التعليميـة ـ من كتاب وغيـره ـ وبين الطالب. . وهذا الحوار وإن بدا صـامتا فى كـثير من الأحـيان، إلا أنه حوار تعود فائدته على الطالب أساسا، كما تعود على المدرس. . وحتى الكتاب الذى نظن أن ما بين دفتيه لن يتـغير، نجد دفتيه ترحبان بنا فى كل مرة نفـتح فيها الكتاب، ومن ثم أرى أنه حوار بترحيب، وليس حوارا صامتا.

وأضيف أن الحـوار يتضمن ـ فى ذاته ـ تعددية الـرؤية، حتى يمكننا إثراء ناتج الحوار ذاته، وهذا يمكن أن يوجد حينما تتـلاقى العلوم مع بعضها البعض، وفى هذه الجلسة نجدها مـتحققة فى تلاقى الهندسة مـع التربية، وأزعم أنها تتمثل كـذلك فيمن جمعوا بين هذين التخصُّصين، وأرجو أن أكون منهم، حيث حصلتُ ـ فى فترة سابقة من حياتى ـ على دبلوم فى التـربية، ومن ثم فإننى أعتبر نفسـى ممن يتعامل مع حوار التخصُّصات عندما أجمع بين حرفتى التربية والهندسة.

مدخلى فى هذه الجلسة - يقول **الدكتور محمد** - مختلف قليلا عما سمعناه، فنحن حـينما نتكلم عن لغـة الحوار، فـإننى أثنى على تفـعيل هذه اللغـة بين الطالب وآليات العملية التعليمية.

وسـأركـز فى هذه الورقـة على اللغـة التى يتم بهـا الحـوار بين الطالب والمادة التعليمية.

لقد أجريتُ الدراسـة على طلبة جميع المدارس التى بهـا ـ وفى نفس المدرسة ـ بعض الفصول التى تُدرس بها المواد العلميـة . . مثل العلوم. . باللغة العربية، وبعض الفصـول التى تُدرس بها تلك المواد بـاللغة الأجنبيـة، وذلك فى منطقتـين من مناطق القاهرة. . أى أننى لم آخـذ مدارس مختلفة، حـتى أستطيع أن أوحد جمـيع العوامل عدا عامل اللغة. . حيث الإدارة واحدة، ومسـتوى الطلبة واحد، والمصاريف واحدة، والمكان واحد.

---

(١) موضوع مقولة الأستاذ الدكتور محمد الحَملاوى، أستاذ الحاسبات بكلية التربية، جامعة الأزهر بمصر، فى الندوة.

وهكذا، فقد شملت الدراسة أكثر من منطقة، وأكثر من مدرسة، حتى تكون الفروق الفردية فى أقل وضع ممكن، وحتى نقلّل من العوامل الخاصة التى ترتبط بمدرسة بعينها.

وأود أن أشير إلى أن الدراسة قد شملت جميع الطلبة فى تلك المدارس، ولم تقتصر على عينة منهم فقط.

ولقد انصبّت الدراسة على نتائج امتحان شهادة إتمام المرحلة الإعدادية، لعامين متتاليين، وهى شهادة تأتى امتحاناتها من الوزارة، ولا يكون للمدرسة دخل فيها.. حتى تكون مصداقية الدراسة متحققة بدرجة أعلى. وسأسرد نتائج الدراسة بالأرقام، ثم أشير إلى ما خلصتُ إليه من تلك الأرقام.. كما سأشير فى حديثى إلى المدارس التى تدرس العلوم والرياضيات باللغة العربية بمصطلح مدارس اللغات، سواء كانت مدارس تجريبية أو مدارس خاصة.

ولقد انصبّت الدراسة على ثلاث شرائح للتفوّق، تشمل -أولاً- الحاصلين على درجات تساوى أو أكثر من ٩٥٪، وثانيا الحاصلين على درجات تساوى أو أكثر من ٩٠٪، وثالثا الحاصلين على درجات تساوى أو أكثر من ٨٥٪.

وبدهى أن التفوّق فى مادة اللغة العربية كان من نصيب طلبة المدارس العربية، وذلك نتيجة تعرُّض الطلبة للغة العربية لفترة زمنية أطول، وقد يرجع ذلك لأسباب أخرى لم أتطرق إليها فى بحثى. كما أن التفوق فى مادة اللغة الأجنبية كان من نصيب طلبة مدارس اللغات، لنفس أسباب تفوق طلبة المدارس العربية فى مادة اللغة العربية.

ولكن خارج هاتين المادتين، سنجد نتائج أخرى.. ففى مادة الدراسات الاجتماعية، وجدتُ أن طلبة المدارس العربية حققوا معدلات تفوّق، أعلى كثيرا من قرنائهم فى مدارس اللغات.. كما تشير الأرقام إلى نفس النتيجة فى مادتى الرياضيات والعلوم. واللافت للنظر كذلك أنه لم يحصل أى طالب من طلبة مدارس اللغات على الدرجة النهائية فى مواد الدراسات الاجتماعية والرياضيات والعلوم، فى حين حصل بعض طلبة المدارس العربية على الدرجات النهائية فى تلك المواد الثلاث.. أى أن مردود العملية التعليمية باللغة العربية فى هذه المواد، أفضل من مردود العملية التعليمية باللغة الأجنبية، مع تحييد جميع العوامل الأخرى، كما أشرت آنفا.

وهنا أشير إلى أن المنهج الذى درسته المجموعتان هو منهج دراسى واحد، تغيرت - فى بعض مواده فقط - لغة التدريس، كما أشير إلى أن الدراسة قد شملت جميع طلبة المدارس التى انطبقت عليها شروط البحث، فلم تتم الدراسة على عينة من الطلبة، حتى نستبعد مظنّة تحيُّز العينة، وحتى تكون النتائج أدق قدر المُستطاع.

كما شملت الدراسة مقارنة نتائج المجموعتين، بعد استبعاد درجة مادة اللغة الأجنبية، من المجموع الكلى للطلبة.

وها هى النتائج الرقمية للدراسة:

بالنسبة للمجموع الكلى، شاملا جميع المواد لطلبة المدارس العربية .. حصل ٢,٩٪ منهم على ٩٥٪ أو أكثر من المجموع الكلى، وحصل ١٣٪ منهم على ٩٠٪ أو أكثر من المجموع الكلى، وحصل ٢٤,٤٪ على ٨٥٪ أو أكثر من المجموع الكلى. ولقد حصل طلبة مدارس اللغات - فى المقابل - على ٣,١٪، و١٠,٨٪، و٢٤,٦٪ لنفس المجموعات. ويتبين هنا أن التفوق ليس مقترنا بمدارس اللغات، كما هو الانطباع الذى يُراد ترسيخه فى أذهاننا، وحيث تمّ إشاعة هذه المقولة الخاطئة، والتركيز - دون سنَد - عليها.

وحتى يمكننا تقييم مدى استيعاب الطلبة لأساسيات المواد العلمية، فلقد أُنقِصت درجات اللغة الأجنبية من المجموع الكلى، وقارنا نتائج الطلبة بعد ذلك، فوجدت أن نسبة الطلبة الحاصلين على ٩٥٪ فأكثر فى المدارس العربية لم تتغير، حيث لم يخرج أحد من هذه الفئة، وأصبحت النتيجة بالنسبة لمدارس اللغات صفرا، بعد أن كانت ٣,١٪. أما بالنسبة لفئة الحاصلين على ٩٠٪ فأكثر فى المدارس العربية، فلم تتغير نسبتهم تقريبا، حيث خرج بعض الطلبة من هذه الفئة ودخلها آخرون، لتصبح النسبة ١٢,٥٪ بدلا من ١٣٪. وأما بالنسبة لطلبة المدارس العربية الحاصلين على ٨٥٪ فأكثر، فلم يخرج أحد منهم خارج هذه الفئة، لتستمر نسبتهم ٢٤,٤٪، فى حين هبطت نسبة طلبة مدارس اللغات من ٢٤,٦٪ إلى ١٠,٨٪.

وتشير الأرقام كذلك إلى أن ٥٠٪ من طلبة مدارس اللغات تغيرت حالتهم بالسالب، وخرج منهم ٣٠٪ خارج فئة الحاصلين على ٨٥٪ فأكثر، حيث لم يحققوا الحد الأدنى للفئة، وهو ٨٥٪، بينما لم يخرج أى طالب من طلبة المدارس العربية خارج هذه الفئة.

وأما بالنسبة للتغيُّرات الداخلية التى حـدثت فى مجموعة الطلبة الحاصلين على ٨٥٪ فأكـثر، وأعنى بها تغيُّـر حالة بعض الطلبة بين الفـئات الثلاث: ٩٥٪ فأكـثر - ٩٠٪ فأكثر - ٨٥٪ فأكثر، فكانت بالنسبـة للمدارس العربية بالسالب (بنسبة ٦,٧٪)، ولكن صاحَبَ ذلك تغير داخلى بالموجب، بنسبة ٢,٥٪، لتكـون نسبة التغير السالب الداخلى الكلى لمجمـوع المدارس العربية ٢,٤٠٪، فى مقـابل ٥٠٪ فى حالة مدارس اللغـات، وذلك حال استبعـاد درجة اللغـة الأجنبيـة من المجمـوع الكلى، بالنسبة لمجموعات التفوق الثلاث.

أخلص - من هذه الأرقـام - إلى أن تدريس المواد العلميـة باللغـة الأجنبيـة لم يحسِّن العملية التعليمية، بل إنه - على العكس - حقق لطلبة المدارس العربية معدلات تفوُّق أعلى من طلبة مدارس اللغـات فى المواد العلمية. وطالما أن إدخال نظام تدريس المادة العلميـة باللغة الأجنبية - فـيما يسمى بمدارس اللغـات - لم يتم بناء على دراسة علمية، ولـم يتم تقييمه فـيما أعلم حتى الآن، فـإننى أرى أن سبب وضع هذا النظام يرجع - أساسا - كـما قال ابن خلدون - إلى أن المنهزم مولع دائما بتـقليد الغالب أو المنتصر.. فنحن فى وضع أقل من الوضع العالمى، من حيث التـقنيات وأشياء كثيرة، ولمجرد الدلالة على هذا الرقم، أشير إلى أن الناتج القومى الإجمالى لخمس وخمسين دولة إسلامية، مـجموع سكانها مليار وربع مليار نسـمة، هو ١١٥٠ مليار دولار فى عام ١٩٩٤م، فى مقـابل ٥٥٠٠ مليار دولار فى حالة اليابان فـقط فى نفس العام.. أى أن اليابان، التى يبلغ عـدد سكانها ١٢٠ مليون نسـمة، تنتج ٤,٧ مثل ما تنتـجه جميع الدول الإسـلامية.. وهذا الرقم يدخل فيه العـمل والخامات وكل شىء. ولسنا فى حاجة إلى الإشارة إلى أن أغلب ما تنتجه الدول الإسلامية هو عبارة عن مواد خام وبترول وغـيره، بينما لا تملك اليـابان تقريبا أية مـواد خام، وبالتالى فـالناتج القومى الإجمالى لها يأتى أغلبه من العمل.

النقطة الثانية التى أودّ أن أشير إليها، هى أننى أعتقد أننا نحاول - بأى طريقة - وبأى وسيلة - أن نحصل من الطلبـة على ثمن العملية التعليميـة. وأعتقد أن هذا هو أحد الأسـباب التى دفـعت الكثيـرين، بجانب النظرة الدونيـة التى ينظر بهـا البعض لأنفسهم -إلى التوسع فى مدارس اللغات، وإغـلاق المدارس الحكومية، لتحل محلها المدارس التى يطلق عليها المدارس الـتجريبية.. وهو ما يفـسر لى -على الأقل- عدم

تقييم تجربة مدارس اللغات، بما فيها المدارس التجريبية، ويجعلنى أتساءل: ما الفائدة التى تعود علينا وعلى نظامنا التعليمى، من إظهار نظام مدارس اللغات هؤلاء الطلبة على غير مستواهم الحقيقى فى المواد العلمية؟ وما هو مردود العملية التعليمية بالنسبة لهؤلاء الطلبة، حينما ترفع درجة اللغة الأجنبية مجموعهم الكلى، لتترسخ فى الأذهان شائعة التفوق النسبى غير الحقيقى لهؤلاء الطلبة،على أقرانهم طلبة المدارس العربية؟

إن الدراسة تشير إلى أن خريجى المرحلة الإعدادية من مدارس اللغات، يكون مستواهم فى المواد العلمية ـ غير موادّ اللغات ـ أقل من مستوى نظرائهم خريجى المدارس العربية، رغم أن ما يروّج له هو عكس هذه المقولة، وذلك لأن نسبة محسوسة من المجموع الكلى لدرجات طلبة مدارس اللغات تأتى من مادة اللغة الأجنبية، التى يتم بها تدريس المواد العلمية لهم.

ومن ثم يمكننا استنباط أن مردود العملية التعليمية بالنسبة للموادّ العلمية، أقل فى مدارس اللغات، بالنسبة لخريجى المرحلة الإعدادية، ورغم ذلك نتوسع فى مدارس اللغات ونعتبرها هى النمط، ولا أدرى ما هو السبب؟ هل هو أيضا نظرتنا الدونية إلى مقوماتنا؟ أم هو عدم قدرتنا على وضع منظومة حضارية لمستقبلنا؟!

أعتقد أننى قد وفيت ما أريد أن أقوله، بالنسبة لهذه المقارنات، التى تمت على خريجى بعض المدارس الإعدادية، التى توخيت فيها تحييد وتوحيد مختلف العوامل التربوية، عدا عنصر لغة التدريس، وخلصت منها إلى أن تدريس المواد باللغة الأجنبية فى مدارس اللغات والمدارس التجريبية يقوض المستوى التعليمى لطلاب هذه المدارس.. وهو أمر أعتقد أنه به تتكامل أركان قضية غش وفساد أو قضية رشوة، حيث يحصل الطالب على مقابل لمعرفته باللغة الأجنبية، يفوق كثيرا مستواه العلمى الحقيقى، ثم يتفوق على أقرانه من خريجى المدارس العربية فى المجموع الكلى. ورغم أن هذا التفوق ليس كبيرا، وليس فى كل المجموعات، حيث كانت نسبة تفوق المستويات الثلاثة على التوالى هى ٢,٩٪، و١٣٪، و٢٤,٤٪، بالنسبة للمدارس العربية، فى مقابل ٣,١٪، و١٠,٨٪، و٢٤,٦٪ بالنسبة لمدارس اللغات.. إلا أن هذه النسب لا تعطى مؤشرا حقيقيا للمحتوى العلمى للطلبة، لأننا حينما استخلصنا مادة اللغة الإنجليزية من المجموعتين، وجدنا أن المدارس العربية أعطت مردودا أعلى بكثير من مدارس اللغات، حيث كانت النسبة المقابلة على التوالى هى ٢,٩٪،

١٢,٥٪، ٢٤,٤٪، بالنسبة للمدارس العربية، فى مقابل صفر، و٩,٣٪، و١٠,٨٪ بالنسبة لمدارس اللغات.

إننى لا أنكر احتياجنا للغة الأجنبية، حتى نستطيع أن نطّلع على الجديد فى العلم، والجديد فى الثقافة، والجديد فى جميع مناحى المعرفة.. بل وأضيف أننا يجب أن نجوّد فى تعلّم هذه اللغات الأجنبية، بجانب تجويدنا فى تعلم لغتنا العربية، حتى يمكننا أن نحقق الهدف من تعلم تلك اللغات الأجنبية.

ولكننى أضيف أن هذه اللغة الأجنبية، قد طغت على لغتنا الأصلية، خاصة فى مجال التعليم، دون ما حاجة ملحة إلى ذلك، وأكرر أننى أعتقد أن لغتنا العربية آن لها أن تكون لغة الحوار بين مختلف فروع العلم فى بلادنا، سواء فى المدرسة أو فى غيرها من مناشط حياتنا. وفرق كبير بين أن نتعلم بلغتنا تعليما يقودنا إلى التفوق، وأن نتعلم بلغة أجنبية تعليما تشير الدراسات إلى تدنى مردوده العلمى.

٧-٥- تعقيب المؤتمر: عدوى تعليم العلوم باللغة الإنجليزية انتقلت إلى الأزهر[1]:

وقد بدأ الدكتور **محمد سيف الدين فهمى** -رئيس الجلسة- التعقيب على مقولة **الدكتور محمد الحملاوى** تحديدا بقوله: أعتقد أن ورقة **الدكتور محمد الحملاوى** تثير قضية هامة وخطيرة جدا، ورجال التربية مدركون لها منذ فترة، وهى تدريس العلوم باللغة الأجنبية، فيما يعرف بمدارس اللغات، أو المدارس التجريبية. ولكن الجديد هو أنه توصل بالفعل - من خلال البحث - إلى أن تدريس الرياضيات والعلوم باللغة الإنجليزية لم يُحدث تغييرا إيجابيا فى استيعاب الطلاب لهذه المعارف العلمية والرياضية.

إن هذا الكلام يتحدث عنه رجال التربية، وأذكر أننى -فى مرة من المرات- أثرت هذه القضية أمام الوزير: كيف نعلم الأولاد - فى سن مبكرة - بالمدارس الابتدائية والإعدادية - الجهاز الهضمى باللغة الأجنبية؟ إنها عملية غير معقولة، وأنا ضدّ فكرة أن نعلم العلوم والرياضيات باللغة الإنجليزية. إننا إذا أردنا أن ننمو علميا، وأن نجعل العلوم والرياضيات يفكر فيها أبناؤنا، فإنه يجب أن يكون الفكر باللغة

---

(١) من تعقيب الأستاذ الدكتور محمد سيف الدين فهمى، الأستاذ المتفرغ بكلية التربية، جامعة الأزهر بمصر، والعميد الأسبق للكلية، ورئيس الجلسة، على المحاضرات الثلاث.

العربيـة، لا لتنمية اللغة العـربية، ولكن لإحداث المنهج الفكرى والعـقلى لتعلُّم هذه العلوم.

واعتقد أن هذه قضية خطيـرة جدا: أن ننشئ مدارس بمصروفات، حتى نخفف العبء المادى عن الوزارة، لأنها مسألة ضـد الديمقراطية، ولأن فيها تحـيُّزا، فمدارس اللغات أصبحت مدارس أبناء المتـميزين اجتماعيا، وليس المتـميزين عقليا، فى الوقت الذى أصبحت - فيه - المدارس الحكومية مدارس أبناء البوابين، ومدارس الفئات الدنيا، مما لابد أن يترتب عليه نوع من الانفصـال الاجتماعى والتحيُّزات الاجتـماعية الخطيرة جدا.

إن ابنتى فى إحدى المدارس التى بها أقـسام لغة أجنبية ولغـة عربية، وابنتى فى القسم العربى، وهى عندما تتحدث مع زميلاتـها فى أقسام اللغة الأجنبية تقول: إنهم كما لو كـانوا من بلاد أخرى، فهم يتعالون علينا، ويعـاملوننا معاملة سيئـة، كما لو كانوا من طبقة أخرى.

وحتى الأزهر، الذى هو معقل اللغة العـربية، جعل التدريس فى بعض المعاهد الأزهرية فى مواد الرياضـيات والعلوم باللغة الإنجليـزية، وهى عملية غـير مفهـومة، وعمليـة ليس بها أى إحساس بالانتـماء، ولا بتربيـة هوية، ونحن نعتبر ذلك مـسألة خطيرة، كما يجب أن نفكر فـيها، ويجب أن تكون هناك قوة حقيقـية، تجعل التعليم فى جميع مراحله - فى العلوم والرياضيات - باللغة العربية.

ولماذا نذهب بعيدا؟ لقد تعلمنا جميعا الـعلوم والرياضيات باللغة العربية، وكبار أساتذتنا وزملائنا الذين نبغوا فى العلوم درسوا العلوم باللغة العربية.

إن أبناءنا الذين نجحوا في الثانوية العامة باللغة العربية، نجحوا فى دراسة الطب باللغة الإنجليزية، ونحن عندما خرجنا فى بعـثات، لم نتعلم اللغة الإنجليزية، وأنا ممن تعلموا اللغة الألمانية، عندما ذهبت لألمانيا، وبعد سنتين أصبحت أتقن هذه اللغة.

إنها قـضية خطيـرة جدا: أن أجعل أولادا فى سن الـزهور - فى سن الابتدائى والإعدادى - يحفظون العلوم والرياضيات باللغة الإنجليزية، وكنا نتمنى أن نغرس العلم فى عقولهم، فيفكروا فى العلم باللغة العربية.

٧-٦- وتعقيبات الحضور:

٧-٦-١- لا خوف على العقل العربى من تحديثه، والرياضة أخلاق[١]:

ثم انتقل التعقيب إلى الدكتور بدر الدين على الذى رأى أن هناك علاقة طريفة بين الدكتور حسن وموضوع الدكتور الحملاوى، فقد تحدث الدكتور حسن عن تحديث العقل العربى، وإن أول دروس الاجتماع التى أخذناها ونحن صغار، أنهم كانوا دائما يربطون بين ثلاث عمليات هى:

التحديث، والتغريب، والتصنيع، وكأنها تسير فى اتجاه واحد.. وكان هذا الكلام منذ عشرات السنين، وكل ما أرجوه من الدكتور حسن هو أن يضيف كلمتين فيما يتعلق بالخوف من عملية تحديث العقل العربى، بحيث يباعد بينه وبين تغريب هذا العقل. وبالنسبة للدكتور الحملاوى.. هو رجل مهتم بالتعريب، الذى هو عكس التَغريب، ومن ثم أخذ موقفا ضد التغريب، وينادى ـ بمنتهى الحماس ـ بعملية التعريب، وقد أتى بمعلومة مفيدة جدا، حيث أظهر لنا كيف أن التلاميذ فى المدارس الأجنبية، الذين يتعلمون باللغة الأجنبية، حصلوا على تقديرات أقل من تقديرات الذين درسوا باللغة العربية، وأعتقد أنها مهمة بالنسبة لمن يقولون: إن المدارس الأجنبية هى المتقدمة اليوم. كما أتى لنا بمعلومة تعيد إلينا الثقة فى لغتنا وانتمائنا.. وليته يضيف كلاما تحدث عنه فى مؤتمرات سابقة، عن تجارب الدول الأخرى فى عملية التعريب، ومنها سوريا.

وأخيرا، وليس آخرا، بالنسبة للدكتور أمين الخولى، يمكن أن يضيف كلمة متعلقة بأخلاقيات التربية الرياضية، فنحن ـ فى الصغر ـ كانوا يقولون لنا: إن الرياضة أخلاق، وكانوا يقولون عن الرياضى إنه (جنتلمان)، وهناك شخصيات استطاعت أن تثبت أن الرياضة أخلاق، مثل محمود الخطيب، وإن كان هناك للأسف نماذج أخرى نخجل من تصرفاتها.

٧-٦-٢- الإسلام يدعو إلى التغيير، والتربية تعنى التغيير[٢]:

ثم جاء دور الدكتور صالح الراشد، الذى رأى -تأييدا لكلام الدكتور حسن عبدالعال ـ أن الإسلام يدعو إلى التغيير كما نرى فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إنَّ اللَّهَ

---

(١) من تعقيب الأستاذ الدكتور بدر الدين على أستاذ علم الاجتماع بجامعة لويزفيل بالولايات المتحدة الأمريكية.

(٢) من تعقيب الدكتور صالح لراشد، المدرس بكلية التربية جامعة الكويت ـ الكويت.

لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ...﴿١١﴾ [الرعد]، صدق الله العظيم، وكما نرى فى قول النبى الكريم ﷺ فى حديث أبى سعيد الخدرى -رضى الله عنه «من رأى منكم منكرا فليغيّره». . فالإسلام دعا إلى التغيير، والتربية فى مختلف مشتقاتها اللغوية، وفى المعجم، تدعو إلى التنمية والترعرع، وهى كلها- فى مفاهيمها المختلفة- تعنى التغيير. إن الإنسان بالضرورة يتغير، ومن ثم فهو ينمو.

٧-٦-٣- نحن متميزون كأفراد، ولكننا لا نستطيع أن نعمل كفريق، لا وقت للرياضة فى تعليمنا[١]:

ثم جاء دور **الدكتورة إيمان أحمد الشربينى**، التى قالت: إنها كانت فى الولايات المتحدة الأمريكية، ورأت أن عندنا مشكلة أساسية، هى أننا لا نستطيع أن نعمل كفريق، أو كمجموعات عمل، مع أننا - كأشخاص - متميزون جدا جدا فى جميع المجالات، وعندنا إبداع على كل المستويات، ولكننا عندما نعمل كمجموعات، لا نحقق نفس النتيجة.

وبالنسبة للأستاذ **الدكتور أمين الخولى**، وأن جميع الرياضيين عندهم أخلاق، وعندهم مبادئ مهمة جدا، نجد أن الرياضة تنمّى الأشخاص، وتجعلهم متميزين، ونحن فى مدارسنا نعانى معاناة شديدة. . فلا يوجد مدرسو تربية رياضية فى المدارس. . هذا بالإضافة إلى أنه توجد إشكالية مهمة جدا، وهى أن وقت الرياضة لا يتوافق تماما مع وقت المذاكرة، فمتى يذاكر الطفل؟ ومتى يلعب رياضة مع الكم الضخم من الدروس التى يُفترض أن يستوعبها فى المدرسة؟

٧-٦-٤- لو درسنا المواد العلمية باللغة العربية، فهل سيكون عندنا أحمد زويل وفاروق الباز؟[٢]:

ثم انتقل التعقيب إلى **الدكتور أحمد الشافعى**، الذى تمنى مزيدا من الكلام فى موضوع التربية وحوار الثقافات، فإننا بالأمس سمعنا عن صدام الحضارات، وصدام الثقافات، واليوم نسمع أيضا عن تفاعل، ونسمع عن التربية والثقافة، والتربية

(١) من تعقيب **الدكتورة إيمان أحمد الشربينى**، بمعهد التخطيط القومى بالقاهرة - مصر.
(٢) من تعقيب **الدكتور أحمد الشافعى** أستاذ مساعد الإدارة والتخطيط والدراسات المقارنة بكلية التربية جامعة الأزهر، القاهرة - مصر.

وللمجتمع، فكنا نريد المزيد، فأنا -حقيقة- يقول الدكتور أحمد- لم أشبع، وليت المؤتمر كان قد أفرد محاضرة كاملة لهذا الموضوع: التربية وتعدد الثقافات، وختم تعقيبه بسؤال الدكتور محمد الحملاوى سؤالا شخصيا:

هل لو درسنا المواد العلمية باللغة العربية، ستخرّج التربية لنا أحمد زويل، وفاروق الباز، والمشدّ.. إلخ، مرة أخرى؟

٧-٦-٥- إن كل مجتمع يجب أن يخلق نموذجه الخاص به لتحقيق تقدمه[١]:

ثم جاء دور الدكتور عبد الجواد السيد بكر فى التعقيب، ليرى عدة أمور، أولها أن لغة الحوار تدخل فيها التكنولوجيا، وتدخل فيها العقيدة، وتدخل فيها الفلسفة، ويدخل فيها الاقتصاد، وتدخل فيها الجوانب السياسية، ويدخل فيها العديد من الأمور داخل المجتمع، ومن ثم فإنها قضية من قضايا التربية المقارنة بالدرجة الأولى.

ثم يتساءل الدكتور عبد الجواد مستنكرا: لماذا نربط الحداثة دائما بالنموذج الغربى، حيث يقال - دائما - إن النموذج الغربى هو السقف.. هو الذى يجب أن نصل إليه؟

إنها قضية فى منتهى الخطورة فى نظره، أن نقول: إن مجتمعا من المجتمعات يسير على نفس الخطى، وعلى نفس المسار، لكى يصل إلى التقدم الذى حققه المجتمع الغربى، وذلك لأنها تلغى تماما جانب الثقافات، وارتباط الثقافات بالبيئة الاجتماعية، والبنية الاجتماعية التى عاشت فيها، والتى وجدت فيها، وهو يذكرنا بأن اليابانيين قالوا: قلدوا الغرب ثم اسبقوه، وأن الشجرة اليابانية لابد أن تكون جذورها يابانية، وأن اليابانيين دائما يقولون عن أطفالهم: نحن نعلمهم، ولكن ليظلوا بنفس الجذور اليابانية.

وينهى الدكتور عبد الجواد تعقيبه بقوله:

إننى عندما أتحدث عن الحداثة، فإننى أفضل ألا أقول (الحداثة)، وإنما أقول التحديث، خاصة وأن مذهب الحداثة قد لا يناسب المجتمع الإسلامى.

(١) من تعقيب الدكتور عبد الجواد السيد بكر، رئيس قسم التربية المقارنة والإدارة التعليمية بكلية التربية بكفر الشيخ - جامعة طنطا - مصر.

٧-٦-٦- تهميش التربية الرياضية فى مدارسنا مدمِّر لأجيالنا القادمة[١]:

ثم ينتقل التعقيب إلى **الدكتور بيومى ضحاوى**، الذى أكد أن التربية الرياضية مهملة فعلا فى مدارسنا، وأنه بسبب تهميش التربية الرياضية، زاد العنف فى المدارس، وقد كان مدرس التربية الرياضية ـ قديما ـ هو صمام الأمان، لأنه كان هو الذى يهذب الكثير جدا من عوامل الانحراف، التى تتم فى المدارس.

وقد أنهى **الدكتور بيومى** تعقيبه بقوله للدكتور حسن عبد العال:

نحن معك قلبا وقالبا، سواء كانت القضية قضية تحديث أو حداثة.. فالمهم هو عمليات التفعيل للأطراف التربوية والنظم التعليمية المختلفة، وإدارتها غير النمطية، التى يمكن أن تقود هذا التحديث.

٧-٦-٧- ثقافتنا ثرية.. فلماذا لم تفرز الرواد والعلماء والمبتكرين؟[٢]:

ثم جاء دور **ياسر فتحى** فى التعقيب، فقال: إن علماء النفس وعلماء الاجتماع أجمعوا على أن اللغة هى قوام الحياة الذهنية والعقلية والنفسية للإنسان.. فباللغة يفكر الإنسان ويدرك، وبها يحسّ وينفعل.

ولى تساؤل بسيط: لست أدرى لماذا لا تستطيع ثقافتنا أن تكون مثل الثقافة الغربية.. إن ثقافتنا ثرية، سواء الثقافة العربية والثقافة الإسلامية.. وأما الثقافة المصرية، فهم يقولون: إن مصر مهد الحضارات، فلماذا ننقل عن الغرب ونقلده دائما؟ ولماذا لم يبرز من داخل ثقافتنا الرواد والعلماء والمبتكرون؟ إننى أجد كثيرا من الأبحاث، لأساتذة كبار، تكاد أن تكون تقليدا، أو منقولة، فهل السبب هو أننا لم نستطع أن نحدّث ثقافتنا، كما قال **الدكتور حسن عبد العال**، أم أن العيب فينا نحن؟ أم أنها ـ كما يقول **الدكتور مراد وهبه** ـ المحرمات الثقافية، التى هى جرثومة التخلف، على حد تعبيره؟

---

(١) من تعقيب **الأستاذ الدكتور بيومى ضحاوى**، أستاذ التربية المقارنة بكلية التربية بالإسماعيلية ـ جامعة قناة السويس ـ مصر.

(٢) من تعقيب **ياسر فتحى الهنداوى**، المعيد بقسم التربية المقارنة والإدارة التعليمية بكلية التربية، جامعة عين شمس بالقاهرة ـ مصر.

٧-٦-٨- من حقنا أن تكون لنا مقدساتنا ورموزنا وكلياتنا التى نفتقدها[١]:

ثم جاء دور وليد زكى، الذى قال: إنه لا يرى تعارضا بين أن تكون لنا هوية وذاتية ثقافيــة، تظهر من خلال نموذج حضارى متكامل، وبين أن نستشــرف المستقبل، ونكوّن رؤية لهذا المستقبل، ونعمل على أن يكون لنا تأثير فيه.

وفى مســألة صراع الحضارات، يتــساءل وليد زكى عما إذا كــان هذا الصراع باختيارنا ،أم أنه مفروض علينا؟ ويرى أنه -فى رأيه الشخصى ـ مفروض علينا، ومن يفــرض هذا الصــراع علينا، هو مــن يريد الســيطرة علينا، ولســنــا نحن الطرف الذى يرفض التحاور والتفاعل بين الحــضارات، والذى يسعى إلى الصراع. بالعكس، نحن لدينا رموز كثيرة جدا، تسعى وتعرض وتمدّ يــد التحاور والتفاعل، وهذه الرموز تفاجأ على كل المستويات برفض فــكرة التفاعل والتواصل، بسبب الرغــبة فى رفض الآخر، وبسبب التعــالى، وبسبب فرض صراع الحــضــارات. . أو فرض هذا النوع من المنازلة علينا.

كما يرى وليد أن الإبداع التقنى، أو دراسة العالم، أو رفع مســتوى المعيشة. . ما هى كلها إلا وسائل وليست غــايات، إذ الهدف من مثل هذه المسائل، هو أن تكون لدينا ذاتية ثقافية وحضارية، تتبلور من خلال نموذج متكامل، له كلياته ورموزه، وهذا من حقنا أن يكون لنا. . ولدينا رموز وكليات ومقدسات، وهذا حقنا، وليس لآخر أو لآخرين أن يمنعونا من ذلك. إن لهم أن يناقشوا ويرفضوا، ويتمسكوا بما لديهم، فهذا حقهم، ولكن من حقنا فى اللحظة ذاتها أن نتمثل نموذجا ورموزا أو مقدسات وكليات نعتــقدها، وندافع عنهــا، ونفرضــها على الآخرين، ســواء قبلهــا هؤلاء الآخرون أو رفضوها.

٧-٦-٩- الناس لم يعودوا يقرءون[٢]:

ثم جاء دور المهندس عاطف الخضرى ، الذى قال:

أتكلم فى هذه الجلسة بصفتى ناشرا، والحقــيقة أننى حضرت قبل ذلك لقاءات كثيرة، وكل مــا يهمنى فى حضور مثل هذه اللقاءات، هو أن نأخذ ولو جــانبا تنفيذيا

---

(١) من تعقيب وليد محمود زكى، الذى لم يترك لنا فى المؤتمر ما نستدل به على هويته، ولكننا وجدنا أن تعقيبه جيد وهادف، فآثرنا أن نقتطف منه هو الآخر، إتماما للفائدة.

(٢) من تعقيب المهندس عاطف الخضرى، مدير دار الفكر العربى بالقاهرة ـ مصر.

واحدا، نتقدم به ولو خطوة واحدة، فستتكلم كثيرا فى المؤتمرات، ولكن المفيد هو الجانب التنفيذى.. فما الذى يمكن أن نخرج به من جلسة مثل هذه الجلسة التى حضرناها؟

وأبدأ **بالدكتور الحملاوى**، فأقول له: الحمد لله أننى حضرت أكثر من مؤتمر بخصوص التعليم وبخصوص العولمة، وإننا كناشرين، حريصون كل الحرص على أن نساند التعريب، لأننا مصريون، ونحب أن نحافظ على هويتنا كمصريين، فعملنا مجموعة من الكتب باللغة العربية، حتى تكون معدّة لمن يحب أن يقوم بعملية التعريب، ويكون مخلصا، لأن القرار قرار سياسى، فأنا - كناشر - قدمت سلسلة جاهزة لأصحاب القرار، إن أرادوا أن يعرّبوا.

ثم نأتى لنقطة ثانية وأنا مازلت أتكلم كناشر، هى أن **الأستاذ الدكتور أمين الخولى** - على سبيل المثال - يتكلم عن المجال الرياضى، وكل السلبيات الموجودة فى المجال الرياضى هى كلها متضمّنة فى كتاب جميل جدا، يتكلم عن الاغتراب فى المجال الرياضى.. وكل الجوانب السلبية الموجودة تعتبر نوعا من الاغتراب عن هذا المجال.. وأنا لا أقول ذلك من باب الدعاية للكتاب، ولكننى أقول: إنها خطوة إيجابية، أن نتفاعل مع الرياضة كتطبيق، فكل إنسان يقول: إن كل همومنا أننا نريد أن نمارس رياضة كرياضة المشى، ولتحقيق ذلك أسلوب عملى وعلمى، يطبق بشكل موجود فى الكتب كذلك.

إن كل ما أريد أن أقوله هو أن الناس لم يعودوا يقرءون.

٧-٦-١٠- نحن قادرون فعلا على تقديم نموذج رائع[١]:

وأخيرا جاء دور **الدكتور أحمد نجم الدين عيداروس**، الذى بدأ تعقيبه بالإعلان عن أنه مع من يقولون بصدام الحضارات، وليس مع التفاعل إطلاقا، لأن الواقع يقول: إن الثقافات تريد أن تحتوى غيرها ولا تتفاعل مع هذا الغير، كما نرى فى الثقافة الأمريكية، التى يعترض الغربيون أنفسهم عليها، وينكرون هذه الهيمنة الأمريكية.

ثم يردّ **الدكتور أحمد** على مقولة **الدكتور حسن عبد العال** بعجزنا عن تقديم نموذج، وقال: إننا نملك الأمخاخ والعقول والأفئدة الراقية، التى تحب المجتمع والبلد، والتى تملك الكثير والكثير، ممن يستطيعون أن يقدموا نماذج راقية عالمية، يستطيع الغرب أن يقتنيها.. فلماذا نحن عاجزون؟

---

(١) من تعقيب الدكتور **أحمد نجم الدين عيداروس**، مدرس الإدارة التعليمية بكلية التربية، جامعة الزقازيق - مصر

نحن لسنا عاجزين، بل نحن قادرون، وتحقيق هذا النموذج هو الذى سيجعلنا نُحترم عالميا: أن يكون لنا النموذج التربوى والنموذج الإدارى، وغيرها من النماذج النابعة منا.

٧-٧- ختام الجلسة: الدراسات الثلاث يكمل بعضها بعضا[١]:

وختم الدكتور محمد أحمد عبد الدايم الجلسة بقوله:

الدراسات الثلاث يبدو ـ مع الاحتفاظ بحق الشكر للجميع ـ لاختصار الوقت ـ أنها جاءت مكملة لبعضها البعض، بدءا من الدراسة الشمولية الكاملة المتكاملة، للأستاذ الدكتور حسن عبد العال حول حوار الثقافات، الذى تم بطريقة فلسفية.

لقد استطاع الأستاذ الدكتور حسن عبد العال ـ حقيقة ـ أن يستثيرنا، بل إنه طرح كثيرا من التساؤلات التى لا تحتاج إلى ندوة أو ندوات فقط، بل إنها تحتاج إلى فريق عمل، بل إن كل تساؤل يحتاج لفريق عمل كامل متكامل، للإجابة عن هذا التساؤل.

بداية، مسألة صراع الحضارات، أو صراع الثقافات، أعتقد أننا جميعا مُجمعون، أو على الأقل معظمنا الآن وكذا بعض الإخوة.. أرادوا فى بعض مداخلاتهم بالأمس، أن يهوّنوا من هذه القضية، والتقليل من شأنها، فهم يقولون: إننا بخير، وإننا نستطيع أن نساير الوضع، دون الالتفات إلى مسألة صراع الحضارات. وأنا أريد التأكيد على أن هناك صراعا، وعلى أن هناك معركة حقيقية، إن لم نكن نسمع فيها أصواتا للمدافع، أو للطائرات أو الدبابات، لأن طبيعة هذه المعركة هى العمل، فهى معركة الوسواس الخناس، تحبو أو تسير هامسة، وتتحرك هامسة، لتؤثر أكثر فى عقول أبناء المجتمعات المغلوبة على أمرها.

أستاذنا الدكتور حسن عبد العال أشار إلى التفاعل، ولكن: كيف؟ هذا هو السؤال المحير المطروح، الذى يحتاج إلى آفاق، ويحتاج إلى فرق عمل للإجابة عليه، إذن كيف يكون التفاعل؟ ربما ذكر مثل اليابان. نعم، ولا نملّ من ذكر هذا المثل. لقد استطاعت اليابان ـ فعلا ـ أن تستورد قصدا، ولم يُفرض عليها أن تستورد، وإن كان

---

(١) من تعقيب الدكتور محمد أحمد عبد الدايم، رئيس قسم التربية المقارنة فى الإدارة التعليمية بجامعة الزقازيق ـ مصر، فى ختام الجلسة.

بعض جوانب ثقافية معينة فُرضت عليها، ولكنها استوردت - قصدا - بعض الجوانب الثقافية والحضارية والتقنية الغربية، ولكن بفنية وأسلوب وآلية، وبلا (فلترة).. ومعذرة لاستخدام هذا المصطلح، لأنه يستثير حمية البعض. لقد كان أول ما فعلوه هو تصفية ما استعاروه، وإلباسه الثوب اليابانى، وبذلك نجحت عملية الاستعارة.

وقد سبق اليابانيين العرب والمسلمون فى العصر العباسى، فقد أخذوا من الحضارة الرومانية، وكلنا يعرف هذا الكلام، ولكنهم أخذوا بنفس الطريقة اليابانية، فهل نحن مدعوّون الآن يا دكتور حسن، إلى تحديد آلية معينة محددة واضحة، بأهداف واضحة، وبأساليب ومداخل واضحة، وبفرق عمل محسوسة، مسئولة أمام المجتمع، عن تحديث العقل العربى، وهو السؤال الذى طرحته.

ودور التربية لم يظهر - فى الحقيقة - على مدى الجلسات المختلفة، التى دارت حول الربط بين التربية والتعددية الثقافية، فما هو دور التربية؟ وكيف يكون؟ وأقول أيضا: إن هذا يحتاج لفرق عمل كاملة، لتعيننا على الإجابة عن هذا السؤال.

فإذا انتقلت إلى ورقة الأستاذ الدكتور أمين الخولى، عن الرياضة كلغة من لغات التحاور، أو الرياضة فى مجتمع متعدد الثقافات... ربما نلاحظ أن الرياضة فعلا فرضت نفسها كلغة، ليست رياضية فحسب، ولكن كسياسة أيضا، فنجد أن فيدل كاسترو نزل أخيرا إلى الملعب مع رئيس فنزويلا، ولعبا مباراة كرة قدم، ليعلنا من خلالها بيانا سياسيا رياضيا، يقولان فيه: إننا أنهينا النزاع من خلال مباراة كرة قدم.

وجاك شيراك فى كأس العالم أخيرا، وخرج على الإطار العام للبروتوكول، واللياقة المرتبطة برئيس وزراء فرنسا، وتصرف تصرفات فى الملعب، كانت لها دلالات رياضية، وجاءت مزجا عمليا بين الرياضة والسياسة.

وهكذا أعتقد أن المحاولة التى طرحها الأستاذ الدكتور أمين الخولى، محاولة تستحق المتابعة، وتستحق التحاور حولها أكثر، والكتابة عنها أكثر وأكثر، لاستثمار الرياضة فى مجال التحاور الثقافى.

وأعتقد أن الرياضة - كلغة - جمعت بين إيران وأمريكا، لتحل بعض المشكلات، أو لتكسر حدة التناحر الثقافى، وقد كان لمباراة كرة قدم بين فريقى إيران والولايات المتحدة الأمريكية وقع كبير جدا، فى تحول بعض المفاهيم، أو كسر حدة التناحر بين البلدين.

كذلك ربط الدكتور أمين الخولى بين الشخصية القـومية ولغة الرياضة، فنحن نعرف أنه عندما ينتصر أو ينهزم فـريقنا القومى، فإن الشارع المصرى ـ بكل قطاعاته ـ المثقف ورجل الشارع والمرأة والبنت. . الكل يلتقى حول إما النصر أو الهزيمة، بنفس المشاعر، لتظل لغـة الرياضة ـ بالفعل ـ تحتاج لاسـتثمار أمثل، فيـما يرتبط بالحوارات الثقافية.

ولو انتقلنا بسرعة للأستاذ الدكتـور محمد الحـملاوى، وجدنا المحاولة التى طرحها محاولة محمودة، وكلنا أعتـقد أننا نشاركه نفس الحماس، فى التأكيد على أن لغتنا ـ اللغة العربيـة ـ رمز أساسى من رموز الثقافة العربيـة الإسلامية، التى يجب أن نحـافظ عليهـا، وأن نحتـاط لكل مـحاولة لتـشويـه هذه اللغة. . وقـد طرح بعض الإحصائيات، وأنا لى موقف من الإحصاء. . موقف به شىء من التردد عندما أقترب من الأرقام، وعندما أتحـدث عن قضايا تربوية اجتـماعية. وسـأترك الإحصاء لمن هو شغـوف به، ولكن بشكل عام. . إذا كانت النتـيجة التى توصل إليهـا من خلال هذه المحاولة الأوليـة، كما أثبتـها، وكمـا طرحها علينا، فـإن هذه المحاولة تبشر بالخـير، وتستحق أن نحـاولها مرات ومرات، ومن خلال أكثـر من باحث، وأكثر من بحث، لنتأكد من صحة ما جاء بها.

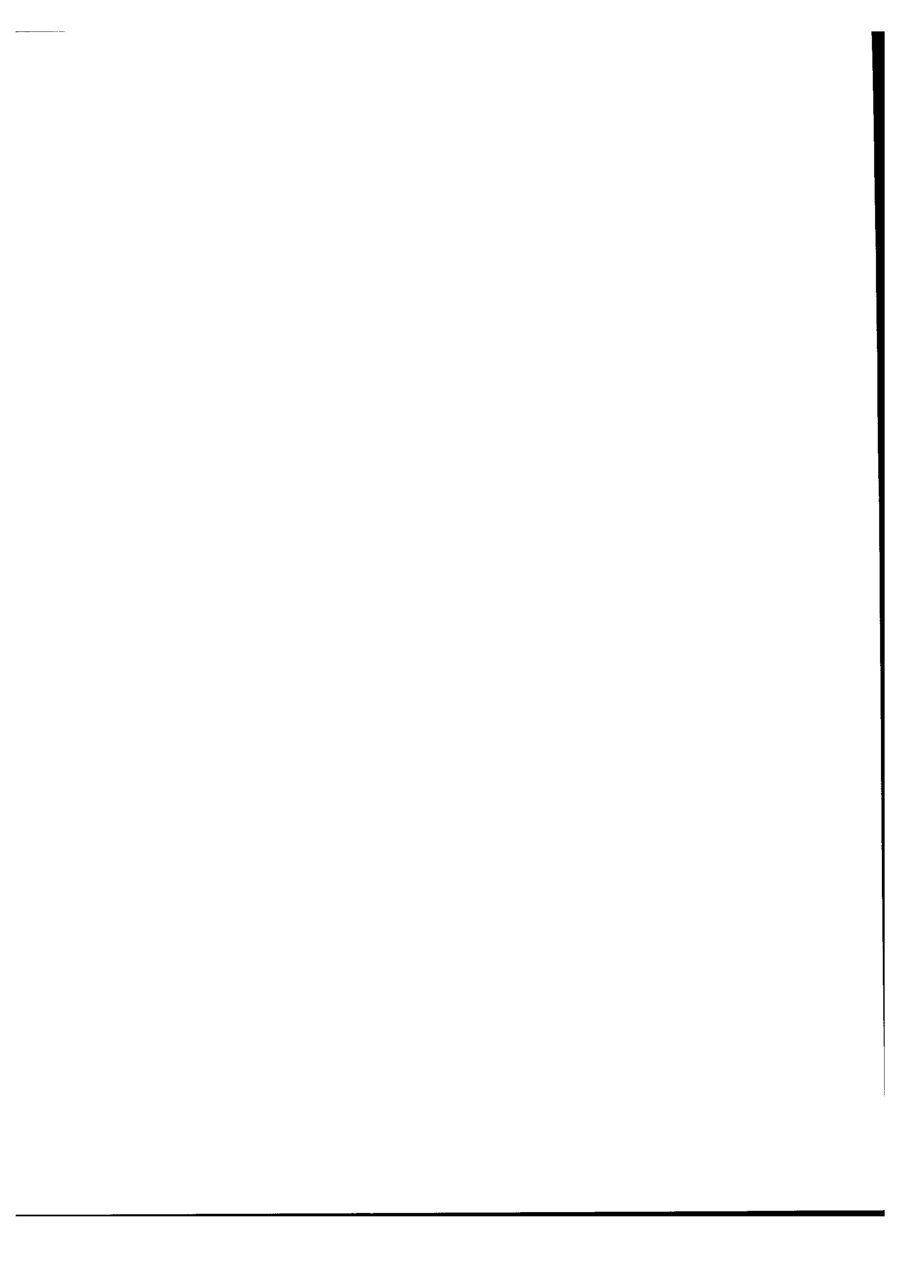
ولكن بشكل عام - يواصل الدكـتور مـحمـد عبـد الدايم - أعتـقد أننا كلنا متحمسون للغّـة العربية، ولسنا أقل من مجتمعات أخرى، ففـرنسا تعقد مؤتمرا سنويا للفرانكفونية كما نعرف.

لسنا أقل من هذه المجتمعات غيرة على لغتنا.

واسمحـوا لى بدقيقـتين، أرسل خلالهمـا برقيات سريعـة إلى الأساتذة الكرام الذين أمتعونا بطروحاتهم الرائعة:

- **أ.د مراد وهبه:** شكرا على سعة صدركم، وحلمكم الشديد، وحكمتكم فى التعـامل مع بعض تجاوزاتنا، وجـرأتنا عليكم، ولازلنا نطمع فى المزيد من توضيح شخصية الإنسان فى الألفية الثالثة.
- **أ.د فؤاد أبو حطب:** أمتعـتنا بالحديث عن تعدد الثـقافات بتعـدد النفوس، ولكننا كنا نطمع كـذلك فى حـديثكم عن ميكانيـزم الدفاع ضـد فيـروس الثقافات الواردة، وهذا ما كنا نتوقعه.

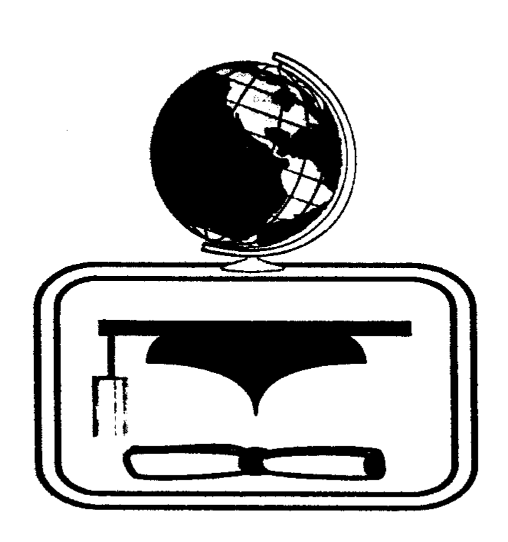
- **أ.د عبد الغنى عبود:** صوتكم كان رائعا وأنت تقرأ فى التوراة، ولكنى أعتقد أنه أروع فى قراءة القرآن.
- **أ.د حامد عمار:** لا حرمنا الله من مداعباتكم الشيقة، والمريحة لنفوس كل من حولكم، تخفيفا من حدة الأكاديميات.
- **أ.د سيف الدين فهمى:** أشعر بالسعادة الغامرة وأنا أجلس بجواركم.
- **الحضور الكرام:** الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية تفتح ذراعيها دائما، وصدرها يتسع لحبكم جميعا، وننتظر مشاركتكم البناءة دائما فى كل فعالياتها.

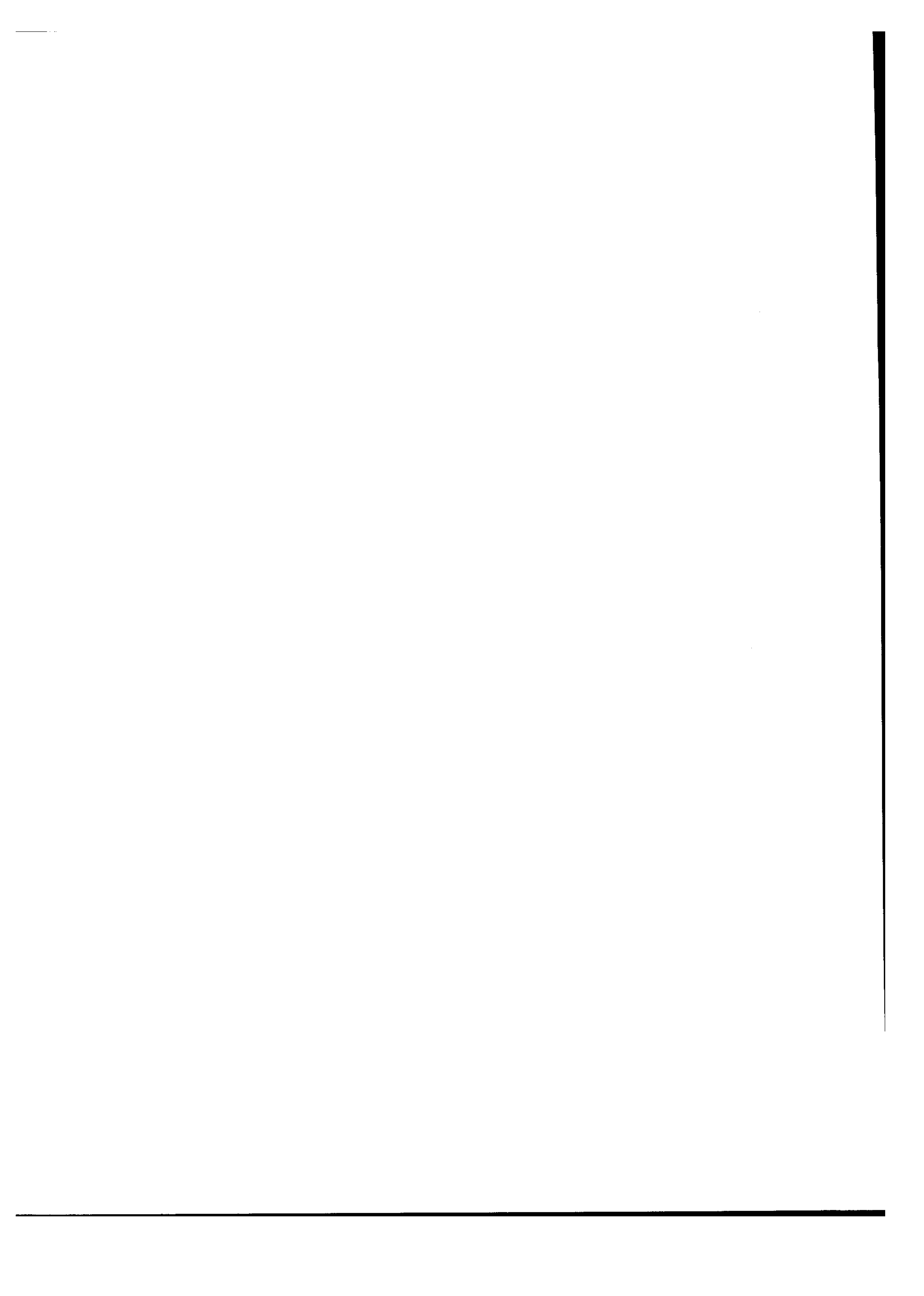




الفصل الثامن

تربية الأطفال لعالم الغد (التجربة الألمانية)





الفصل الثامن
تربية الأطفال لعالم الغد
(التجربة الألمانية)(١)

٨-١- تقديم المحاضرة: من هو محاضرنا الدكتور هارم باشن؟(٢):

جلسة اليوم يتحدث فيها أستاذ ألمانى محب لمصر، ومحب للدراسات التربوية، واسمه الأستاذ الدكتور هارم باشن Harm Paschen، الذى ولد فى سويسرا عام ١٩٣٧، وعاش فى هامبورج، حيث درس فى جامعة بيلفيليد Bielefeld، ودرس - فى السنوات الأولى (من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٨) فى جامعة هامبورج - دراسات فى التربية وعلم النفس والفلسفة، علاوة على الدراسات الألمانية والجغرافيا. وبعد ذلك درس - بالولايات المتحدة - علم الاجتماع والجغرافيا، وتابع دراساته ليحصل على الماجستير عام ١٩٦٦، وبعد ذلك حصل على درجة الدكتوراه من جامعة هامبورج عام ١٩٦٨، حيث عُيِّن مدرسا Assistant Professor فى قسم التربية، وعُيِّن عام ١٩٧١ أستاذا للتربية فى كلية تدريب المعلمين فى شمال ألمانيا، ثم عُيِّن أستاذا للدراسات العامة فى التربية، فى جامعة بيلفيلد.. ومازال مستمرا أستاذا فى هذه الجامعة.

٨-٢- محاضرة الأستاذ الدكتور هارم باشن: ملخص المحاضرة باللغة العربية(٣):

ما نوع التعليم الذى يحتاجه أطفال اليوم لمستقبلهم؟ وما مدى استفادتهم من التعليم الذى نقدمه لهم الآن، فى هذا المستقبل؟

وللإجابة على هذين السؤالين، تدور هذه الورقة، التى لابد أن نبدأها بالإقرار بأننا نعيش متأثرين - إلى حد كبير - بالتقاليد التربوية التى نشأنا فى أحضانها، سواء فى نظرتنا إلى عناصر الطبيعة من حولنا، وفى نظرتنا إلى الطريقة التى يجب أن نربى

(١) ملخص ترجمة محاضرة الأستاذ هارم باشن Harm Paschen، أستاذ النظرية العامة للتربية بجامعة بيلفيلد، التى ألقيت فى الجلسة الثامنة من جلسات المؤتمر، التى عقدت ظهر يوم الإثنين ٢٤/١/٢٠٠٠، وكان عنوان المحاضرة (أطفال اليوم بوصفهم مبدعى الغد: تحديات جديدة، والمؤهلات المطلوبة لها) The Children of Today as Creators of Tomorrow's World, New Challenges and the New Qualifications ثم تم تغيير عنوان المحاضرة ليتناسب مع عنوان فصل فى كتاب.

(٢) من تقديم الأستاذ الدكتور بدر الدين على، أستاذ علم الاجتماع بجامعة لويزفيل بالولايات المتحدة الأمريكية، للمحاضرة والمحاضر.

(٣) المحاضرة باللغة الإنجليزية كاملة فى آخر الكتاب.

بها أولادنا، مع أن المفروض أن هؤلاء الأبناء هم الذين سيشكلون المستقبل، فما نوع التربية التى يحتاجها هؤلاء الأبناء، لتشكيل هذا المستقبل؟

إننى يمكن أن أجيب على هذه الأسئلة وغيرها، فى **ثلاثة محاور**، يدور **أولها** حول تحديد هذه التحديات، ويدور **الثانى** حول مسار التربية ـ أو وجهتها، ويدور **الثالث** حول القرارات التربوية.

أما من حيث **المحور الأول**، وهو التحديات التى تواجهنا اليوم ونحن نربى أبناءنا، فهى تتمثل فى الفجوة التى نراها بين تجربتنا التى عشناها نحن الكبار ـ آباء ومدرسين- وبين التجربة التى يخوضها أبناؤنا الذين نقوم بتربيتهم، مما يجعل المدارس التقليدية التى ألفناها، غير مناسبة لهذه التربية التى نرجوها لأبنائنا.

أما **المحور الثانى**، فإنه يدور حول وجهة التربية ـ أو مسارها، حيث نجد ثلاث **وجهات ـ أو مسارات**، لابد أن تسير متوازية، ومترابطة، ومتناغمة، **أولاها** أن تكون التربية قائمة على التعلُّم ـ التعليم ـ المعرفة، حيث تقوم المدارس بتدريس المعرفة الضرورية، للتطبيق فى المشاكل العملية دون سواها، إلا أن ثمة مشكلات لابد أن تواجهنا فى مثل هذا المسار، فى مقدمتها أننا لا نعرف نظم المعرفة التى سنحتاجها.. إضافة إلى أن هناك مدى زمنيا لتغيُّر المعرفة فى بعض المجالات، وأنه يمكن معالجة الكثير من المعلومات وتخزينها، عن طريق الكمبيوتر.

أما **المسار الثانى أو الوجهة الثانية**، فهى ضرورة قيام التربية على التنشئة الاجتماعية، والتربية الأخلاقية، وتنمية العادات الطيبة والقدرات المطلوبة. وهنا نجد المشروعات هى الطريقة المستخدمة فى التدريس، حيث يقوم الفصل بدور المجتمع الجنينى للغد، فيقوم ببحث مشكلات حديثة، مثل التلوث، وحيث يعمل المتعلمون كفريق للحصول على المعرفة، ويقدمون نتائجهم أمام الجميع، ثم يبدءون العمل، على نحو ما رأينا فى تفكير جون ديوى.. وعن طريق نشاط التلاميذ، وقيامهم بمقابلة تجار وإداريين وعمال.. سيتعرفون على ثقافات مختلفة، تساعدهم على اكتساب قدرات يحتاجونها فى عالم الغد.

وثمة مشكلات يمكن أن تواجهنا فى مثل هذا المسار أيضا، نراها فى الأسئلة التالية:

- هل سيحصل التلاميذ المتعلمون على القدر الكافى من المعرفة الأساسية (فى الرياضيات مثلا)؟

- هل ستتم تنمية القدرات لديهم بطريقة فعالة؟
- هل ستكون هناك بعض الموضوعات التى ستقدم مبكرا أكثر من اللازم؟
- هل لابد أن يكون المرء ناقدا ومستقلا، منذ مرحلة الحضانة؟

وأما المسار الثالث أو الوجهة الثالثة، فهى أن تقوم التربية على التنمية وعلى الزراعة، وعلى تنمية القدرة الذاتية، حيث يقوم تلاميذ الفصل الدراسى (الصف الثالث)، بالذهاب - على مدار العام - إلى مزرعة، ليقوموا بمعالجة الطعام الرئيسى بأنفهسم (الأرز مثلا)، ويقوموا بالحرث والرى والزرع، وحصاد الأرز بأيديهم، دون اللجوء إلى المعدات الحديثة، وهنا سنجدهم يكتسبون ثقة بأنفسهم، وخبرة بالعالم.

وأما المحور الثالث والأخير، فإنه يدور حول القرارات التربوية، فإننا - لكى نستطيع معرفة أنسب وسيلة تربوية للمستقبل - محتاجون لمعرفة أثر هذه الرؤى المختلفة، على المسارات أو الوجهات الثلاث، وهى التعلم - التعليم - المعرفة، والتنشئة الاجتماعية - التربية الخلقية - تنمية العادات الطيبة والقدرات المطلوبة - والتنمية على الزراعة، وعلى تنمية القدرة الذاتية.

إن دراسات المتابعة لم تعد تكفى فى هذا الزمان، لأن الأطفال سيكونون هم صانعى القرارات التربوية، ولأن الأمر يتعلق بمستقبلهم هم، فى ضوء هذه المسارات - أو الوجهات - الثلاث.

٨-٣- تعقيب أول للمؤتمر: الأطفال محتاجون إلى الاتجاهات الثلاثة فى التربية[١]:

وقد بدأ **الدكتور بدر الدين على**، رئيس الجلسة التعقيبات على محاضرة **الدكتور هارم باشن** بقوله:

سوف أبدأ بتعليق عام على محاضرة الأستاذ **الدكتور باشن**، ثم أعطى الكلمة للدكتور **نبيل قاسم**، لتجميع بعض أفكاره عن المحاضرة، وذلك لأنها قد ألقيت بلغة غير عربية، حتى تكون هناك متابعة ثانية لها، وبعد ذلك سوف نفتح باب المناقشة، فى شكل تعليقات أو أسئلة، وسوف يتفضل **الدكتور نبيل** بترجمتها من العربية للألمانية، وبالعكس.

(١) من تعقيب الأستاذ الدكتور بدر الدين على، أستاذ علم الاجتماع بجامعة لويزفيل بالولايات المتحدة ورئيس الجلسة على محاضرة الدكتور هارم باشن.



وتتلخص ملاحظاتى فى أن الأستاذ الدكتور باشن ذكر أن هناك اتجاهات تربوية مستقبلية، يقسمها إلى ثلاثة اتجاهات، أولها اتجاه نظرى، قائم على التعليم واستيعاب المعرفة، وثانيها اتجاه ميدانى، قائم على التنشئة الاجتماعية وتكوين العادات، ويعتمد على الاحتكاك بالمشكلة، والنزول إلى البيئة وملاحظتها، والاتجاه الثالث يمكن أن أسميه اتجاها تطبيقيا تعايُشيا، حيث يتم الانتقال إلى البيئة بشكل واسع، لدرجة أنه يمكن أن ينتقل الأطفال إلى المزرعة، ويعايشوا التجربة على مدى شهور، وهذه الممارسة الشخصية للتجربة - من وجهة نظره - تعتمد على الحواس، وهى ما يطلق عليها - فى علم الاجتماع - الملاحظة بالمشاركة Participant Observation.

فما هى أفضل وسيلة تربوية للمستقبل؟

يذكر الأستاذ الدكتور باشن أن أفضل وسيلة، هى التعرف على هذه الاتجاهات الثلاثة، علاوة على دراسات المتابعة والقياس، ووجهة نظره أن الأطفال سيكونون هم صانعى القرار، ولكن الآباء يحددون لأبنائهم نوعية التعليم، وفى رأيه أن الأطفال يحتاجون للاتجاهات الثلاثة فى التربية، وهى اتجاهات المعرفة، والعادات، والحواس. ولذلك يعتقد الأستاذ الدكتور باشن أنه لابد أن يعدل كل اتجاه نفسه، فى ضوء الاتجاهين الآخرين، وهذا يعنى أن كل تربية - أو تعليم - فى اتجاه معين، لابد أن تأخذ فى اعتبارها الاتجاهين الآخرين، حتى تأتى بصورة شاملة كاملة مبلورة.

كما يركز الدكتور باشن على تدريب المعلمين على تلك الاتجاهات، ويركز - كذلك - على عملية التقويم المستمرة، وعلى علوم المستقبل مثل الكمبيوتر، والتعليم من بعد و.. إلخ. وقد أشار إلى المتطلبات اللازمة لإعداد هذا المستقبل المضىء، وركز على الإبداع والابتكار، وعلى روح الفريق، أو التعاون والعمل معا. . وأيضا على زرع الاستقلالية، والاعتماد على النفس، بحيث يعتمد الطالب على نفسه، ويتسم بالاستقلالية، حتى فى شخصيته، ولا يكرر - أو ينقل - عن غيره باستمرار، ولكن يكرر - أو ينقل - إلى حد ما، حتى تتبلور شخصيته، وتكون لها استقلاليتها.

كذلك يركز الدكتور باشن أيضا على فكرة تغيير الطالب لفصله، فلا يكون موجودا - باستمرار- فى فصل واحد، وذلك بأن نجمع كل الفصول فى ساحة كبيرة، حتى يحدث تفاعل، وتكون التجربة أكثر فائدة. . فبدلا من أن تكون محصورة فى فصل محدد، تصبح منفتحة على مختلف الفصول.

كما يركز الدكتور باشن كذلك على ما يسمى الزراعة مع التنمية Cultivation بدلا من التعليم Instruction، مثل زراعة الإبداع والابتكار وتنميتها Cultivation of Creativity، كما يرى أنه يمكن كذلك تنمية السلوك الاجتماعى، وهى العملية التربوية الأصيلة أو الأساسية، التى تربى الخلق والشخصية والعادات و...إلخ.. وهى كلها أشياء يمكن أن نطبقها فى حدود بيتنا ومجتمعنا وقيمنا.

إنه من المفيد جدا ـ من وجهة نظره ـ أن يظل التلاميذ معا سنوات طويلة، فتجربة اثنتى عشرة سنة، منذ أن يلتحق التلميذ بالسنة الأولى الابتدائية مع مجموعة الفصل، ويستمر فى هذا الفصل لمدة ١٢ سنة مع نفس التلاميذ.. هذا شىء جميل جدا، من حيث خلق علاقات الصداقة والشعور الجماعى، بدلا من نقل التلاميذ كل عام إلى فصل جديد، حيث يجدون تلاميذ جددا عليهم، فيضطرون إلى تكوين صداقات جديدة، وعلاقات جديدة، معهم.

وأخيرا ـ وليس آخرا ـ فقد ذكر أننا فى حاجة إلى أن يكون لدينا المربى المهنى، أو المربى المتخصص Professional Educator، على حد تعبيره. إنه لا يستطيع كل فرد أن يكون مربيا، ولكن لابد أن يكون متخصصا، بحيث يمكن الاعتماد عليه، فى خلق أجيال جديدة صاعدة، ومفيدة للوطن.

٨-٤- وتعقيب ثان للمؤتمر: الألمان انتجوا حضارات تخص فعلا كل مجال[١]:

ثم عقب الأستاذ الدكتور نبيل قاسم، مقرر الجلسة على المحاضرة، بقوله:

تكملة لتقديم الأستاذ الدكتور باشن، بأنه درس فى جامعة هامبورج، لى الشرف أننى قد درست أيضا فى هذه الجامعة ذات الأهمية، ودرسنا عند نفس الأستاذ جوتفيت هاوسمان Gotfyet Houseman، وهو أستاذ تربية مقارنة، وهو صديق وزميل للمرحوم الأستاذ الدكتور القوصى، وهو ممن ساهموا مساهمة أساسية فى تطوير التعليم، فى الستينات والسبعينات.

(١) من تعقيب الأستاذ الدكتور نبيل قاسم، أستاذ اللغة الألمانية المتفرغ بكلية التربية، جامعة عين شمس. ومقرر الجلسة، والمشارك مشاركة فعالة فى نقل أفكار الدكتور باشن من اللغة الإنجليزية واللغة الألمانية أحيانا إلى اللغة العربية.

والحقيقة أن الملخص الذى قدمه الأستاذ الدكتور بدر الدين على ملخص واف، وأودّ فقط أن أعقب على مفـهوم أعتقد أن له أهمية خاصة، فـهو يتحدث تحت مظلة الحضارة Culture، فـهو يتكلم عن التـربية كـحضـارة، ويتكلم على النمـاذج التى عرضها على أنها حضارات.

ولفهـم هذا، لابد أن نستـعيد ـ بعض الشـىء ـ ميكانيـزم العمل فى المجـتمع الألمانى على مـستـوى المؤسـسات، حـيث تقـول إحدى النظريات الـتى تتعـامل مع المؤسسات فى ألمانيا: إن المؤسسة ـ بطبيعة كونها مؤسسة فى مجتمع سريع التغير ـ هى مـؤسسـة فى أزمـة، وتواجدها فى أزمـة مـعناه إعادة صـيـاغة الأهداف والوسـائل والفلسفة. . إلخ. . باستـمرار، حتى تتمكن من الاستجابة للمتـجددات، مما يوفر لها إمكانية استيعاب هؤلاء الأفراد، الذين يرون مؤسساتهم موجودة دائما فى حالة أزمة، فكيف يتعاملون مع هذه الأزمة المستمرة؟

وهنا نسـتطيع القول: إنهـم أنتجـوا ـ فعـلا ـ حضـارات تخص كل مجـال، والحضارة ـ هنا ـ معناها التوزيع على أكبر عدد من الناس، يستطيعون أن يحملوا هذه الحضارات، وعلى مؤسسات مختلفة كذلك.

وقد طرح الأستاذ الدكتور باشن إمكانية تَواجُد أكثر من نموذج، بحيث تتجاور النمـاذج وتتصـارع، لأن كل نموذج منها يؤدى إلى إسـهام فى عـملية التطويـر. وقد حضرت فى الـستينات ـ المدرسة الشـاملة، وهامبورج كانت رائدة فى هذه العـملية، وكان بها مدرستان فى أوائل الستينات، وكانت عملية كبيرة، ولكن رجال التربية هناك يتصورون أن هذه المدرسة هى التى تتيح الفرصة للتلميذ، أن ينتقل من فرع إلى فرع، ومن اهتمـام إلى آخر. . إلخ، وأن التلميـذ ـ والمدرس ـ يستطيع أن يسـتوعب الواقع التربوى ككل، ولذلك يرون هذه المدرسة هى مدرسة المستقبل.

ومع ذلك، فقد استمـرت الأنماط الأخرى، وشارك فى ذلك المدرسون كنقابة، والمدرسون فى المدارس، والمدرسون كتخصصات، ومجلات علمية، ومؤتمرات. . من القاع، وشاركت معهم الاتجاهات الفكرية المختلفة فى الجامعة.

ويقال: إن المدرس لا يزال ـ فى المدرسـة الشاملة ـ يتحـمس جدا، ويدافع عن هذا النمـوذج، ولكنه يرسل ابنه إلى الجمنازيوم، أو المدرسـة التقليـدية، التى تدرس الرياضيات، واللغات القديمة.

ولكن هذه الأشكال التقليدية قد تطورت اليوم طبعـا، واستوعبت كل ما أنتجه النموذج الحديث.

ونفس الشيء حدث في تخـصُّصنا، فهناك اتجاه حديث ظهر في السبـعينات، وهو التعامل مع اللغة الألمانية، من منطلق عملية التعليم والتعلم، وقد تصورنا أن هذا الاتجاه سيسود، ولكن الاتجاهات الأخرى استفادت كذلك على كل المستويات: المدرس - المتخصص - الجامعة - مراكز الأبحـاث - المجلات العلمية - المؤتمرات.. استـفادت كلها، وبدأت تأخذ من بعضها البـعض، وتتفاعل في الواقع، وعلى مستوى النظرية، حتـى تستطيع أن تصل إلى الحـوار، من منطلق المستوى الذي وصلت إليـه العملـية المعرفية التجريبية.

هذه مجـرد إضافة أردتُ أن أضـيفهـا، حتى يكون المدخل - بجـانب ما أعطاه أستـاذنا الدكتـور بدر الدين علي، حتى يكون المدخل أيضـا من هذا المنطلق، الذي يرتبط بخبرة الأستاذ في واقعه، ومنطلقاته النظرية والعملية في الواقع الألماني.

٨-٥- تعقيبات الحضور:

وقد بدأ التعقيبات الدكتور محمد عبد السلام حامد، حيث تساءل:

٨-٥-١- ماذا فعلت ألمانيا للتوحيد الثقافي بين شطريها السابقين؟[١]:

كنت أنتظر من الأستاذ الدكتـور باشن أن يعطينا فكرة عن كيفـية تغلب ألمانيا على مشكلات توحـيد شطريها، فـقد عانت منذ سنة ١٩٤٥ من التـعددية الثقافـية، حيث إن ألمانيا انقسمت إلى ألمانيا الشرقية، وقد كانت لها ثقافتها، ثم ألمانيا الغربية، وهي أيضا لهـا طابعها الثقـافي المختلف.. وكان بودي أن يعطينا فكرة عمـا قامت به السلطات المختـصة، فيمـا يتعلق بعمليـة دمج هاتين الثقافتين، وخاصة بعد توحـيد ألمانيا، وأعتقد أن هذا يكون متطابقا تماما مع موضوع مؤتمرنا.

٨-٥-٢- وماذا عن إهمال الجانب القيمي في تربية الأطفال الألمان؟[٢]:

ثم انتقل التعقيب إلى الدكتور محـمد عبد الدايم، الذي قال باللغة الإنجليزية، وننقل ترجمة كلامه إلى اللغة العربية: إن البدائل التي قدمها لنا الدكتور باشن، تركز-

(١) من تعقيب الأستاذ الدكتور محمد عـبد السلام حامد أستاذ التربية المقارنة المتفـرغ بكلية التربية، جامعة الأزهر بالقاهرة - مصر.

(٢) من تعقيب الدكتـور محمد عـبد الدايم، رئيس قسم التـربية المقارنة بكلية التـربية، جامعـة الزقازيق - مصر.

بدرجة كبيرة - على الجزء المعرفى من الشخصية، وتترك الجوانب الأخرى الهامة منها، وكانت تلك ملاحظاتى.

الشىء الآخر، هو أننا جميعا نعلم أن أطفال المستقبل، وأعتقد أنهم - إلى جانب المهارات والمعارف والتدريب - يحتاجون إلى مجموعة جديدة جدا من القيم، قد تساعدهم فى مواجهة نوع الحياة التى يقتربون منها.

والنقطة الثالثة تتعلق باليابان، فقد أثنى الدكتور باشن على اليابان، كنموذج يهتم بالأطفال فى المرحلة الإعدادية، وقد أسف على النموذج الألمانى للأطفال.

وأعتقد أن الشىء المهم جدا، المتعلق بنظام التعليم اليابانى، والذى نعلمه جميعا - كما يقول الدكتور محمد عبد الدايم - هو أن عدد الساعات اليومية، وعدد الأيام السنوية التى يتعرض لها الأطفال للتعليم فى اليابان، هى أكثر منها فى أية دولة أخرى. وأعتقد أن هذا هو أحد الأسباب الرئيسية التى تقف وراء الإنجاز العالى للأطفال فى اليابان.

٨-٥-٣- وما الصعوبات التى تواجه الألمان - المعتزين بلغتهم - بعد الانفتاح على العالم الخارجى مؤخرا(١)

ثم انتقل التعقيب إلى الدكتور أحمد فريد عباس الذى قال:

نعلم أن التعليم فى ألمانيا يتم باللغة القومية - أى اللغة الألمانية، كنوع من الاعتزاز بهذه اللغة، وهذا يتم فى جميع مراحل التعليم، بدءا من مرحلة ما قبل التعليم وحتى الجامعة، وأنه يتم فى كل التخصصات، وفى كل الأقسام.. فهل هناك بعض الصعوبات التى تواجه الألمان - وخصوصا بعد الانفتاح، والدخول فى الألفية الثالثة - وهم يندمجون مع التطور والتقدم العالمى؟

هذه نقطة .. وهناك سؤال آخر عن تعليم اللغة الإنجليزية فى ألمانيا كلغة أجنبية: هل تواجهه المشكلات المألوفة التى نراها تواجه تعليم اللغة الإنجليزية فى بعض البلاد كلغة أجنبية، أم أن هناك مشكلات أخرى؟ وكيف تم التغلب عليها فى إطار الثقافة الألمانية؟

---

(١) من تعقيب الدكتور أحمد فريد عباس، المدرس الأول بوزارة التربية والتعليم بالقاهرة - مصر

٨-٥-٤- نظام التعليم الألمانى كما عشتُه منذ نصف قرن [١] :

ثم انتقل التعقيب إلى **الدكتور محمد سيف الدين فهمى**، فقال:

لقد كنتُ فى ألمانيا فى أواخر الخمسينات، ودرست فى جامعة هامبورج لفترة معينة (ثلاثة فصول دراسية تقريبا)، ولدى فكرة عن نظام التعليم الألمانى، وعن نظام المدرسة الشاملة هناك، حيث كانت المدرسة الشاملة توجد فى بعض المقاطعات، وعلى رأسها برلين، وهامبورج، ولكنها لم تكن ناجحة إلى حد كبير، وكان هناك دائما اتجاه ضد هذه المدارس، فإلى أى مدى هى ناجحة الآن فى ألمانيا؟

الشىء الآخر، أن **البروفيسور باشن** أعطانا ثلاث ثقافات أو ثلاثة نظم، **أولها** هو: الثقافة التقليدية، أو التربية التقليدية، وهى عن المعرفة، لأن النظام فيها قائم على التعليم والتعلم والمعرفة، **أما النظام الثانى**، فهو قائم على المشروعات Projects، لأن التعليم فيه يتم من خلال مشروعات معينة، **والنظام الثالث** الذى تحدث عنه، هو التنمية من الصغر.

فالنظام الأول تأخذ به أغلب الدول، سواء النامية والمتقدمة، فهو نظام معروف لدينا، لأنه قائم على التعليم بصورة تقليدية (مدرس - تلاميذ - فصول - إدارة مدرسية)، وهو نظام معروفة نهايته.

وعندما نتكلم عن تجربتنا المصرية القديمة والحديثة، نجد أنها قائمة على هذا النموذج الأول.

أما النظام أو النموذج الثانى، فقد تم تجريبه - فى وقت ما - فى مصر، فى صورة المدارس التجريبية (النموذجية)، وكان جميلا جدا فى فكرته، ولكنه عندما اصطدم بالواقع، لم يستمر لأسباب مختلفة، منها تعليم المعلم، وقدرته على التعامل مع المشروع، ونوع المدرسة، والمبنى المدرسى.. إلخ.

وأما النظام أو النموذج الثالث، فهو جميل جدا من الناحية النظرية، حيث يتم فيه تجميع التلاميذ معا فى مكان واحد، لينموا معا، ويتعاونوا معا.. فإلى أى مدى

---

(١) من تعقيب **الأستاذ الدكتور محمد سيف الدين فهمى**، أستاذ التربية المقارنة المتفرغ بكلية التربية، جامعة الأزهر بالقاهرة - مصر، وعميد الكلية الأسبق.

يسير كل من هذين النموذجين الأخيرين فى ألمانيا؟ أو إلى أى مدى يتم تنفيذ الناحية النظرية فى الواقع العملى؟ وهل هناك مدارس كثيرة فى ألمانيا، تأخذ بالنموذج الثانى أو الثالث؟

٨-٥-٥- المسار الثالث مفتوح بدرجة كبيرة، يمكن أن تؤدى إلى صدمة حضارية[(١)]:

لدى أسئلة عن المسار الثالث، حيث أرى أن هذا المسار مفتوح بدرجة كبيرة، فهو يعلم الطلاب: كيف يعيشون فى مجتمع بدائى، وهم فى النهاية سوف يخرجون للعيش فى مجتمع حضارى جدا . . أفلا يمثل ذلك صدمة حضارية؟

وسؤال آخر: هل لديك تصور رابع يجمع النماذج الثلاثة معا؟

ونقطة أخرى: لقد ذكرت أن النماذج الثلاثة قد تمت تجربتها فى ألمانيا، فكيف يتم تقويم كل نموذج منها؟

٨-٥-٦- لم أفهم كل ما يتصل بألمانيا والتربية فيها إلا من المحاضرة[(٢)]:

ثم انتقل التعقيب إلى الدكتور عبد الغنى عبود، الذى قال: أستطيع أن أقول إننى لم أفهم التربية الألمانية إلا اليوم، فكم قرأتُ حولها، وكم حاولت، ولكنى لم أفهمها إلا اليوم، كما لم أفهم الشخصية الألمانية إلا اليوم، ولم أفهم التاريخ الألمانى إلا اليوم، ولم أفهم ظهور مارتن لوثر. . لم أفهم ذلك كله إلا اليوم، فشكرا يا دكتور باشن على هذه المحاضرة الرائعة. . إلا أن عندى اعتراضا واحدا على كلمة (اتجاهات): تُرى هل هى اتجاهات فعلا؟ أعتقد أننا لو استبدلنا كلمة Attitude ـ اتجاه ـ بكلمة أخرى، مثل مسار أو وجهة أو نموذج [(٣)]، فسوف نستطيع أن نفهم جميعا المحاضرة، بدون أى نزاع.

---

(١) من تعقيب رانيا محمد، بقسم اللغة الألمانية بكلية التربية، جامعة عين شمس بالقاهرة ـ مصر.

(٢) من تعقيب الأستاذ الدكتور عبد الغنى عبود، أستاذ التربية المقارنة بكلية التربية، جامعة عين شمس، ورئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية، ورئيس المؤتمر.

(٣) تم تعديل كلمة (اتجاه) إلى كلمة (مسار) أو (وجهة) فعلا عند طباعة الملخص الذى تم توزيعه على المشاركين فى المؤتمر، ليتضح المعنى الذى أراده الدكتور باشن، وهو ما رأيناه من قبل فى ٨-٢ ص٢٢٤، ٢٢٥ .

ونحب أن نلفت النظر إلى أن مصطلحات المسار والوجهة والنموذج استُخدمت فى التعقيبات بمعنى واحد، وقد عقب الدكتور باشن فى الصفحة التالية بأنه يقصد عمليات، وليس اتجاهات.

٨-٦- وتعقيب أ. د. هارم باشن على التعقيبات:

ثم جاء دور **الدكتور هارم باشن** ليرد على التعقيبات، بقوله:

٨-٦-١- **إن كل سؤال يحتاج إلى كتاب كامل للإجابة عليه.**

٨-٦-٢- إن الوضع فى ألمانيا يختلف عنه فى غيرها، لعدم وجود نظام تعليمى تشرف عليه الدولة ككل، وذلك لأن المسألة تتوقف على فردية الولايات أو المحافظات، **فهناك نظام تعليمى لكل محافظة أو ولاية.**

٨-٦-٣- وردا على السؤال الأخير **للدكتور عبد الغنى عبود، أنا لا أقصد ثلاثة اتجاهات، بل أقصد ثلاث عمليات،** وربما كانت الترجمة غير دقيقة. لقد حاولت إبراز العمليات، بأنها تسير معا.. وفى كل العمليات التى طرحتها فيما يتعلق بالتدريب والاختيار والتقويم.. إلخ، هى مجرد أفكار عامة، وعلينا أن نأخذ منها ما يفيد البيئة. وقد ركزت على عملية التدرج فى المعرفة، وقلت: ربما يكون لديكم نفس التجربة هنا.

وبالنسبة للرياضيات، قلت: إن الطالب يوجه إليه السؤال، ولابد أن يجيب على هذا السؤال، مرة وأخرى، فهو مُلزم بأن يكون منتبها، وبأن يكون ذهنه حاضرا، وبأن يتجاوب مع الجو العام فى الفصل، حيث يعطى الطلاب عشر دقائق فى البداية، ليرى تجاوُبهم، حتى لا يكون الدرس جافا.

وبالنسبة للتدريس، فإن الأستاذ الذى يُعتبر متخصصا، ينتقل من مسار لآخر، بحيث يُعطىَ الفرصة لفهم المسارات المختلفة. إن كل طالب فى الفصل عليه أن يجيب، على العكس مما عاهدناه فى الماضى، من أن الطالب الذى يعرف يرفع يده، بل إنه يمر على الطلاب فردا فردا، حتى لو اختلفت الإجابات، حتى يشعر كل طالب بأنه ساهم فى العملية التعليمية.

٨-٦-٤- وأعتقد أنه ـ بهذه الطريقة ـ يستفيد الجميع، حيث يسمع المتعلِّم أكثر من رأى، وأكثر من فكرة، مما يساهم فى عملية التعلم، أكثر من مجرد الجلوس، والاستماع للمعلم، من أول الدرس وحتى نهايته، فدرس الرياضة لا يتعلم فيه الطلبة الرياضة وحدها، بل إن التعلم الاجتماعى Social Learning موجود أيضا، فإنه ـ من خلال الإجابات المختلفة ـ يتولد الشعور بأن كل فرد يكون له رأى، وتكون له

وجهة نظر، ومن هذا التفاعل تتكون شخصية اجتماعية، علاوة على الشخصية الأكاديمية، سواء فى العلوم أو الرياضيات. . إلخ.

٨-٦-٥- ومن الطريف أن الإجابات المختلفة للطلاب بالفصل، تُوضَع جميعها على السبورة، وتناقش إجابة إجابة. . وهذا فيه احترام للرأى الفردى من ناحية، كما أنه يشجع على عملية الابتكار أو الإبداع، فى مقابل الإحباط، الذى ينتج عن تسفيه بعض الإجابات، فى بعض المجتمعات.

وقد ركزتُ على عملية التقويم Evaluation تركيزا كبيرا جدا، وهذا التقويم يتم بشكل دورى، وعلى أساس المتابعة المستمرة، وأعتقد أنه لا يكفى التقويم العام الذى تقوم به الإدارة المدرسية، بل يجب أن يكون هناك تقويم يتعلق بالفصل أو المادة.. وفى هذه الحالة يمكن أن يكون هناك تجديد مستمر، وإبداع مستمر، بناء على هذا التقويم المستمر.

٨-٦-٦- ولدينا حوالى ٢٠٠ مدرسة، ومعظم هذه المدارس تأخذ بالعملية - أو المسار - أو الاتجاه النظرى . . القائم على تقسيم المعرفة، ولكن عددا لا بأس به منها يأخذ باتجاه التنشئة الاجتماعية أيضا، وهذا دليل على أن المدارس بدأت تخرج من الاتجاه التقليدى البحت: احفظ، وذاكر، وانقل المعرفة. . إلى جانب تكوين الشخصية الاجتماعية، أو التنشئة الاجتماعية.

٨-٦-٧- إلا أن ثمة بعض التعقيبات، سأختم بها فى عجالة:

إن المجتمع الألمانى نفسه تَأمْرَكَ إلى حدّ كبير، بعد الحرب العالمية الثانية طبعا، فبعد أن كان التركيز على اللغة الألمانية، حتى يستعيد الشعب الألمانى اعتزازه بقوميته وبلغته. . إلخ، صارت هناك مدارس كثيرة تدرس المادة العلمية باللغة الإنجليزية، حتى لا يصبح الدرس درس لغة فقط، بل لغة - إنجليزية - وعلم أيضا.

وبالنسبة للأتراك، هناك اتجاهات مختلفة، فبعض الأتراك يفضلون أن يصبحوا جزءا من المجتمع الألمانى، كالذين يتأمركون فى الولايات المتحدة الأمريكية. . وهناك جزء مازال متمسكا بتقاليده. وفيما يتعلق بأن تنشأ لهم مدارس خاصة، ووضع خاص بلغتهم و. .إلخ، هذا أمر لم يستقرّ بعد فى نفوس المسئولين، على اعتبار أنهم موجودون فى ألمانيا، ويدرُسون فى مدارس ألمانية، ولن نستطيع أن نغير النظام كله.

وبالنسبة لمسألة العمل باليد والذهاب إلى الحقل، وأن أمامنا مستقبلا مليئا بالتكنولوجيا والمعلومات والكمبيوترات ومعطياتها، أقول: إنه مجرد نموذج ظريف.

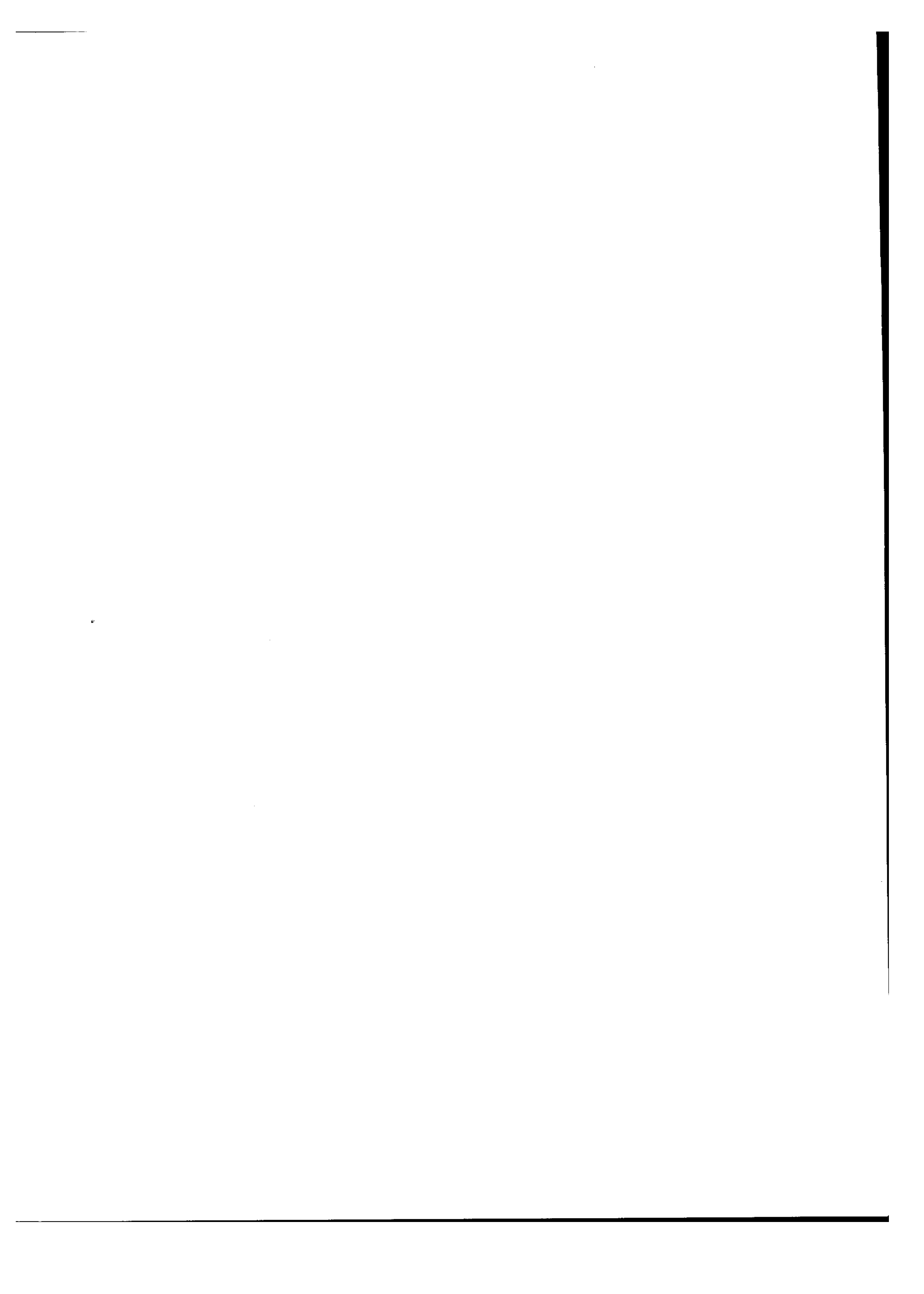
٨-٧- ختام الجلسة:

وقد ختم الدكتور بدر الدين على - رئيس الجلسة - بقوله:

فى البحرية الألمانية، يتدرب الطلاب على المراكب القديمة، وعلى الاستخدامات البحرية القديمة، فهى تُكسبهم الشجاعة والثقة بالنفس، والاعتماد على النفس، بشكل أفضل من المعدّات التى تسير بالتكنولوجيا والكمبيوتر.

إن الرجوع للبدائية يكون أحيانا فضيلة، فنحن عندما نرسل الأطفال إلى الحقل ليروا عمليات الحرث والعزق، رغم وجود ماكينات كبيرة، فإن ذلك يكون له دور بالغ الأهمية فى عملية التربية.

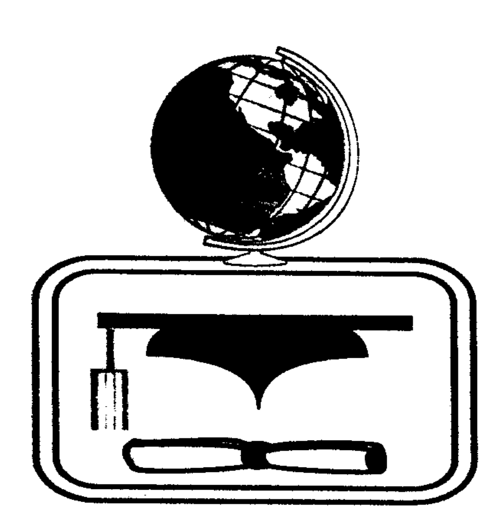
آخر كلمة أقولها: إن عملية البدائل تُعتبر اتجاها مشروعا، ومن الممكن أن تحدث عملية تغيير وتبديل.

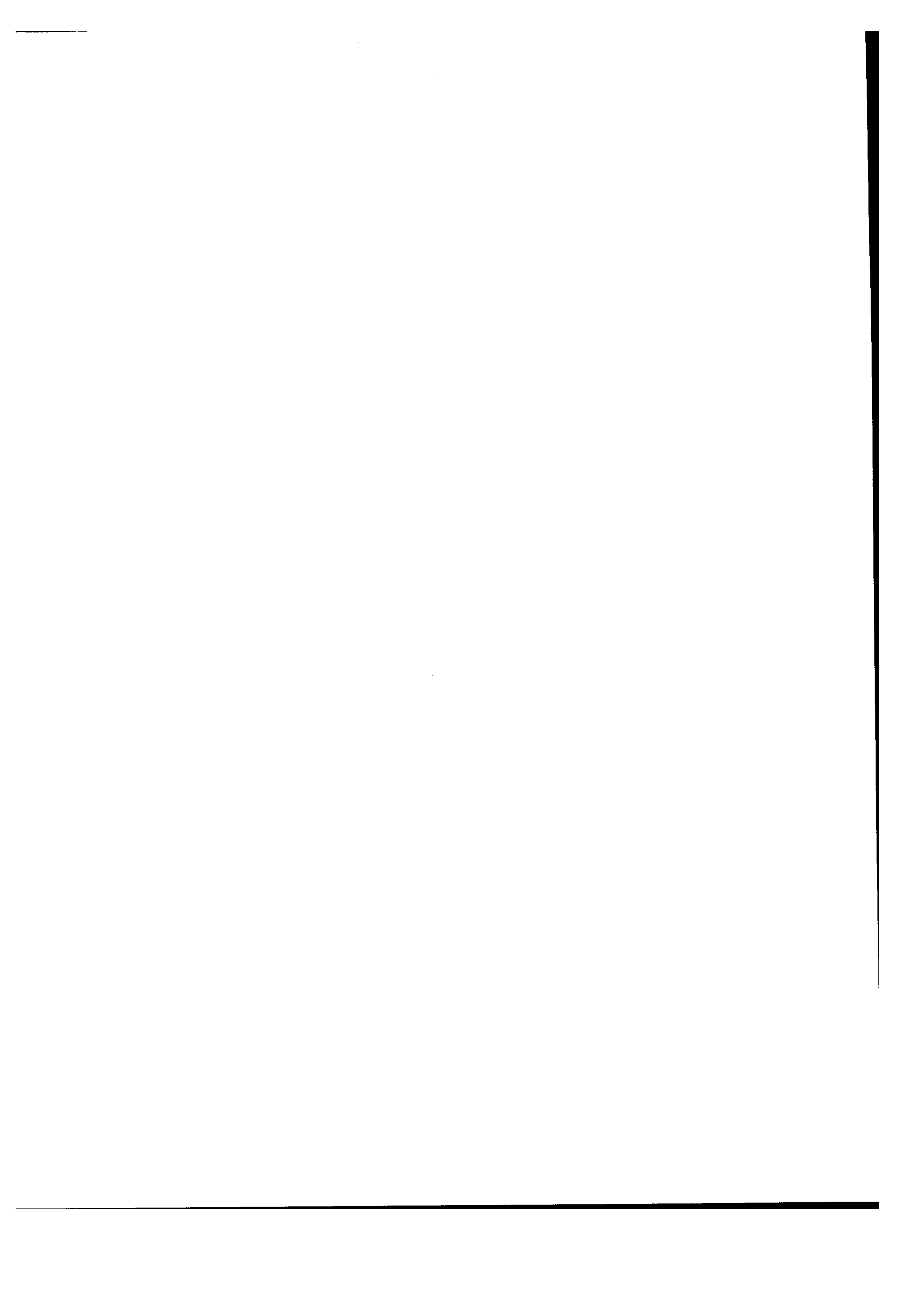


٩

الفصل التاسع

توصيات المؤتمر





الفصل التاسع
توصيات المؤتمر

انطلاقا من المتغيرات الثقافية على المستويات المحلية والإقليمية والدولية، والناتجة عن التقارُب بين الشعوب، بسبب الثورة المعلوماتية والتكنولوجية... وإيمانا بضرورة التجديد والتطوير التربوى، من أجل مواجهة التحدّيات الحالية والمستقبلية للأمة العربية، عقدت **الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية** - بالاشتراك مع **مركز تطوير التعليم الجامعى بجامعة عين شمس** - مؤتمرها السنوى الثامن، فى الفترة من ٢٢-٢٤ يناير سنة ٢٠٠٠م، تحت عنوان: **التربية والتعددية الثقافية مع مطلع الألفية الثالثة**، وذلك بمسرح كلية التربية جامعة عين شمس - روكسى - مصر الجديدة - القاهرة.

وفيما عدا جلستى الافتتاح والتوصيات، توزّعت أعمال المؤتمر على ندوة عنوانها (لغة الحوار)، وخمس محاضرات كان عنوان أولاها (**مفهوم الإنسان فى الألفية الثالثة**)، وكان عنوان الثانية (**التعددية الثقافية من منظور سيكولوجى**)، وكان عنوان الثالثة (**التعددية الثقافية وأبعادها التربوية**)، وكان عنوان الرابعة (**سياسة التعليم والتعددية الثقافية فى الألفية الثالثة**)، وكان عنوان الخامسة (**أطفال اليوم بوصفهم مبدعى عالم الغد**).. إلى جانب جلسة للبحوث والدراسات المقدمة للمؤتمر.

وقد شارك فى أعمال المؤتمر لفيف من العلماء والمفكرين، فى مجالات التربية المقارنة، والإدارة التعليمية، وأصول التربية، وعلم النفس التربوى، والصحة النفسية، والمناهج، والهندسة، والفلسفة، واللغات الأجنبية، من جامعات عين شمس والأزهر وحلوان والقاهرة وطنطا والمنصورة والزقازيق وقناة السويس وأسيوط وجنوب الوادى.. بالإضافة إلى المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية، وبعض المشاركين من الجامعات العربية والجامعات الأجنبية (من جامعة لويزفيل بالولايات المتحدة الأمريكية، وجامعة بيلفيليد بألمانيا).. ومن السعودية والكويت وفلسطين وسلطنة عمان والإمارات العربية المتحدة، واليمن.

وقد رأى المشاركون فى المؤتمر - قبل الشروع فى تقديم التوصيات - التوجُّه بالشكر والتقدير إلى جامعة عين شمس، وعلى رأسها الأستاذ الدكتور حسن أحمد غلاب، لتفضله بقبول رعاية المؤتمر وافتتاحه، وإلى كلية التربية جامعة عين شمس، وعلى رأسها الأستاذ الدكتور محمد أمين المفتى، لاستضافته المؤتمر، ولتيسيره كافة السبل لإنجاحه، وإلى الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية، رئيسا وأعضاء.. وإلى جميع القائمين على تنظيم المؤتمر والمشاركين فيه وحضوره، لإسهامهم فى نجاح فعالياته.

التوصيات

١- تنمية الهوية الثقافية العربية، بتأكيد مقوماتها، من خلال المؤسسات الثقافية بشكل عام، والتربوية بشكل خاص، من أجل التفاعل الحرّ والبنَّاء مع الهُويات الثقافية الأخرى.

٢- تبنِّى نظم التعليم لفكرة التفاعل الثقافى، والتحاوُر والتواصُل بين الثقافات، لتنمية القدرة على الإبداع والابتكار، وتغيير الواقع للأفضل.

٣- تفعيل نُظم التعليم فى المنطقة العربية، لتحديث أُطُرها الثقافية والتربوية.

٤- النظر إلى التربية العربية على أنها المشكلة والحلّ، فى إطار التعددية الثقافية، ومحاولة هيمنة بعض الثقافات الأخرى.

٥- التنسيق بين كافة الجهات العلمية والمؤسسات التربوية، فيما يتعلق بعقد المؤتمرات المختلفة، من أجل تبنّى الأفكار والآراء الجديدة، التى تتفق وطبيعة المجتمعات العربية، بما يواكب المتغيرات فى الألفية الثالثة.

٦- تبنّى أنماط إدارية غير تقليدية، فى مجالات التربية بشكل عام، وفى المؤسّسات التعليمية بشكل خاص، لتفعيل أدوارها، وتحقيق الأهداف التربوية المرجوّة، فى إطار التعددية الثقافية، محليا وإقليميا وعالَميا.

٧- الاهتمام بإنشاء قواعد للبيانات، على المستويات المحلية والقومية والإقليمية، والإفادة منها فى توجيه الفكر على المستوى العربى.

٨- التأكيد على تنمية القدرات العقلية والإبداعية، فى البرامج والمقررات الدراسية، وألوان النشاط، بالمراحل التعليمية، بما يمكّن المتعلمين من قراءة

تُراثهم الثقافى برؤية نقدية، وتمكينهم من التفاعُل والتواصُل، والحوار مع الثقافات الأخرى.

٩- تنمية الخيال العلمى بالوسائل المختلفة، من أجل ارتياد آفاق مجهولة وميادين بِكر، تعين على الإبداع والابتكار.

١٠- تحسين المناخ المدرسى بالطرُق والوسائل الملائمة، لتخفيف ضغوط العمل على المجتمع المدرسى.

١١- تفعيل طرُق التدريس القائمة، واستحداث طرق جديدة، لتنمية الإبداع العلمى، وابتكار حلول جديدة لمشكلات المجتمع.

١٢- إعادة النظر فى نُظم إعداد المعلم العربى، لتكوينه وإعداده ليكون مبدعا، ومتبنيًا للأفكار الجديدة، فى إطار التعددية الثقافية، مع الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية.

* Rrof. Harm Paschen (*):

The Children of Today as Creators of Tomorrow's World.

New Challenges, and the New Qualifications

Beeing the first time in India, and having no very deep understanding of the Indian education situation, and realizing that our European way of education must not be the best one, or suitable for others, I will look for a concepual basis for our meeting, an outline of basic possibilities of alternative education, a map of educational differences which we have to decide, and to argue decisions, and later to evaluate the outcomes.

We are all depply influenced by traditions - they are present like the history of billions of years in the stars we see today in the sky. And we see in the same time the future of generations before us- in our children, who are the ones (not us) to create the world of to-morrow.

But: what education do these children need for their future? And what kind of use of our education will they finally make in their future?

All over the world, we have discussions on the challenges and problems of the future world, and what type of schooling we need to meet it. For this discussion, and our meeting here, I will map- in three steps - the pedagogicall very challenging situation, and the educational possibilities we have:

1- Why do we have to deliberate here- as everywhere- on the educational future of schools.

2- What are the basic programmatic differences we are facing?

3- Who will decide and execute the programmes.

(1) New Type of Challenges:

The main educational problem seems to me to be a gap between our experience of a fast changing world, and an uncertainty : what this wll request from our children ? The changes in enviroment, production ,

(*) Prof. Dr. Harm Paschen: Chair, General Theory of Education, Faculty of Education, University of Bielefeld, Germany.

minds may have different aspects and names (overpopulation, information processing, globalization, cultrural clashes), but its astonishing pace and deep structure are still very new to us, and it is very difficult to comprehend its nature, tendencies and final states.

In the face of it, traditonal schooling seems to be very inadequate. We have not only not enough of this type of schooling (all over the world, in all contries!), but this type lacks also the new quality we need. It seems to be uncertain, even if we really will need furthermore "Schools", beside the learning information of mass media, beside the individualized access to any information by computers, or because of the growing number of needed competencies not taught in school.

What is really new in this situation are:

- The doubts in future education, even in those contries that have with a believed good school system.
- Everybody, not only experts, realizes these problems today.
- The educational porblem must be tackled everywhere (it won't do, if it works in some places only).
- A new education must work everywhere, and immediately.
- Superficial, traditional adaptions to the new situation (i.e. with some computer work) won't convince our children that the future world will have to be created by them individually, and as societies, with new challenges, tasks, problems and risks.

(2) Three Pedagogies:

In looking at new educational tasks, and looking for new approaches, don't ask professors for advice. Set a side new tenchniques, data or theories, which might be of some help, reforms, inventions, new orientations, are seldom academic topics. The contribution of academia, nevertheless can be to inform us about the basic possibilites we have, and it should be their task to write a sort of directions, for use of educational means, like the medical information you'll find in your box of pills.

Actually for schools education, there are basically no more than three ways of orienation, means, intentions, and organisation, quite different from each other, and which we might call (school pedagogies).

I will present them by illustration with one example of a subject matter, important in the future of our children: The processing of food (i.e. rice in culture, and bread in another).

The first pedagogy will not teach such special, than topics rater than teach the necessary knowledge, to be applied to practical problems. This Knowledge will be colse to the scientific disciplines, set down in a curriculum, and taught in subject-lessons. Backed by learning theories, we find instruction the pedagogical form of this type of school. All necessary knowledge-disciplines for rice- processing are basically taught, like biology, chemistry, physics, and others too (geography, may be some economics.. etc.). Most of this knowldge will be later forgotten (but you know where to find it, or who is the expert you need).

But there are also **problems** with this **learning -instruction-knowledge education:**

- Which knowledge must be included for the future (law, psychology, medicine, information- theory)?
- The turnover-time of knowledge for some fields is said to be 5 years.
- Most of the information storing and processing can be done by computers.
- It gets harder to motivate children to learn this scientific knowledge, because of growing abstraction, and to cocentrate on it.
- There is a lack of teaching modern competencies, like for teamwork, creativity, responsibility, democrecy.

On the other hand, this type can be well and easily organized and controlled by bureaucarcy, evaluated and assessed (like with TIMSSD, legitimized as beeing ideological neutral. We do not know very much of the long lasting effects, but it is a system very effective to establish a basic belief in a type of reality presented objectively by sciences (see:

B. Bernstein, on Classification of Education Knowledge).

It looks like that type of education that gets into growing problems, especially the growing mass of information, and the growing role of information porcessing machines. Nevertheless, there is also a backlash, a tendency to go back to good old instruction, and core knowledge (**E. D. Hirsch ,1996**).

But we have an alternative, a second pedagogy promising modern competencies. It is a system we might call the **socialization-moral education-habitus/ competencies pedagogy**. Here you have projects as methods- the class as embryonic society of tomorrow, which will investigate modern problems, like pollution, in their surroundings, they will learn to get knowledge, to work in teams, to decide themselves what to do, to present their result to the public, and to start actions. Experiences, reflections, critique, and quite often moralizing, are the stations on the way to form an habitus of a modern, critical, democratic member of society.

This **Dewey**-type of education (**Freinet in France - Von Hentig in Germany**) is quite different from the first one. Buildings, classrooms and syllabus (or schedule) look very differnt. You need another teacher training, because you can't control results the same way. For our food-example, you would have a project, like visiting a modern rice-processing factory, maybe computer controlled cleaning, sorting, parboiling, packing.. etc. The students will interview laborers, compare their situation to others, discuss with administrators, merchants, look into the world situation of hunger and food and the basic food in different cultures.. etc. By this, the group with obtain all the competences needed in a modern world. But there are also drawbacks:

- Will they learn enough basic knowledge (i.e. maths.)?
- Is the habitus really well founded - not only simulated- by the student?
- Are the necessary capacities, strengths, really well developed, not very superficial, and only a' la mode?

- Will some topics not be too early for children? Will discussing all the problems of the world (called key problems) rather making them neurotic than stabilizing their personalities?

- Must you really become critical and independent, from kindergarden on ?

- And do you get real individual, autonomous power of judgement, by being socialized into an habitus?

But there is still a **third basic type**. Here the class (grade3) would go over the year to a farm, processing themselves the basic food, i.e. rice. Ploughing, flooding, planting, harvesting rice, by their hands, without modern machinery, threshing .. etc, cooking and serving, finally rice -dishes, to their parents and relatives, proud of their own work.

They gain self-confidence, experience the world as a place, where you are able to do something yourself. They develope senses, will hear stories and legends, develope taste and a sense of quality, in work, products and living.

Type II educationists will call this pedagogy old fashioned, even anti-modern. But it would be asked back what do your children (of type II education) really learn? Won't they become frustarted by the complexity of modertn technology and computers, will have no real understanding, let aside doing something yourself, and will probably feel never to be able to manage such processes?

Doesn't modern training start in some important fields like training officers in the navy, for modern computer steered war ships, not on old fashioned sail-ships, because only there, you still can develope your first hand experience of wind, waves, risks, will .. etc.?

Other examples are survival traning for managers, social education in outbound-education.

We might cal this type **deveopment-bilduing (cultivation) - organs strengths pedagogy**, and we find variants of it in **Montessori - Waldrof- education.**

(3) Pedagogical Decisions:

If one looks upon construction of these three basic models of (school) education, there will be some questions about it. Theoretical questions like: If you really can separate the orientating processes of learning, socializing and developing?, or practical ones like: Which one should be prefered to, or who can - or should decide upon it ?

The most important consequence is to realize that there are different, well established alternatives, each of which has its pros and cons. Secondly that there must be heavy criticism between them, having different outlooks, means, and understanding, of schooling, and even of the future of childhood.

Of course, learning, socializing and deyelopment cannot easily bee seperated in the process of prowing up, and going to schools. But schools can concentrate on one of these aspects, and on controlling mostly the chosen one, i.e. by their way of teaching, giving notes, taking exams. To instruct primarily will have effects on socializing too, i.e. to socialize into specific unerstanding of knowledge forms (differentiation between scientific disciplines with separate objective knowledge, versus individual, and subjecive knowledge, arts and beliefs). This socialization might be a goal too, but this is not controlled, especially not of it many side-effects.

So, in order to be able to answer the question: What is the education for the future we would need, not only to know what the future requests, but also what the effects will be of the different models, in the long run, in all three dimensions: knowledge, habitus, organs? And we would need not only to have follow- up studies, but also indicators for important parameters in all three dimensions. TIMSS is only tested in grade 8, and only on knowledge. What about health of school-children? What about critical, and democratic attitudes? What about the self-confidence and outlook on their own future? What about the recall of the tested knowledge in the future?

We can expect different effects from different models, not in a causal interpretation of the effects of specific means, rather than a pro-

balistic interpretation of the holistic and wholesome effects of a pedagogy, including parents, theories, teacher-trainings, buildings and ways of life.

So, even if we develope and use new evaluation instruments, to gain knowledge on the different effects of different pedagogies, we have, and we still have , plurality of ways of life, outlooks and exspections of the future, and we still have to decide for one option : On which grounds could we decide ? and who are the experts to do it?

In a democracy, you would expect that there are possibilites of decision by information and argument , so that people who are affected by the decisions, should make them by themselves, as mush as possible (by having information, and beeing able to use arguments), either by voice or choice (**Liebman**, 1991).

Children would be the natural decision makers.. it is their future. And in the end, they will - anyway- decide how to use their education. It is them who will build and operate the world of the future. So, all knowledge, habitus or organs, are the only instruments we can give them, and they will make the final judgements, and- of course then- the decisions for those children. So, it is the parents, by their former experience of education, by their outlook on the future of their children, and by their democratic rights to chosse the education of their children, who are the social basis of plurality in education, for autonomy of different approaches. An academic basis is the theoretical fouding of a differentiation between basic, well founded and acceptable alternative forms of education.

But this request has **three important pre-requesites**, to safeguard the preparation for the future. The state government must make **all type of schools possible**, so that all people can choose between them, and it has to secure qualified decisions, by **offering the needed information on different types of schools**, their pedagogical differences, the inputed and known effects of these pedagogies. Finally it has to control the qualities of schools, by controling the (self) evaluation, by promoting necessary developments, and by withdrawing the permission

if a school is not adequate to the constitution, or harmful for the knowledge, for a modern habitus, and for the development of children.

The children of to-day can be only creators of the world of tomorrow with all their potential abilities, inspired intuitions, creative thinking, if we can give them a healthy development . This development is mostly endangered to-day, more than knowledge intake, or a modern habitus. Many are even not been born, others have no education, unhealthy enviroments, no inspired outlook to grow up.. they are stressed by proverty , diseases, to much information.

Without a healthy development , there is no sound basis for socialisation into a modern habitus of a comptent, independent, critical democratic member of a civil society, and of course no basis for a human intelligent, and moral use of knowledge.

Of course, for their future, they need all three, organic development and cultivation (Bildung), a modern habitus- socialisation, and necessary knowledge- instruction . But because of the unique nature and infra- structure of each different pedagogy, we have to decide which is most important: a sound development is mostly threatened, or not even possible at all to-day, the necessary knowledge is the most problematic approach to-day.

Whatever pedagogy is chosen by administrators, teachers or parents (or elder students), there must be institutions (school inspectors, acdemical research, independent agencies) to evaluate effects and outcomes, especially in order to safeguard those two other dimensions (pedagogies), probably neglected by the chosen education. But in general, we always have to keep in mind that we can't directly shape the future of our children, nor the future world or society. We only can cultivate - and qualify - for the actions, operations, and decisions they will have to make.

In this, all alternative deucational approaches (which are all alternatives to each other) should accept, evaluate, and discuss their approach, in the light of the others.. should develope professional, critical.. that is pedagogical competence: **Competence in the**

differentiation of pedagogies.

Literature:

- Bernstein, B.: "On the Classification and Framing of Educational Knowledge", in : **Knowledge and Control**, ed. by Young; M.F.D., London, 1971, pp. 47-69.

- Hirsch, E.: **The Schools We Need and Why We Don't Have Them**; New York, 1996.

- Hurrelmann, K.: "The Role of the Schools in Comprehensive Health Promotion" in:

  - Takanishi, R/Hamburg D. A. (eds) : **Preparing Adolescents for the Twenty-first Century, Challenges Facing Europe and the United States**; Johan Jacobs Foundation Conference Series, Volume 4, New York, 1997.

- Liebmann, J. S.: "Voice, Not Choice", **Yale Law Journal**, 101, 1 (1991), pp. 259- 314.

- Paschen, H.: Pädagoiken. Zur Systematik Pädagogischer Differenzen, (**Pedagogies**, On the Systematics of Pedagogical Differences); Weinheim, 1996.

- Paschen, H.: Zur Systematik Pädagogischer Differenzen-ein Forschungsprogramm Zur Pädagogischen Kopetenz (On the Systematics of Pedagogical Differences- a Research Program of Pedagogical Competence), In : **Ethit und Sozialwissenscaften**? 10 (1999) 1, pp. 73-169.

- TIMSS' "Mathematisch- Naturwissenschftlicher Unterricht im Internationalen Vergleivh" (Third International Mathematics and Science Study - German Version), ed. by Baumert, J./ Lehmann, R. et al., Opladen, 1997.



للمحرر

الدكتور عبد الغنى عبود

١-أ- كتب التربية - تأليفا مستقلا:

١-أ-١- **الأيديولوچيا والتربية، مدخل لدراسة التربية المقارنة**- دار الفكر العربى- القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٧٦- الطبعة الثانية ١٩٧٨- الطبعة الثالثة ١٩٨٠- الطبعة الرابعة ١٩٩٠.

١-أ-٢- **التربية المقارنة فى نهايات القرن ، الأيديولوجيا والتربية من النظام إلى اللانظام**- دار الفكر العربى - القاهرة - الطبعة الأولى١٩٩٣- الطبعة الثانية ١٩٩٤- الطبعة الثالثة ١٩٩٧.

١-أ-٣- **إدارة التربية وتطبيقاتها المعاصرة**- دار الفكر العربى - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٧٨- الطبعة الثانية ١٩٨٢- الطبعة الثالثة ١٩٩٠- الطبعة الرابعة ١٩٩٢.

١-أ-٤- **إدارة التربية فى عالم متغير**- دار الفكر العربى- القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٢- الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.

١-أ-٥- **تاريخ التربية**- رقم (٤٥) (من السلسلة العمالية)، تُصدرها (المؤسسة الثقافية العمالية) بالقاهرة - ١٩٧٦.

١-أ-٦- **دراسة مقارنة لتاريخ التربية**- دار الفكر العربى - القاهرة- ١٩٧٨.

١-أ-٧- **التربية الاقتصادية فى الإسلام**- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- ١٩٩٢.

١-أ-٨- **فى التربية المستمرة ومحو الأمية وتعليم الكبار**- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- ١٩٩٢.

١-أ-٩ - **فى التربية الإسلامية** - الجزء الأول - دار الفكر العربى - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٧٧ - الطبعة الثانية ١٩٨٥- الطبعة الثالثة ١٩٩٣.

١-أ-١٠- **فى التربية الإسلامية**- الجُزء الثانى - دار الفكر العربى - القاهرة- ١٩٩٢.

١-أ-١١- **التربية الإسلامية والقرن الخامس عشر الهجرى**- دار الفكر العربى- القاهرة - ١٨٨٢.

١-أ-١٢- **الفكر التربوى عند الغَزالى، كما يبدو من رسالته (أيها الولد)**- دار الفكر العربى- القاهرة - ١٩٨٢.

١-أ-١٣- **التربية ومُشكلات المجتمع** - دار الفكر العربى - القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٨٠- الطبعة الثانية ١٩٩٢- الطبعة الثالثة ١٩٩٧- الطبعة الرابعة ٢٠٠٠م.

١-أ-١٤- **البحث فى التربية**- دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٧٩.

١- ب- كتب التربية - تأليفا مشتركا:

١-ب-١- **فى التربية المقارنة**- بالاشتراك مع الدكتورة نازلى صالح - عالم الكُتُب- القاهرة - ١٩٧٤.

١-ب-٢- **التربية المقارنة : منهج وتطبيقه**- بالاشتراك مع الدكتورين : أحمد حجى، وبيومى ضَحَاوى- مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٨٩- الطبعة الثانية ١٩٩٣- والطبعة الثالثة - دار الفكر العربى - القاهرة- ١٩٩٧.

١-ب-٣- **إدارة المَدرسة الابتدائية** - بالاشتراك مع الدكاترة : أحمد حجى، وأحمد غانم، والسيد البهواشى، ومحمد الصغير- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٩٢، الطبعة الثانية ١٩٩٤.

١-ب-٤- **فى التربية المعاصرة**- بالاشتراك مع الدكتور إبراهيم عصمت مطاوع- دار الفكر العربى- القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٧٧- الطبعة الثانية ١٩٨٥.

١-ب-٥- **نحوَ فَلسفة عَربية للتربية**- بالاشتراك مع الدكتور عبد الغنى النورى- دار الفكر العربى - القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٧٦- الطبعة الثانية ١٩٧٩.

١-ب-٦- **فلسَفة التعليم الابتدائى وتطبيقاته**- بالاشتراك مع الدكاترة: حَسَن عبدالعال، وعلى خليل، وشوقى ضيف- دار الفكر العربى- القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٨٢- الطبعة الثانية ١٩٩٣.

١-ب-٧- **التعليم فى المرحلة الأولى، واتجاهات تطويره**- بالاشتراك مع الدكاترة: رضا أحمد إبراهيم، ومرفت صالح صالح، وسليمان عبد ربه محمد، ورمضان أحمد عيد- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٩٤م، الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

١-ب-٨- **التربية الإسلامية وتحديات العصر**- بالاشتراك مع الدكتور حسن عبدالعال- دار الفكر العربى- القاهرة- ١٩٩٠.

١-ب-٩- **التربية المقارنة والألفية الثالثة، الأيديولوجيا والتربية والنظام العالمى الجديد**- بالاشتراك مع الدكتور بيومى ضحاوى، والدكتور عادل عبدالفتاح سلامة، والدكتور عبد الجواد السيد بكر- دار الفكر العربى- القاهرة- ٢٠٠٠م.

١- جـ- كتب سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) نشرتها كلها: دارُ الفِكر العربى بالقاهرة:

١-جـ-١- **العقيدة الإسلامية، والأيديولوجيات المعاصرة**- الطبعة الأولى ١٩٧٦- الطبعة الثانية ١٩٨٠.

١-جـ-٢- **الله والإنسان المعاصر**- الطبعة الأولى ١٩٧٧- الطبعة الثانية ١٩٨١.

١-جـ-٣- **الإسلام والكون**- الطبعة الأولى ١٩٧٧- الطبعة الثانية ١٩٨١.

١-جـ-٤- **الإنسان فى الإسلام والإنسان المعاصر** - ١٩٧٨.

١-جـ-٥- **اليوم الآخر، والحياة المعاصرة** - ١٩٧٨.

١-جـ-٦- **أنبياء الله، والحياة المعاصرة**- ١٩٧٨.

١-جـ-٧- **قضية الحرية، وقضايا أخرى** - ١٩٧٩.

١-جـ-٨- **الأسرة المسلمة، والأسرة المعاصرة**- ١٩٧٩.

١-جـ-٩- **الملامح العامة للمجتمع الإسلامى** - ١٩٨٠.

١-جـ-١٠- **ديناميات المجتمع الإسلامى**- ١٩٨٠.

١-جـ-١١- **الحضارة الإسلامية، والحضارة المعاصرة** - ١٩٨١.

١-جـ-١٢- **الدولة الإسلامية، والدولة المعاصرة** - ١٩٨١.

١-جـ-١٣- **اليهود، واليهودية، والإسلام**- ١٩٨٢.

١-جـ-١٤- **المسيح، والمسيحية، والإسلام**- ١٩٨٤.

١-جـ-١٥- **المسلمون، وتحديات العصر**- ١٩٨٥.

١-د- كتب (سلسلة سفير التربوية)، التى تصدر عن شركة سفير للإعلام والدعاية والنشر بالقاهرة:

١-د-١- **الأبوة والبنوة، مشكلات ومسئوليات**- رقم (١٨) من السلسلة- ١٩٩٦.

١-د-٢- **طفلك، هبة الله لك**- رقم (٢١) من السلسلة- ١٩٩٧.

١-هـ- كتب (سلسلة شبابنا آمالنا)، التى تصدرها الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة:

١-هـ-١- **القراءة وقاية وعلاج** - ٢٠٠١م.

١-و- كتب سلسلة (دراسات فى التربية المقارنة والإدارة التعليمية)، يشرف عليها المحرر - صدر منها حتى الآن:

١-و-١- **نحو علم للإدارة التعليمية المقارنة**، للدكتور أحمد حجى- تقديم الدكتور عبد الغنى عبود - الطبعة الأولى دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٩٣م.

١-و-٢- **كليات التربية (الأوضاع والتطلعات)**- تحرير الدكتور عبد الغنى عبود- تقديم الدكتور أحمد حجى - دار النهضة العربية ومكتبة النهضة المصرية بالقاهرة- ١٩٩٤.

١-و-٣- **إدارة التعليم فى الوطن العربى**، تحرير الدكتور عبد الغنى عبود، تقديم الدكتور حامد عمار- دار الفكر العربى- القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٥- الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.

١-و-٤- **الإدارة الجامعية فى الوطن العربى**، تحرير الدكتور عبد الغنى عبود، وتقديم الدكتور جابر عبد الحميد- دار الفكر العربى- القاهرة- ٢٠٠١.

١-و-٥- **التربية والتعددية الثقافية في الألفية الثالثة** - تحرير الدكتور عبد الغنى عبود- تقديم الدكتور حامد عمار - دار الفكر العربى - القاهرة- ٢٠٠٢م.

١-ز- سلسلة (مكتبة التربية الإسلامية)، التى يشرف عليها ويقدم لها، وتنشرها دار الفكر العربى بالقاهرة.

١-ز-١- **التربية الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى**- تأليف الدكتور حسن عبدالعال- ١٩٧٨.

١-ز-٢- **فلسفة التربية الإسلامية، فى القرآن الكريم**- تأليف الدكتور على خليل- الطبعة الأولى ١٩٨٠- الطبعة الثانية ١٩٨٥- الطبعة الثالثة ١٩٩٧.

١-ز-٣- **نظام التربية الإسلامية، فى عصر دولة المماليك فى مصر**- تأليف الدكتور على سالم النباهين- ١٩٨٢.

١-ز-٤- **تاريخ التعليم فى الأندلس**- تأليف الدكتور محمد عبد الحميد عيسى- ١٩٨٢.

١-ز-٥- **فلسفة التربية الإسلامية، فى الحديث الشريف**- تأليف الدكتور عبد الجواد السيد بكر- الطبعة الأولى ١٩٨٣- الطبعة الثانية ١٩٩١- الطبعة الثالثة ١٩٩٧.

١-ز-٦- **الفكر التربوى فى كتابات الجاحظ**- تأليف الدكتور محمد سعد القزاز- ١٩٩٥.

١-ز-٧- **القيَم التربوية فى القصَص القرآنى**- تأليف الدكتور سيد أحمد طهطاوى- ١٩٩٦.

١-ح- كتب مختلفة تم التقديم لها:

١-ح-١- **قراءة تربوية فى فكر أبى الحسن البصرى الماوردى، من خلال كتاب (أدب الدنيا والدين)**- تأليف الدكتور على خليل- دار المجتمع بالمدينة المنورة (السعودية) ودار الوفاء بالمنصورة (مصر) -١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

١-ح-٢- **التعليم الابتدائى فى بعض الدول الأوربية**- ترجمة الدكتور السيد عبدالعزيز البهواشى- مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة- ١٩٩٣م.

١-ح-٣- **الأحكام القيمية الإسلامية لدى الشباب الجامعى «رؤية تربوية»**- تأليف الدكتور عبد الودود محمود مكروم- مكتبة إحياء التراث الإسلامى بالمدينة المنورة- ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١-ح-٤- **التعليم والتنمية الشاملة، دراسة فى النموذج الكورى** - تأليف عبد الناصر محمد رشاد - رقم (٢) من (سلسلة المراجع فى التربية وعلم النفس)- دار الفكر العربى- القاهرة - ١٩٩٧م.

١-ح-٥- **الفعالية والتعلم الذاتى**- ترجمة بتصرف: هشام محمد سلامة- راجعه وقدم له الدكتور عبد الغنى عبود- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- ١٩٩٨م.

١-ح-٦- **الإدارة المدرسية** - تأليف الدكتور محمد حسنين العجمى- رقم (١١) من (سلسلة المراجع فى التربية وعلم النفس)- دار الفكر العربى - القاهرة- ٢٠٠٠م.

١-ح-٧- **إدارة الفصل فى الحلقة الأولى من التعليم الأساسى**- تأليف هالة عبدالمنعم أحمد - مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- ٢٠٠١م.

رقم الإيداع	٧٦٩٢ / ٢٠٠٢
I. S. B. N الترقيم الدولى	977- 10-1640-7